انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف

تأليف

كرم بهنسى الديب

تقديم

د. مجدي عاشور

بطاقة فهرسة

أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف/ تأليف: كرم بهنسي رمضان الديب؛ تقديم د. مجدي عاشور.

ط1 القاهرة: دار الوابل الصيب للإنتاج والنشر والتوزيع، 2019م.

17& 24 سم.

تدمك: 0-91-6214-977-978

1- التصوف الإسلامي . 2- الشيخ علي جمعة. 3- الطريقة الصديقية الشاذلية

أ/ الديب؛ كرم بهنسي (تأليف)

ب- عاشور، مجدي. (تقديم)

الترقيم الدولي: 0-91-6214-977-978

رقم الإيداع: 2019/11341

دار الوابل الصيب

7 شارع الجمهورية. عابدين. القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت: 01147208173 (00202)

01208303901 (00202)

Elwabel15@outlook.com

https://www.facebook.com/dar.elwabil

إهداء

إلى معلمي وشيخِ مشايخي، إلى من نَهَلْتُ من بَحْرِه الكريم، وتَنَفَّسْتُ مِن عَبَقِ رِيْحِه الفَوَّاحِ الذي ملأ الدنيا بِعِلْمِه، إلى ذلك الوجه المنير والرُّوحِ الطَّيِّبَةِ التي يلتَفُّ حولها طلاب العلم من كل أنحاء الدنيا وأحسب نفسي واحدا منهم، وهذه هدية وليست الهدية على قدر الْمُهْدَى إِلَيْهِ، ولكن يكفيني أني تلمست هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم : «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»، فتلك السطور من هذا البحث أهديها لفضيلتكم لتظل نورا ومرجعًا في وصف علمكم ومآثركم الكريمة على مدار الزمان والمكان لطلاب العلم.

إليك سيدي نور الدين والدنيا مولانا الجليل: **الشيخ علي جمعة**

مفتي جمهورية مصر العربية السابق وعضو هيئة كبار العلماء.

لجنة المناقشة والحكم مكونة من السَّادة العلماء الأجلاء:

الاسم	الوظيفة
الأستاذ الدكتور حسن السيد حامد خطاب	أستاذ الدراسات الإسلامية، ووكيل الكلية لشؤون البيئة وخدمة المجتمع السابق، ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة المنوفية.
الأستاذ الدكتور مُحَمَّد فكري الجزار	أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية السابق بكلية الآداب، جامعة المنوفية
الأستاذ الدكتور ياسر عطية الصعيدي	أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة المنوفية.
الأستاذ الدكتور مُحَمَّد إبراهيم العشماوي	أستاذ الحديث وعلومه جامعة الأزهر (فرع طنطا)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه..

وبعد، فإن التصوف يمثل مرتبة "الإحسان" الواردة في حديث أمين الوحي جبريل عليه السلام الذي جاء فيه ليبين للأمة مجموع أمر دينها وسبيل نجاتها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ»، قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: "الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ"، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». (متفق عليه).

ولا شك أن هذه الأركان قام بحقها الصحابة رضي الله عنهم من غير مشقة ولا تكلف، حيث شاهدوا الطَّلْعَةَ البَهِيَّةَ للحبيب المصطفى وصاحبوا نفْسه الشريفة وأنفاسه الطاهرة في السر والجهر، وبعد عهدهم المبارك دخل في الإسلام أجناس متنوعة وأمم شتى، مما اتسعت معه العلوم وتنوعت بين أهل الاختصاص، وكان من بين هذه العلوم من اشتغل بالإجابة عن: "كيف نعبد الله كأننا نراه"؟

ومن هنا نشأ علم "التصوف" وشاع مصطلح "الصوفية"، وفي ذلك يقول الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته [34/1، ط. دار المعارف]: "اعلموا رحمكم اللَّه تَعَالَى أَن المُسْلِمِينَ بَعْد رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يتسم أفاضلهم فِي عصرهم بتسمية علم سِوَى صحبة رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لَهُمْ: الصَّحَابَة، ولما أدركهم أهل

العصر الثَّانِي سُمى من صحب الصَّحَابَة بالتابعين، ورأوا ذَلِكَ أشرف سمة، ثُمَّ قيل لمن بعدهم: أتباع التابعين، ثُمَّ اختلف النَّاس وتباينت المراتب، فقيل لخواصِّ النَّاس مِمَّن لَهُمْ شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد، ثُمَّ ظهرت البدع وحصل التداعي بَيْنَ الفرق فكُل فريق ادَّعوا أَن فيهم زهدًا، فانفرد خواصُّ أهل السنة المراعون أنفاسهم مَعَ اللَّه تعالي، الحافظون قلوبهم عَن طوارق الغفلة باسم "التصوف"، واشتهر هَذَا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة" اهـ.

ثُمَّ شوهت صورة التصوف والصوفية من أعدائهم وأدعيائهم والمنتسبين إليهم، ودخل فيه ما ليس منه، مما جعل صفوة كل زمن يقومون بإحياء حقائق طريق القوم النقية وتجديد معانيها عبر الوسائل المتاحة من خلال العمل والبيان والدعوة وحسن الأسوة، مع الرفق بالجاهل، والرأفة بالأمة والشفقة عليها، وتقريب الصواب إلى الأفهام، والستر على المخطئ وتصحيح خطئه، امتثالا وتشبها بحقيقته صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا». (صحيح مسلم/ 1478).

ومن هذه الصفوة في زمننا المعاصر شيخي الإمام العلامة الشيخ علي جمعة الذي يُمَثِّل صورة زاهية للعالم الأزهري الجامع بين التحقق بطريق أهل الله وهم الصوفية أهل الحق والدعوة إليه وبين العلوم الشرعية وقوانين تحصيلها من حفظ المتون، وإتقان التعريفات، والصبر على المطولات، والنظر في الحواشي والتقريرات مع إلمام واسع بعوالم الواقع الخمسة (عالم الأفكار، وعالم الأشخاص، وعالم الأشياء وعالم الأحداث، وعالم النظم).

لقد صحبت فضيلته عبر عقود عمري المتعاقبة فوجدت سمات الشيخ المربي الوارث ومن أهمها: أنْ يَدُلَّ السالكَ على رَبِّهِ وليْسَ على نَفْسِه، وإِذَا اسْتَغْرَق فيه أَراه أَنَّهُ عَبْدٌ مِثْلُه يحتاجُ إلى رَبِّه؛ إذِ الطريقُ لَهُ غاية وهُوَ أنْ يأخذَ الشيخ بيدِ المريد ويُدْخِله على الله وَحْدَه.

ولا عجب فإنه واحد من العلماء الأفذاذ المتبحرين في علوم الشريعة الإسلاميَّة أصولًا

ووسائل، وشيوخه هم تلك الصفوة من الأكابر سلوكًا وعلمًا متصلًا بسلسلة رواتها إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما وهبه الله تعالى من ذكاء باهر وحافظة قوية، مما يؤكد أن طريق أهل الحق وهم الممثلون للفكر الإسلامي المستنير هو في أصله حلقات متصلة متعاقبة بين أجيال المسلمين، طبقًا لما كشف عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله الشريف: «يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ». [سنن البيهقي الكبرى/ 2091].

كما تتحدث جهوده المباركة ومشاركاته العلمية والعملية عبر المجالات المختلفة عن نفسها كحقائق ملموسة على أرض الواقع تُمَثِّل بداية لحركة حيوية دائبة في المسيرة الأزهرية بل في مسيرة الأمة الإسلاميَّة –ونرجو الله تعالى دوام آثارها إلى يوم القيامة–، فهي رجة بعث لمناحي الحياة العصرية وتجديدٌ حقيقيٌّ شاملٌ لها من أجل إبراز نموذج الإسلام الصحيح متحققًا في الوجود يمشي بين الناس، يعيش واقعهم وعصرهم وفق مناهج أهله السادة أهل التقى والنقى والجود والكرم لا مسائلهم.

وأعتقد أنه بتتبع هذه الخطوات الرصينة المشكورة الحميدة يمكن رسم معالم هادية لمشروع الأمة الحضاري، الذي ينبغي أن ينطلق من خلال بناء النسق الفكري والثقافي والأخلاقي المُكَوِّن لهوية الأمة الإسلامية، وذلك لأن شيخنا الإمام الجليل حفظه الله تعالى ونفع به في العالمين رمز مهم من رموز حياتنا المعاصرة؛ لأنه قد جمع بين إحياء القلوب وتهذيب النفوس وبين ترشيد الفكر والفهم وتجديد الخطاب الديني بالدرس الأكاديمي والإفتاء والاجتهاد والدعوة والإرشاد والإصلاح المؤسسي والإداري مع المشاركة بإيجابية في بناء المجتمع والوطن على كافة المستويات الثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة.

وهذه هي حقيقة التصوف لأنه عبارة عن خليط الروح والجسد وتطبيقات لسلوك النبي، لجمع الروح التي فيها الإحسان والقلب الذي فيه الإيمان، والإسلام المرتبط بالجوارح ويقوم

بدمجها جميعا في سلوك الإحسان والنور، والصلاح في خليط واحد.

وقد احتفيت برسالة الباحث فضيلة الشيخ/ كرم بهنسي رمضان الديب التي اختصت ببيان "انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف" وقد سلط فيها الضوء على بعض مجهودات شيخنا العلمية في تجلية الصدأ الذي علا قضية "التصوف والصوفية" تلك التي ظُلمت من أعدائها وأدعيائها على حد سواء، والانتصار لها ببيان أن أصول التصوف مستمدة من الكتاب والسنة والتمسك بما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من توحيد صافٍ، وفقه مستقيم، وأخلاق قويمة، وبيان أن الصوفية لهم الدور الرائد في الدعوة إلي الله وقيادة المجتمع نحو الصلاح والاستقرار.

وهو جهد مشكور يُعَدُّ لبنة جيدة في بيان الحقائق المسَلَّمة والذب عن ساحة السلف الصالح، ومعالجة الخطر الكبير الذي يداهم الأوطان والأمة، وهو التطرف والإرهاب، ولا شك أن هذا الخطر لن يزيله إلا التصوف العلمي الحقيقي، فليس لمواجهة التطرف إلا التصوف، ولا بد من إعادة مجالس الصوفية وتفعيل التصوف في المجتمع لحمايته من الفكر المتشدد.

أجزل الله للباحث جزيل العطاء على ما قصد وما بذل، وحقق بهذه الدراسة ما أمل، وسدد عقول المسلمين وخطواتهم لنافع العلم وصالح العمل، وحفظ الله ألستنا عن الخوض في أعراض العلماء والأولياء، ورزقنا بركة علمهم لنيل شفاعة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين،،،

د. مجدي محمد عاشور

المستشار الأكاديمي لمفتي الديار المصرية

ورئيس لجنة أمانة الفتوى بدار الإفتاء المصرية

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فإنَّ الانتصار للحق أمرٌ شَرعه الله تعالي ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا زال علماء الإسلام منذ عهد النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وسلم ينتصرون لما يرونه حقًا مؤيدين ذلك بالأدلة والبراهين والحجج العقلية، والتصوف الإسلامي جزء أساسي في التراث الإسلامي فوجب العناية به، والذبّ عنه ورد الشبهات التي يثيرها المبطلون بالحجة والبرهان، خاصة شبهات المعاصرين التي سلوا فيها أقلامهم بالعدوان والتشكيك والتلبيس، ويتعرض التصوف لحملة واسعة منظمة تهدف إلى إثارة الغبار حوله بإثارة دعاوى بعض المتشددين بأنه لا أصْل له من القرآن والسنة، مع أنَّ هذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النَّبَوِيّة واجتهاد العلماء فجعلوه علمًا سموه بعلم التصوف، أو علم التزكية، أو علم الأخلاق، فألفوا فيه الكتب الكثيرة بينّوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، ومن هؤلاء العلماء القدامي، الشيخ أبوحامد الغزالي، والقشيري، والإمام الجنيد ، والإمام عبد الحليم محمود، والشيخ محمد زكي الدين إبراهيم رحمهم الله وغيرهم ممن صار علي هذا الطريق القويم، ثم قيض الله لهذه الأمة إمامًا جليلًا أحيا الله به وعلي يديه التصوف الحق المقيد بالقرآن والسُّنَّة، وهو الشيخ علي جمعة، فبين المنهج وانتصر على المخالفين والمنكرين للتصوف بآرائه، وحججه القويمة مستندًا في انتصاراته إلى القرآن الكريم، والسنة النَّبَوِيّة المطهرة، وسار علي نهج السلف والخلف فقعد وأسَّس لهذا العلم حتى لا يدخله مَن ليس أهلًا له، فيفسد أكثر مما يصلح، وراء أن أعداء التصوف يهاجمونه بمنهجية منسقة واضحة المعالم، فقام بالرد على شبهاتهم وإنكارهم للتصوف بما فيه من آداب وقواعد، ومسائل.

وفي هذا البحث دراسة لبعض القواعد، والآداب، والمسائل التي تكلم فيها الشيخ مستندا

في ذلك بالكتاب والسنة وآراء السَّابقين من أهل التصوف.

أسباب اختيار الموضوع:

البحث من الدراسات المهمة المعاصرة بما يشتمل من قواعد وقضايا ومسائل اختلف فيها البعض،كانت الرغبة في دراسة الموضوع، ولقدكان من مقتضيات هذا البحث استخدام منهج تكاملي يجمع بين المنهج النظري والتحليلي والنقدي، فاستعنت بالله على الكتابة في هذا الموضوع لأسباب من أهمها:

أولا: كثرة انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف وتنوعها وتعددها، مع المنزلة الرفيعة التي يحتلها الشيخ في مجال التَّصوف النظري والعملي.

ثانيا: إن انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف تأخذ صورًا مختلفة فأحيانا تكون في اختيار رأي سابق وأحيانا تكون في شكل إقامة الدليل أو تعليله، كما قد تكون بمثابة رد على اعتراض من المخالفين.

ثالثا: دراسة انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف في الوقت الذي كثُر فيه أدعياء التصوف والمخالفين والمنكرين لها في ضبط الخطاب الدعوي المعاصر؛ له أهمية حيث يؤصل لفكر التصوف ويواكب روح التطور والتجديد الفكري الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويؤصِّل للوسطية المطلوبة في الخطاب الديني في الوقت الراهن.

رابعا: انتشار المغالين في التصوف في الوقت المعاصر يحتاج إلى رد علمي رصين.

خامسًا: تعدد المصادر والمناهج الصوفية المعاصرة التى تعالج الموضوع، وَرَصْد الشيخ لجميع الشبهات المثارة حول التصوف، فقام بالرد عليها بالحجة والبرهان.

سادسًا: كثرة دراسات الشيخ علي جمعة وتنوعها في مجال التصوف.

الدراسات السابقة:

بالبحث والتقصي في المكتبات، وعلي الشبكة العنكبوتية، لم أقف على رسائل علمية أكاديمية في هذا الشأن، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت جوانب فكر الشيخ علي جمعة المختلفة الفقهية والأصولية، ولا يوجد في حدود ما أعلم وفي حدود ما أخبرني به الشيخ علي جمعة أنه ليس هناك دراسات سابقة في التصوف للشيخ.

بعض الدراسات الحالية عن الشيخ:

1- افتراءات صحفية على مفتي الديار المصرية د. على جمعة المفترى عليه[1].

2- الرد المبين على طلحة المسكين[2].

مصادر الدراسة:

للشيخ علي جمعة كتابات في هذا المجال هي التي تعتمد عليها الدراسة، وهى تتوزع على الدراسة الآتية:

1- المجموعة الأولى: شروح في التَّصوف.

2- المجموعة الثانية: كتابات أصيلة في التَّصوف.

أولًا: الشروح:

1-المنح الإلهية في شرح الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري.

شرح الحكم العطائية، لفضيلة الدكتور العلامة علي جمعة، بالجامع الأزهر الشريف، والحقوق محفوظه، لدار الوابل الصيب، وكانت بداية هذه الشروح بتاريخ، 8.يونيو 2003.

---

(1) افتراءات صحفية على مفتي الديار المصرية د. على جمعة المفترى عليه، لمحمد مصطفي أبو زيد، دار الفاروق للإستشارات الثقافية، طبعة: 2008م.

(2) الرد المبين على طلحة المسكين، محمد مصطفي أبو زيد، دار الفاروق للإستشار والثقافة، طبعة: 2012م.

2-شرح كتاب الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيري محاضرات في التصوف الإسلامي

3. شرح الرسالة القشيرية، لفضيلة العلامة الشيخ علي جمعة، شرحها بالعشيرة المحمدية، والحقوق لدار الوابل الصيب وكانت بداية هذه الشروح بتاريخ، 25.10.2008.

4. شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، لفضيلة العلامة نور الدين علي جمعة، وكانت بداية هذه الشروح بتاريخ 24 .10.2009.

ثانيًا: الكتب:

1. سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، فضيلة الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى 1428هـ ، 2007م.

2. الطريق إلى الله، المؤلف: فضيلة الدكتور علي جمعة: دار المقطم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، سنة الطبع 2015م.

3. محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية، فضيلة الدكتور علي جمعة محمد، تحقيق الدكتور:موسى محمود شومان، دارالكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى 2006م.

4. البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية في قضايا عاجلة ، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار النصر للطباعة (هيدلاين)، سنة الطبع 2015م.

5. البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ، فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية، دار، المقطم، الطبعة الثانية عشر سنة 1435ه، 2014م.

6. المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، الدكتور علي جمعة، دار النصر للطباعة، الطبعة السادسة 2014م.

7. الوحي – القرآن الكريم، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الثانية، سنة 1230هـ ، 2009م.

8. التربية والسلوك، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى، سنة 1428هـ، 2007م.

9. النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، فضيلة الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الثانية، سنة 1430هـ ،2009م.

10. عقيدة أهل السنة والجماعة، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار المقطم، الطبعة الخامسة،2015، 1436هـ.

11- الدعاء والذكر، فضيلة الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى 1429هـ ، 2008م

12. وقال الإمام المبادئ العُظْمَ، فضيلة الإمام العلامة نور الدين علي جمع دار الوابل الصيب ،الطبعة الأولى، سنة 2010م.

13. النبراس في تفسير القرآن الكريم، فضيلة الامام العلامة نور الدين علي جمعة ،تحقيق الدكتور أسامة السيد محمود الأزهري، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، سنة 2010.

منهج البحث:

دوَّن علماؤنا المتقدمون من السَّادة الصوفية وغيرهم في الانتصار للتصوف، ولم يدَّخروا وسعًا في دفع الشبهات والردَّ عن التَّصوف مما هو مبثوث في بطون كتبهم، وعموم التراث الإسلامي، وهذه الجهود تحتاج إلي جمع وإلى رباط يسهل على العاملين في الانتصار لهذا العلم الإفاده منها، وهذا سيتبعه العمل على وضع أصول وقواعد للمشتغليين بردَّ الشبهات عن التصوف، ومن هؤلاء المهتمين، والمشتغلين، والمدافعين، والذين قاموا على جمع وربط هذا العلم في العصر الحديث الذي يواكب روح التطور والتجديد الفكري الشيخ علي جمعة، فقتضت طبيعة هذا البحث أن تُتُبع المنهج الاستنباطي للوصول إلى ما تدل عليه بعض

النصوص من الأدلة النقلية والعقلية على الانتصار، وكذلك توثيق ما ورد بالبحث من حجج عقلية، وذلك بجمع المادة من كتب الشيخ، ومن كتاباته الصوفية المتعلقة بموضوع الدراسة، ومن هنا جاء هذا البحث محاولًا وضع أطر منهجية للانتصار للتصوف، عن طريق ضبط مصطلح الانتصار للتصوف والوقوف على مفهومه، ومشروعيته، وأهميته، وهذا البحث يهدف أيضًا إلى الوقوف على ماهية العلاقة بين الانتصار للتصوف وبعض العلوم الأخرى، وربط آراء بعض أهل التصوف المعاصرين وعلى رأسهم الشيخ علي جمعة بالسَّابقين، وذلك عن طريق وضع بعض العلامات الدالة على الانتصار، ومن هذه العلامات:

انتصر للتصوف، ردعليهم، خالفه في ذلك، ولم يشذ.

ومن جهة أخرى قمت في هذا البحث بمراعاة أمور من أهمها ما يلي: -

1. عزو الآيات القرآن بذكر اسم السورة ورقمها ورقم الآية.

2. تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية .

. فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي به لأن المقصود ثبوت الصحة .

. وإن كان الحديث في غير الصحيحين فإني أخرجه من الكتب الستة وغيرها حسب الوسع والطاقة، مع ذكر حكم العلماء عليه وبيان درجته من الصحة والحسن والضعف .

. في تخريج الحديث ألتزم بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد

3. الترجمة للأعلام الواردة بالنص ما أمكن، واقتصرت في التعريف بالأعلام غير المشهورين، ولم أعرف بالأعلام الذين ورد ذكرهم داخل نص منقول، أو في متن حديث، وكذلك لم أعرف برواة الأحاديث، وكذلك لم أعرف بالمعاصرين.

4. تخريج النصوص، والإشارة إلى مصادرها بذكر اسم الكتاب مختصرًا ورقم الصفحة والجزء إن تعددت الأجزاء، مع الإكثار من ذكر مصادر التخريج ما أمكن.

5. وضع فهارس في آخر الرسالة تيسيرًا للوصول إلى ما حوته من نصوص، وكانت

الفهارس كالتالي: (للآيات القرآنية، وللأحاديث النَّبويَّة، وللأعلام المترجمين، وللمصادر والمراجع، وختمتها بفهرس عام للمحتويات والموضوعات.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة يتلوها الفهارس العلمية، ثم المراجع ففهرس الموضوعات:

مقدمة: في خطة البحث، ومنهجه، وأسباب اختياره.

التمهيد: «الانتصارات»، «الشيخ علي جمعة»، « التصوف».

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معني الانتصارات لغة واصطلاحًا.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معني الانتصارفي اللغة.

الفرع الثاني: مفهوم الانتصار في الاصطلاح.

الفرع الثالث: العلاقة بين الانتصار في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الفرق بين الانتصارات والمصطلحات المشتبهة بها.

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: الفرق بين الانتصارات والاختيارات.

الفرع الثاني: الفرق بين الانتصارات والتعليلات .

الفرع الثالث: الفرق بين الانتصارات والتوجهات.

الفرع الرابع: الفرق بين الانتصارات والترجيحات.

المطلب الثالث: ترجمة مختصرة للشيخ علي جمعة.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: التعريف بالشيخ، ومشايخه، وتلاميذه.

الفرع الثاني: مؤهلاته العلمية، ووظائفه، وثناء العلماء عليه، ومؤلفاته

المطلب الرابع: معني التصوف لغة واصطلاحًا.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معني التصوف لغة واصطلاحًا.

الفرع الثاني: الفرق بين التصوف، والصوفي، والصوفية.

المطلب الخامس: إشكالية الفكر الصوفي عند بعض الأدعياء في الوقت الراهن.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: نشأة وتاريخ التصوف

الفرع الثاني: بعض الإشكاليات التي تواجه التصوف في الوقت الراهن.

الفصل الأول: «انتصارات الشيخ علي جمعة في تأصيل الفكر الصوفي»

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث لأول: قواعد التصوف المستنبطة من القرآن الكريم عند الشيخ علي جمعة.

المبحث الثاني: قواعد التصوف المستنبطة من السنة النَّبَوِيِّة عند الشيخ علي جمعة.

المبحث الثالث: انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف بآراء السلف والسيرة العملية للسلف.

الفصل الثاني: «انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين من أهل التصوف».

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين من أهل التصوف بالكتاب والسنة.

المبحث الثاني: انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين بالحجج العقلية.

الفصل الثالث: «انتصارات الشيخ علي جمعه في الرد على المخالفين»

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: انتصارات الشيخ علي جمعة في الرد على المخالفين بالكتاب والسنة والآثار.

المبحث الثاني: انتصارات الشيخ علي جمعة في الرد على المخالفين بالحجج العقلية.

الفصل الرابع: «قواعد وآداب التصوف عند الشيخ علي جمعة»

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قواعد التصوف عند الشيخ علي جمعة.

المبحث الثاني: آداب التصوف عند الشيخ علي جمعة.

خاتمة البحث، وفيها: أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

الفهارس

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد والرشاد

وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم

وأن يغفر لي الزلل والسهو والنقصان وأن يرزقني الصواب.

تمهيد

«الانتصارات»، «الشيخ علي جمعة»، « التصوف»

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معني الانتصارات لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الفرق بين الانتصارات والمصطلحات المشتبهة بها.

المطلب الثالث: ترجمة مختصرة للشيخ علي جمعة.

المطلب الرابع: معني التصوف لغة واصطلاحا.

المطلب الخامس: إشكالية الفكر الصوفي عند بعض الأدعياء في الوقت الراهن.

المطلب الأول

معني الانتصارات لغة واصطلاحًا

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معني الانتصارات في اللغة.

معني «الانتصارات» لغة:

الانتصار مصدر انتصر، يقال: انتصر الرجل: إذا امتنع من ظالمه، ويكون الانتصار من الظالم: بالانتصاف والانتقام منه[1]، قال الله مخبرا عن نوح ودعائه إياه بأن ينصره على قومه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِر﴾[2]، كأنه قال لربه انتقم منهم، كما قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[3].

وفي معجم مقاييس اللغة: نصر: أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه ونصر الله المسلمين: أتاهم الظفر على عدوهم؛ ينصرهم نصرا[4]وانتصر لفلان: صار له نصيرا ودافع عنه[5].

والنُّصْرةُ: حُسْنُ المَعُونةِ والانْتِصارُ الانْتِقامُ[6].

---

(1) (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، (2001م) (12 / 113).

(2) سورة القمر {من الآية : 10}.

(3)سورة نوح {الآية: 26}.

(4) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزوينيى الرازي (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م (مادة 12).

(5) تهذيب اللغة (12/ 113).

(6) المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، تحقق: عبد

وعليه تدور معاني لفظة الانتصار في اللغة حول مجموعة من المعاني فقد اتفق أصحاب المعاجم اللغوية عن أن الانتصار هو:

1. الانتقام من الظالمين حقيقة ومجازًا.
2. الانتصاف وإظهار الحق.

الفرع الثاني: مفهوم الانتصار في الاصطلاح.

الانتصار في الاصطلاح هو: الانتصاف منه على درجة لا يكون فيها زيادة على قدر الظلم وبالوجه الذي أبيح الانتصاف به[1].

وقد ظهر في معاجم اللغة أن مادة الانتصار تدور حول عدة معان، وهي النصرة والانتصاف والانتقام من الظالم، ولا تبتعد كثيراً عن المعنى الاصطلاحي في التراث فالمعنى اللغوي بمثابة الغاية التي يهدف إليها المعنى الاصطلاحي للانتصار من الانتصاف والرد على الظلم الفكري، وهو في نفس الوقت يتصف بالعموم بالنسبة لمعنى النصرة ومشتقاتها بخلاف المعنى الاصطلاحي الذي يتصف كغيره من المصطلحات بالخصوصية؛ حيث وجدنا أن الانتصار في التراث يتعلق برد الشبهات والافتراءات في الأساس، وقد يكون متعلقاً بترجيح خلافي بين العلماء، وقد ينتقل من القضايا إلى الأشخاص فيكون الانتصار متعلقا بإنصاف من ظُلم في ميدان من ميادين العلم بسبب رأى له أو خلاف في الأصول أو الفروع.

الفرع الثالث: العلاقة بين الانتصار في اللغة والاصطلاح.

إن العلاقة بين الانتصار في اللغة والاصطلاح هي علاقة العام بالخاص مع بقاء المفهوم

الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م (8 / 300).

(1) أنوار البروق في أنواء الفروق (4 / 293)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ، الناشر: عالم الكتب

الأصلي والجذر الثلاثي فيما يهدف إليه كل منهما وإنما خصص المصطلح عن معناه اللغوي لخصوصية الميدان الذي يدور فيه المصطلح من قضايا الفكر ومباحث العلم، وهو إن صح قتال مدافعه لاقتتال بغي، يضطر إليه الباحث لدفع شبهات الزائغين، وأحيانا يكون لدفع الضار وإظهار ما يجب له في الوقت الغلبة ، والانتصار فهو انتصار بعد ظلم، وانتصاف من مظلوم وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ (1).

(1) سورة الشورى:{الآية:41}.

المطلب الثاني

الفرق بين الانتصارات والمصطلحات المشتبهة بها

الفرع الأول

الفرق بين الانتصارات والاختيارات.

الاختيار في اللغة:

قال ابن فارس:«الخاء، والياء، والراء، أصله العطف، والميل، ثم يحمل عليه، ويعطف علي صاحبه»[1].

وقال أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) [2]:الاختيار: الإرادة مع ملاحظة ما للطرف الآخر، كأن المختار ينظر إلي الطرفين، ويميل إلي أحدهما[3].

وفي الاصطلاح: ترجيح الشيء، وتخصيصه، وتقديمه علي غيره[4].

من خلال تعريف الانتصار والاختيار يتبين أن بينهما فرقًا، وهو أن الانتصار يقصد به الانتصاف وإظهار الحق على الخصم {فيه خصومة}، بينما الاختيار يراد به التخصيص

---

(1) مقاييس اللغة (2 / 232).

(2) هو: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، كان من قضاة الأحناف، وولي القضاء في (كِفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، واختلف في سنة وفاته، ودفن في تربة خالد، من مصنفاته: الكليات .

انظر ترجمته في: «الأعلام» لخير الدين الزركلي (2/ 38)، و«معجم المؤلفين» لعمر بن رضا كحالة (3/ 31).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية(1/ 62)، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

(4) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم :محمد بن علي بن القاضي، تحقيق الدكتور علي دحروج، الناشر مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة الأولي1996م.

والتقديم على غيره، {ليس فيه خصومة}، إنما الاختيار أمر قصد به تخصيص معين فكان المختار أمامه على السواء.

الفرع الثاني: الفرق بين الانتصارات والتعليلات.

التعليلات في اللغة: جمع كلمة تعليل، وقال التَّهانوي الحنفي[1]هو: تبين علة الشيء، وما يستدل به من العلة علي المعلول[2].

وفي الاصطلاح عند الأصوليين: إثبات العلل للأحكام الشَّرعية.

ومن هنا يتبين الفرق بين الانتصار والتعليل، فالمراد بالتعليل هو بيان الأسباب التي يعتمد عليها في الاختيار، وأما الانتصار فهو بيان قوة ما ذهب إليه من آراء.

الفرع الثالث: الفرق بين الانتصارات والتوجيهات.

التوجيهات في اللغة: جمع توجيه، وهو مصدر وجه، وجه إلي، والوجه والجهة بمعنا.

قال: نشوان الحميرى (المتوفى: 573هـ)[3] التوجيه: وجّهه فتوجّه، ووجّهتَ الشيءَ: أي

---

(1) هو: محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي، الحنفي، التهانوي. لغوي، مشارك في بعض العلوم، من أهل الهند من آثاره: «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» في مجلدين فرغ من تأليفه سنة 1158 هـ، و«سبق الغايات في نسق الآيات».

انظر ترجمته في: «الأعلام» لخير الدين للزركلي (ج6ص 295)، و«معجم المؤلفين» (ج11ص 47) لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة (المتوفى: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(2)كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 489) ، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م..

(3) هو: أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحميري، الفقيه العلامة المعتزلي النحوي اللغوي، وقال: كان أوحد أهل عصره، وأعلم أهل دهره، فقيها نبيلا، عالما متفننا، عارفا بالنحو واللغة والأصول

جعلته على جهةٍ واحدة[1].

وقال الجرجاني [2]التوجيه: إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم[3].

والفرق فيما بين الانتصارات، والتوجيهات.

أن التوجيه يكون بيانه خطأ ما ذهب إليه الخصم.

وأما الانتصار يكون ببيان صحة وقوة ما ذهب إليه المرء.

والفروع والأنساب والتواريخ وسائر فنون الأدب، شاعرا فصيحا بليغا مفوها، صنف: شمس العلوم في اللغة.

انظر ترجمته في: بغية الوعاة (2/ 312)، الأعلام للزركلي (8/ 20).

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (11/ 7083)، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)

المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م.

(2) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الشافعي الأشعري وكنيته أبو بكر إمام مشهور، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق، وفضائله مذكورة في ألسنة الأعيان من العلماء، وتوفي سنة إحدى أو أربع وسبعين وأربعمائة، من مصنفاته: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة في علم المعاني.

انظر ترجمته في: «الأعلام»(ج4ص 48)، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

(3) كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزيني الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)،

المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.

الفرع الرابع: الفرق بين الانتصارات والترجيحات.

الترجيحات في اللغة:

الترجيح: رَجَّحَ أحدَ القولين على الآخر: أي غلبه، من رجحان الميزان[1].

وقال زين الدين المنُاوي [2] (المتوفى: 1031هـ) الترجيح: زيادة الموزون، تقول رجحت الميزان ثقلت كفته بالموزون، ورجحت الشيء بالتثقيل: فضلته. وعرفا، تقويه أحد الدليلين بوجه معتبر.

وفي اصطلاح الأصوليين: تقوية طريق على آخر، ليعلم الأقوى، فيعمل به، ويطرح الآخر بيان الرجحان واثباته[3].

ومن خلال تعريف الترجيح يتضح لنا الفرق مابين الترجيح و الانتصار و هو:

1. أن الترجيح ليس فيه خصومة.
2. الترجيح فيه إثبات للقول المخالف مع ترجيح غيره.

والانتصار: فيه رد على قول المخالف وبيان ضعفه، وقلة أدلته، وبيان عدم فهمه للنصوص، وذلك بأنه ينتصر لرأيه ويبين ضعف من خالفه بالأدلة والبراهين والحجج.

إذًا الانتصار متضمن للاختيار والتعليل والتوجيه والترجيح.

---

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (4/ 2438).

(2) هو: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه. له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه : كنوز الحقائق. انظر:الأعلام للزركلي (6/ 204).

(3)الفائق في أصول الفقه (2/ 343) صفي الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي (المتوفى: 715 هـ)، المحقق: محمود نصار، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ- 2005 م.

المطلب الثالث

ترجمة مختصرة للشيخ علي جمعة

الفرع الأول: التعريف بالشيخ، ومشايخه، وتلاميذه.

أولًا: التعريف بالشيخ:

هو العلامة الجليل، الفقيه، الأصولي، الصوفي، المتفنن، الشيخ الإمام: نور الدين أبو الحسن على بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب بن سليم بن عبد الله بن سليمان الأزهري الشافعي[1].

مولده رضي الله عنه:

ولد رضي الله عنه فجر الاثنين المبارك السادس من جمادى الأخرة، وهو الشهر السادس أيضًا سنة 137هجرية، ووافق ذلك اليوم الثالث من مارس (آذار) وهو الشهر الثالث من سنة 1952 ميلادية، وكان ذلك اليوم هو اليوم 24 من أمشير وهو الشهر السادس من شهور سنه 1668 قبطية، وهو أيضًا اليوم 16 آذار وهو الشهر السادس أيضًا من شهور السنة العبرية 5713.

وكان ذلك في مدينة بني سويف عاصمة محافظة بني سويف في حي مقبل شارع أحمد توفيق بصعيد مصر بجمهورية مصر العربية[2].

ثانيًا: الشيوخ الذين تلقي عنهم العلم:

تلقى على عدد كبير من مشايخ الأزهر ومصر وسائر البلاد الإسلامية، وروى بالسند المتصل العلوم والفنون الشرعية واللغوية المختلفة، قرأ القرآن الكريم كاملًا على العلامة

---

(1) كتاب الدكتور بكر اسماعيل الكوسوفى فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية وجهودة فى توجية قضايا الفكر وتسير التراث الإسلامى (ص 3).

(2) كتاب فضيلة الاستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية وجهودة فى توجية قضايا الفكر وتيسير التراث الإسلامى (ص 4).

القارئ الشيخ محمد إسماعيل الصمداني - رحمه الله تعالى - شيخ مقرأة الجامع الأزهر الشريف، وهو عن العلامة الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، عن العلامة الشيخ خليل الجنايني، عن الشيخ المتولي الكبير بأسانيده وهى مشهورة، وقد أمن رواية ابن كثير إلى أخر سورة مريم على العلامة المتقن الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف عبد الله المالكي شيخ مقرأة الأزهر الشريف.

وقد قرأ كتاب: (الأدب المفرد) للبخارى على العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وقرأ على العلامة الشيخ محمد أبو النور زهير كتابه: (أصول الفقه)، وحضر في: منهاج البيضاوى وشروحة على العلامة الشيخ: الحسينى الشيخ، وقرأ: (اللمع) لأبى إسحاق الشيرازى، وصحيح البخاري كاملًا، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية، والأوائل السنبلية و(موطأ مالك) وغيرها على العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري، وحضر كتاب: (الأشباه والنظائر الفقهية) للسيوطي على العلامة الشيخ جاد الرب رمضان، وحضر في ومعنى المحتاج، للخطيب الشربيني على العلامة القارئ الفقيه الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات وحضر في كتاب: (التمهيد في تخريج الفروع على الأصول) للإسنوى على العلامة الحسينى يوسف الشيخ وحضر في كتاب (شرح العضد على مختصر ابن الحاجب، وفي إحكام الأمدى على العلامة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي المالكي.

وحضر عن غيرهم كثير مثل العلامة الشيخ إبراهيم أبو الخشب، والعلامة الشيخ محمد شمس الدين المنطقى، والعلامة الشيخ عوض الله حجازى والعلامة الشيخ عبد الحميد ميهوب، والعلامة الشيخ حسن أحمد مرعى.

كما أنَّه لزم العلامة العربى الشيخ أحمد محمد مرسى النقشبندى بضع سنوات ملازمة تامة وانتفع به، ثم العلامة الشيخ محمد ذكى الدين إبراهيم، وكذلك العلامة الأصولى المعمر الشيخ أحمد حمادة الشافعى النقشبندى، والعلامة الشيخ صالح الجعفرى، والعلامة الشيخ

إسماعيل صادق العدوى، كما انتفع كثيرا بالإمام الأكبر شيخ الإسلام العلامة الفقية جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الشريف واتصل طريقة أيضًا بالشيخ عبد الفتاح القاضي من طريق السيد حسن عباس ذكي(1).

وقرأ الشيخ البخارى كله على محدث العصر وخاتمة الحفاظ عبد الله بن الصديق الغماري.

وروى أسانيد الكتب والدفاتر ونحوها عن أكثر من خمس وعشرين شيخًا نخص منهم بالذكر: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ عوض الزبيدي، والشيخ محمد علوى مالكي، والشيخ أحمد جابر اليمني، والشيخ عبد العزيز الغماري، والشيخ سعيد اللحجي.

علوم أخرى غير الشرعية تبحر فيها الشيخ:

"وتلقى الشيخ علم الاقتصاد الإسلامي على يد الدكتور: عيسى عبده إبراهيم، وتلقى أسس علم الاقتصاد الغربى على يد الدكتور: يحيى عويس، والدكتور: على لطفي، والدكتور فيس عبد الملك، وتلقى علم القانون الوضعى على يد الدكتور: سامى مذكور، الدكتور: حمدى عبد الرحمن، والدكتور حسين النوى وغيرهم، وتلقى علم الإدارة على يد الدكتور: ماهر عليش، والدكتور: على عبد الوهاب: والدكتور: سيد الهوارى وغيرهم، وتلقى علم الرياضيات العليا على يد الدكتور: فتحى محمد على، والدكتور: داود منسي وغيرهم (2) ودرس الشيخ الكيمياء والرياضيات وفهم فلسفة المعادلات، ودرس الشيخ في الفلك،

(1) كتاب أسانيد المصريين جمهرة فى المتأخرين من علماء مصر ومنهاجهم وبيان سلاسل أسانيدهم وذكر أسانيدنا إليهم د. أسامه السيد محمود الأزهرى ط. الأولى 1432هـ 21م

وهو خطيب ومحاضر بجامعة الأزهر ولد فى الاسكندرية يوم الجمعة 18 رجب 1396هـ - 16 يوليو 1976م نشأ فى سوهاج من صعيد مصر.

(2) أسانيد المصريين جمهرة فى المتأخرين من علماء مصر ومناهجهم وبيان سلاسل أسانيدهم وذكر أسانيد نا إليهم ص543.

ودرس علوم الإدارة، ودرس القانون وغير ذلك الكثير، ويتحدث الدكتور أسامة الأزهري عن الشيخ فيقول: «الشيخ علي جمعة لما قرأت له بعض من كتبه وجالسته رأيت فيه شخصية متفتحة نبيلة، وله همة عالية في كل المجالات وأنشطة واسعة وخبرة تامة، يأخذ بزمام الأمور؛ لأنه صاحب خبرة كبيرة لتحصليه كثير من العلوم والفنون فنجد بأنه ينفض علمًا كالبحر المتلاطم بالأمواج لثقافته الواسعة وعلمه الجم الكثير ذكر صاحب كتاب "مفتى الديار المصرية" قوله "الأستاذ الدكتور علي جمعة مفكر إسلامى كبير عالم متفنن، وبحر زاخر لما حباه الله من عقل واسع، وقريحة وقادة، وذكاء ومظنة وهو معلم قدوة ومرب مخلص وأستاذ مفيد، وعلَم فريد، شهد له بذلك كثير من معاصريه وأقر بفضله فضلا عصره ومصره ولما لا وهو الذى وقف حياته كلها في خدمة العلم دراسة وتحصيلًا ونشر، فألقى الدرس، وألف، وصنف.

ورغم أنه أصولي متمكن، ولغوي بارع في لغته، فقيه عالم بالفقه وقواعده درس العلوم التجريبية من رياضته، واقتصاد وحسابيات ونحوها، ووقف على دقائقها وأتقن قواعدها، فقد دعته همته العالية ونفسه الوثابة نحو العلا إلى الإطلاع، ودراسة العلوم الكونية والرياضيات، فحذفها وبرع فيها حتى صار علمًا فيها، متمكنا منها.

ومن الواضح أن إلمام الدكتور علي جمعة بهذه الصنوف من الفنون، ووقوفه على قواعد تلك الأنواع من العلوم كالرياضيات، والاقتصاد، والحسابيات، والهندسيات، وإنما كان مقصودًا من جانبة: إذ أنه يرى أن عدم الأخذ بنصيب وافر من تلك الأنواع من العلوم قد يوقع الفقيه والحاكم في الخطأ في كثير من الأحيان، فيخفي عليه بذلك الحق الذى يطلبه ونظرًا لكثرة إلمام الفكر بالعلوم والفنون قصده كثير من الطلاب من كافة البلدان، يتلقون

عليه ويأخذون عنه بالجامع الأزهر الشريف(1).

ثانيًا: تلاميذ الشيخ:

التلاميذ الذين تلقوا العلم على يد الشيخ علي جمعة في مصر وخارجها علماء كُثُرٌ، ومن هؤلاء العلماء لكثرة عددهم:

1.الدكتور أسامة الأزهري.

أسامة السيد محمود محمد الأزهري، هو خطيب ومحاضر أزهري، ولد في الأسكندرية يوم الجمعة 18 رجب 1396. 16يوليوا 1976، ، حصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) من كلية أصول الدين بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بالطبع والتداول عام 2011.

تتلمذ على يد مولانا الإمام فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة وأخذ العلم على يديه.

الوظيفة: شغل الأستاذ الدكتور أسامة محمود الأزهري وظائف عديدة منها:

مدرس بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالزقازيق، ومستشارًا دينيًا للسيد رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسى.

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات داخل مصر وخارجها وله من المؤلفات الكثير منها:

الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، دار الفقيه أبوظبي، الطبعة الأولى سنة 1436 هـ، 2015م.

صائد اللؤلؤ، خطوات على طريق بناء الإنسان، الطبعة الأولى سنة 1431هـ، 2010م، دار الوابل الصيب بالقاهرة، ودار الفقيه في أبوظبي.

---

(1) أسانيد المصريين جمهرة فى المتأخرين من علماء مصر ومناهجهم وبيان سلاسل أسانيدهم وذكر أسانيدنا إليهم ص 543.

2. الدكتور مجدي محمد محمد عاشور.

ولد بالقاهرةفي 1961/10/24م، حاصل على دكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة عين شمس.

تتلمذ على يد مولانا الإمام فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة من عام 1981م إلى الآن وهو من مريدي الشيخ، وأخذ علوم التزكية. واعتني بالتصوف حتى سار على نهج شيخه.

الوظيفة: شغل الدكتور مجدي عاشور وظائف عديدة منها:

المستشار الأكاديمي لفضيلة مفتي الديار المصرية ، ورئيس أمانة الفتوى بدار الإفتاء المصرية، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وصاحب برنامج دقيقه فقهية بإذاعة القرآن الكريم بالقاهرة.

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات داخل مصر وخارجها وله من المؤلفات الكثير منها: الثابت والمتغير عند الإمام أبي إسحاق الشاطبي (صاحب الموافقات).

السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم: أصول وضوابط

3. الدكتور عمرو مصطفى الورداني.

ولد في 1971/5/15م. حاصل على دكتوراه في الشريعة الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 2013م

تتلمذ على يد مولانا الإمام فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة وقرأ على فضيلته الكثير من الكتب، وهومن مريدي الشيخ، وأخذ علوم التزكية.

الوظيفة: يشغل الدكتور عمرو الورداني وظائف عديده منها

أمين الفتوى ومدير التدريب بدار الإفتاء المصرية، إلي الآن ومازال 2018/10/6.

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات داخل مصر وخارجها منها:

المشاركة العلمية في الندوة الدولية حول "مناهج الاستمداد من الوحي" المقامة في المغرب

في عام 2008.

من مؤلفاته: الأنشطة العاملة في مجال الأوراق المالية من منظور الفقه الإسلامي مقارنة بالقانون المصري.

4. الدكتور عصام السيد أنس الزفتاوي

ولد بالقاهرة في جمادي الآخرة 1387هـ يوليو 1967م، حاصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، بجامعة القاهرة.

تتلمذ على يد مولانا الشيخ علي جمعة وقرأ على فضيلته الكثير من الكتب، وهومن مريدي الشيخ، واعتنى بتلقي التربية الروحية الصوفية علي يديه رضي الله عنه.

الوظائف: شغل الدكتور عصام السيد أنس الزفتاوي عددًا كبيرًا من الوظائف الهامة منها:

أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية ، وعضو لجنة أمنة الفتوى العليا.

مدير عام دار الإفتاء المصرية فرع أسيوط منذ عام 1433هـ / 2013م. وحتى الآن.

مؤسس ورئيس قسم التصوف الإسلامي بجمعية المكنزالإسلامي 2003.2006م.

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات داخل مصر وخارجها وشارك وأشرف على العديد من المشروعات العلمية، وله أكثر من (60) عملا علميًا.

5. الدكتور أدهم تمام فراج عبد الرحمن.

ولد في 1975/1/5، حاصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر

تتلمذ على يد مولانا الإمام فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة وقرأ على فضيلته الكثير من الكتب، وهومن مريدي الشيخ، وأخذ علوم التزكية.

الوظيفة: يشغل الدكتور أدهم تمام وظائف عدة منها:

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر .

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات داخل مصر وخارجها وله من المؤلفات الكثير

منها:

الاختيارات الأصولية للقاضي أبي يعلى البغدادي دراسة أصولية نقدية مقارنة.

6.الدكتور محمد وسام عباس خضر.

ولد بمحافظة الجيزة بمصر يوم الأحد 22 من رمضان 1392هـ الموافق 29 أكتوبر 1972م، حاصل على درجة العالمية (الدكتوراه) بتاريخ 2008/12/2. من قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بأسيوط بجامعة الأزهر الشريف.

تتلمذ على يد مولانا الشيخ علي جمعة وقرأ على فضيلته الكثير من الكتب، وهومن مريدي الشيخ، وأخذ الطريق.

الوظائف: شغل الدكتور محمد وسام عددًا من الوظائف من أهمها:

أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية إلي الآن وما زال.

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات داخل مصر وخارجها منها: عضو مشارك في" المؤتمر العلمي الشرعي لمسألة " ختان الإناث" المنعقد بمدينة روتردام بهولندا.

7.الشيخ محمد عوض عمر المنقوش

ولد ببنغازي، بالجمهورية اللبية الشقيقة في 3.4 1968، تخرج من كلية أصول الدين، قسم الحديث النبوي، بجامعة لأزهر.

تتلمذ على يد مولانا الشيخ علي جمعة وقرأ على فضيلته الكثير من الكتب، وهومن مريدي الشيخ، واعتنى بتلقي التربية الروحية الصوفية علي يديه رضي الله عنه.

طرف من حياته:

وأهم ما يتميز به الشيخ ما آتاه الله من الإطلاع الواسع، والمعرفة التامة والملكة الواسعة العامرة بغرائب المصنفات، وعند الشيخ الإلمام بالكثير من العلوم، بالاقتصاد، والفكر

المعاصر، والفلسفة، والمناهج الفكرية المختلفة، على نحو قل أن يجتمع لأحد[1].

الشيخ علي جمعة أحيا الله تعالى به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف.

وقد أحيا الله تعالى به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طول موات، وعادت تقرأ فيه عيون الكتب حديثًا، وفقهًا، وأصولًا، وعربية، ومعقولًا على عدد من العلماء على نحو كان قد انقطع منذ زمن.

فأقرأ صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبى داود، وسنن الترمذى وموطًا مالك وقطعة من سنن السنائى والشفا للقاضى عياض، وتشنيف المسامع للزركشى على جمع الجوامع للتاج السبكى في أصول الفقه، وابن عقيل على الألفية في النحو، ، ومتن الخزيدة في علم الكلام، والإقناع للخطيب الشربينى والباجورى على حاشيته ابن قاسم في فقه السادة الشافعية، والأشباه والنظائر للسيوطى، والتمهيدى للإسنوى وقطعة من الكشاف للزمخشرى،كما كان له درس في مسجد السلطان حسن عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع، فأقرأ فيه ابن قاسم على متن أبى شجاع، وغيرها.

وكان رضى الله عنه يأتى إلى الأزهر الشريف عقب الشروق بقليل، فيجلس نحوًا من ثلاث ساعات أو يزيد، فيتحلق طلاب العلم من الأقطار المختلفة، حتى يمتلئ بهم رواق الأتراك، وتوضع بين يدية في المجلس مبخرة يفوح منها الطيب والبخور، فكان المجلس روضه من رياض الجنة، ثم يشرع القارئ في قراءة مجلس الحديث، وبعده مجلس الاصول، وبعده حظ من الفقه، وبعدها قراءات أخرى في فنون مختلفة، مختاره من الشفا للقاضى عياض، وتارة من الكشاف للزمخشرى، والشيخ في كل ذلك يسمع، فإذا عرضت مسأله أو قضية أو مبحث، أو استشكل أحد شيئا شرع الشيخ في الكلام، فيأتى بالتدقيقات الباهرة،

---

(1) الشيخ أسامة السيد الأزهرى، أسانيد المصريين ص 544 .

والمفاهيم الدقيقة، مستعملاً الأدوات العلمية من أصول ومنطق ولغة، ثم إنه يأذن لطلبة بالسؤال والمباحثة، فلا تزال تنفتح البحوث والمسائل، ولربما شارك في النقاش غير واحد، الشيخ يرقب نقاشهم، ثم يعقب على الجميع، فيأتى بما لا يخطر لهم على بال، ولربما احتاج الأمر إلى اجتلاب النصوص من الحواشى والمطولات، فترى من سعة إطلاع الشيخ، ومعرفة بمظان المسائل العجب العجاب، والأعجب من ذلك كله أنه يتغلغل في المبحث العلمى الدقيق، فلا يزال به حتى ينزله على الفكر المعاصر، والنوازل المستجدة، فنتعلم منه كيف يدرس الواقع على ضوء القواعد، وله في ذلك التفرد الذى لا يلحقة فيه أحد من المعاصرين، ولا نحصى كم سمعناه يقول: (أنا لا أريدكم أن تحفظواكلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا في عصركم كما عاش الصحابة في عصرهم، حتى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم)[1].

(1)أسانيد المصريين، ص 545.

الفرع الثاني: مؤهلاته العلمية، ووظائفه، وثناء العلماء عليه، ومؤلفاته.

أولًا: المؤهلات العلمية للشيخ ومهنته وتنقلاته:

كانت دراسة الشيخ، على جمعة متنوعة مما يدل على علو همته في العلم، وهمته العالية في طلبه فقد حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة عين شمس سنة 1973م ثم التحق بالأزهر الشريف، وأتى بجميع علوم الإعدادية والثانوية المقرارات على طلاب الأزهر في المرحلتين الإعدادية والثانوية وعكف عليها، ثم حصل على الإجازة العالية "الليسانس" من كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الأزهر الشريف سنة 1979م، ثم حصل على درجة التخصص "الماجستير"، في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف سنة 1985م، بدرجة ممتاز ثم حصل على درجة العالمية "الدكتوراه" من كلية الشريعة والقانون في أصول الفقه – جامعة الأزهر الشريف سنة 1988م[1] ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى حصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب الإنسانية من قبل جامعة ليفربول في 19 يوليو 2011 م لدوره في نشر التسامح والتفاهم بين الأديان على مستوى العالم والدكتوراه الفخرية من جامعة أسيوط بمصر باعتباره أحد أهم الشخصيات المصرية المؤثرة في تفعيل منظومة العمل الخيرى والتطوعى لتنمية المجتمع ونشر ثقافة البذل والعطاء من أجل تنمية المجتمع المصرى في 13 يونيو 212م، والدكتوراه الفخرية من جامعة بنى سويف في العلوم الإنسانية في عيد العلم الثانى بتاريخ 26 مارس 213م، نال فضيلته وسام الاستقلال من الدرجة الأولى من الملك عبد الله الثانى عاهل الأردن، نال الشيخ نجمة القدس عن الرئيس الفلسطينى محمود عباس، نال الشيخ درع الجيش المصرى من الفريق أول عبد الفتاح السيسي، القائد الأعلى للقوات المسلحة.

(1) كتاب فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة "مفتى الديار المصرية وجهودة فى توجية قضايا الفكر وتيسير التراث الإسلامى" ص5.

ثانيًا: ومن أهم الوظائف التى اشتغل بها الشيخ:

أستاذ أصول الفقه بقسم الشريعة الإسلامية – كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر الشريف منذ عام 2001م.

عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف منذ عام 1995 إلى 1997م، عضو لجنة الفقه بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية[1].

عضو مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر العالم الإسلامى بجدة.

المشرف العام على الجامع الأزهر الشريف منذ عام، 1999م حتى عام 2013م.

عضو مؤتمر الفقه الإسلامى بالهند.

مفتى الديار المصرية منذ عام 2003م وحتى 2013 م.

عضو هيئة كبار العلماء.

ثالثًا: ثناء العلماء على (الشيخ علي جمعة).

الشيخ علي جمعة أمة وحدة نوَّر الله به الحياة لما يمتلك من ملكات ومهارات أعطاه الله إياه، والشيخ له رصيد هائل من خلاصة الفكر الحر المستنير في خدمة الأمة وقضايا العالم الإسلامي، ونراه ما من قضية إلا وتكلم فيها الشيخ في جميع العلوم والفنون.

العلماء الذين أثنوا على الشيخ كُثر من هولاء:

1. شيخ الإسلام عبد الله بن الصديق الغماري[2]، حيث يقول: الشيخ علي أمة وحده ومات

---

(1) انظر كتاب فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية وجهودة فى توجية قضايا الفكر وتيسير التراث الإسلامى ص6 للوقف على أهم الوظائف التى اشتغل بها وتقلدها.

(2) هو: الحافظ السيد أبوالفضل عبدالله ابن العلاَّمة أبي عبدالله شمس الدين محمدابن الولي الكبير سيدي محمد الصديق الغوماري وُلد في ءاخر يوم من جمادى الآخرةسنة1328 هـ 1910 - بطنجة، ينتسب إلى أسرة بن الصديق العالمة الشريفة) السادة الغومارية .. (يعتبر من ذرية الحسن السبط حفيد رسول الله

من مات من شيوخ الوقت ممن أدركتهم وهم عنه راضون، وهذا من علامات التوفيق(1).

2. من هؤلاء فضيلة الشيخ الدكتور أسامة الأزهري فقال: «بل إنني كلما تأملت عقل الشيخ وفقهه، ورأيت قوة نظره في الحوادث، وكيفية إلحاقها بنصوص العلماء وكلامهم، تذكرت العلامة زين الدين الشافعي عمر بن محمد، حيث قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر (2) في ترجمته في كتاب: (الدرر الكامنه): قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه غواصًا على المعاني، منزلًا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلًا عجيبًا، لم أر مثله في هذا الباب (3) قلت وكأني به يصف شيخنا حفظه الله تعالى ورعاه.

3. أثنى على الشيخ أيضًا من غير المسلمين الدكتور: "ستيف كيلالا" رئيس مركز دراسات السلام والاقتصاد باستراليا حيث قال:أن الشيخ علي جمعة كَرَّسَ من نفسه للصالح العام، ليس للمسلمين فحسب ولكن لجميع الإنسانية فيما يجعله يمثل وجهه مشرفة للعالم الإسلامي لسعيه الدءوب لتوضيح منهجية السلام الذي يمثل الفكرة الأساسية في الدين الإسلامي وأن السواد الأعظم من المسلمين البالغ عددهم مليار ونصف المليار محبون

صلى الله عليه وسلم. من علماء المغرب توفي سنة 1993 فقيه ومحدّث وقد وصل في علم الحديث بالخصوص، إلى درجة عالية،حتى اعتبر حافظ العصر،إذكان يستظهر أكثر من عشرة آلاف حديثًا سانيدها، ومعرفة رجالها، وهو إلى جانب هذا كان معروفًا بالتصوف والانقطاع للعبادة.

(1) أسانيد المصريين 545.

(2) الاسنوى هو جمال الدين الاسنوى هو الإمام عبد الرحيم بن الحسن بن على بن عمر بن على بن ابراهيم الأموى الشيخ جمال أبو محمد الاسنوى الفقيه الشافعى الاصولى النحوى العروض، ولد فى العشر الأخير من الحجة سنة أربعة وسبعمائة باسنا وهى مدينة بأقصى صعيد مصر .

(3) الدرر الكامنة 220/4 . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند.

للسلام، علاوة على تحذيره في كافة المنتديات الغربية عن خطورة الاعتماد على تفسيرات مشوهة ومحرفة لا أصل لها في الدين الإسلامي، مؤكدًا أن هذا يعد اعترافًا وتقديرًا لدوره الفاعل، وجهوده المؤسسة الكبيرة في نشر التسامح والتفاهم بين الشرق والغرب، والأديان على مستوى العالم، وأشار إلى أن الدكتور على جمعة قيادة دينية لها قبول في العالم أجمع، ويملك قدرات وإمكانيات هائلة للتواصل مع العالم [1].

رابعًا: مؤلفات الشيخ علي جمعة:

لقد أوتي الشيخ علي جمعة قلمًا سيالًا يدل على غزارة علمه، فكتب في علوم شتى، فله من المؤلفات فوق السبعين مؤلفًا، وأبرزها في علوم الشَّريعة والتصوف ومنها:

1. سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين[2].
2. الطريق إلى الله[3].
3. تيسير النهج في شرح مناسك الحج[4].
4. صناعة الإفتاء[5].
5. محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية[1].

---

(1) "محيط التقرير العالمى للسلام، يبين جهود المفتى فى ثقافة التسامح بين الأديان" اطلع عليه بتاريخ 2016/11/5م.

(2) سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، فضيلة الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى 1428هـ، 2007م.

(3) الطريق إلى الله، المؤلف: فضيلة الدكتور علي جمعة، دار النشر: دار المقطم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2015م.

(4) تيسير النهج في شرح مناسك الحج، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار لوابل الصيب، الطبعة الأولى 1427هـ، 2006م.

(5) صناعة الإفتاء، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، 2008م.

6. البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية في قضايا عاجلة[2].

7. البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل[3]،

8. المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم[4].

9. الوحي. القرآن الكريم[5].

10. التربية والسلوك[6].

حقق الشيخ وراجع كتبًا كثيره منها:

1. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووى دار الكتاب اللبناني تحقيق وتعليق، 1991م.

2. الإختيارات الأصولية في المجمل والمبين والنسخ والسنه والإجماع للدكتور عبد الله ربيع الصادر عن دار النهار تقديم ومراجعة، 1996م.

3. تشنيف الآذان بأدلة استحباب السَّيادة عند اسمه (صلى الله عليه وسلم) في الصلاة

---

(1) محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية، فضيلة الدكتور علي جمعة محمد، تحقيق الدكتور: موسى محمود شومان، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى 2006م.

(2)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية في قضايا عاجلة ، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار النصر للطباعة (هيدلاين)، سنة الطبع 2015م.

(3)البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ، فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية، دار، المقطم، الطبعة الثانية عشر سنة 1435ه، 2014م.

(4)المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، الدكتور علي جمعة، دار النصر للطباعة ،الطبعة السادسة 2014م

(5)الوحي . القرآن الكريم، فضيلة الدكتور علي جمعة، دار لوابل الصيب، الطبعة الثانية، سنة 1230ھ ، 2009م.

(6)التربية والسلوك، فضيلة الدكتور علي جمعة،دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى، سنة 1428ھ، 2007م.

والإقامة والآذان للعالم المحدث الفقية أحمد بن محمد بن الصديق العشماوى الصادر عن دار جوامع الكلم مراجعة وتحقيق وتقديم، 2000م.

وغير ذلك ما يزيد عن ثلاثين عنوانًا بين تحقيق ومراجعة وتعليق.

الإبحاث والمقالات، كثيرة منها:

الوقف فقها وواقعًا. التسامح الإسلامى. النفس ومراتبها. وغير ذلك له ما يزيد عن أكثر من عشرين بحثًا ومقالًا غير الكثير عن المقالات الصحافية بالصحافة، المصرية والعربية والعالمية، والعديد من المحاضرات العلمية في أكثر من 30 دولة، غير خطب جمعة مطبوعة في مجلد ومترجمة إلى الإنجليزية وغير ذلك كثير.

الإشراف على موسوعات:

أشرف الشيخ علي أكثر من 13 موسوعة علمية كبيرة وضخمة، ومن هذه الموسوعات

(الموسوعة الإسلامية العامة. صدرت عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية إشراف عام 2001م.)

(الموسوعة القرآنية المتخصصة صدرت عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لإشراف عام، 2003م).

دائرة معارف في سيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم تأليف العلامة شبلى النعماني، وأكملها تلميذه سليمان البدوي، وترجمها الدكتور يوسف عامر (7 أجزاء) قدم لها، عام 2005م. وغير ذلك من الإشراف على الموسوعات العلمية.

الإشراف على مشاريع علمية:

أشرف الشيخ علي أكثر من عشرة مشاريع علمية كبيرة وضخمة، من أبرزها: إدخال كتب السنة بالكمبيوتر، وعمل برامج الإستراجاع وطباعة الكتب السبعة بجمعية المكانز لإسلامى في 19 مجلدًا.

المطلب الرابع

معني التصوف لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: معني التصوف لغة واصطلاحا.

تعددت تعريفات أهل العلم لمصطلح ومعنى التصوف، ولقد كان للشيخ مشاركة في توجيه هذه التعريفات واختيار الجامع لها.

التصوّف في اللغة: ارتداء الصوف وهو من أثر الزّهد في الدنيا وترك التنعّم.

وفي اصطلاح أهل العرفان: تطهير القلب من محبة ما سوى الله، وتزيين الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالأوامر والابتعاد عن النواهي، والمواظبة على سنّة النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم [1].

الفرع الثاني: الفرق بين التصوف، والصوفي، والصوفية.

أولًا: ما هو التصوف:

بعض النماذج التي جرت علي ألسنة الصوفية لتعريف التصوف، وذَكَرَ الشيخ علي جمعة بعض التعريفات وشرحها وعلق عليها، وقام بترجيح بعضًا منها، ومن هؤلاء:

أولًا: قال معروف الكرخي (ت 200)[2]: "التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في

---

(1) كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم (1/ 457).

(2) هو: أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي البغدادي. أحد أعلام الزهاد و المتصوفين. هو من أصل نبطي بأعلى، عراقي قديم وهو ما أثبته عدد من الدراسات الأكاديمية التاريخية حيث ثبتت عدد بئه وإنه من أصل عربى عند المؤرخين العرب مثل مصطفى جواد وغيرهم، ولقد أثبت الإستاذ ناجى معروف عروبته وإنتمائة إلى أصل عربى بسند تاريخي، لمذهب والأديان فى العراق، الخيون، رشيد، ص67، توفى معروف فى بغداد سنة 2هـ الموافق 851م ودفن فيها، في مقبرة الشونيزية والمعروفة باسم مقبرة باب الدير العتيقة على جانب الكرخ من مدينة بغداد.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (8/ 86)، تاريخ الإسلام (4/ 1210).

أيدي الخلائق(1).

الشيخ علي جمعة في شرحه لهذا التعريف، أشار في جزئه الأول إلى طبيعة الجانب المعرفي للتصوف، والجانب السلوكي، وهو معرفة حقائق الأشياء وجواهرها، وعدم الاكتفاء بما تعطيه ظواهرها.

أما الجزء الأخر من التعريف فيشير إلى مقام الزهد، وهو التخلي عما في أيدي الناس من أملاك رغبة في الله تعالى.

وساق الشيخ تعريفًا آخر لبعض علماء أهل الفن ليبين أن حقيقة التصوف هي العلاقة بين العبد وبين خالقه.

ثانيًا: سئل سمنون (ت 29)(2) عن التصوف فقال: " أن لاتملك شيئًا ولايملك شي "(3).

شرح الشيخ لهذا التعريف:

العلاقة هنا بين المالك والمملوك علاقة تبادلية، فمالك للشيء يكون مملوكًا له، كالمال، فهو مملوك وفي الوقت نفسه مالك لقلب صاحبه ويده، فأن تملك شيئًا ولا يملك شيء، يعنى التحقق بمقام العبودية الخالصة حيث تحررت من رق الأكوان وأصبحت عبوديتك خالصة لله وحده حتى إن رزقك الله المال فلا تملكه وإنما تجوزه وتوزعه فيما أراد مالكه الحقيقي، وعلى هذا كان دعاء أهل الله: "اللّهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا".

---

(1)الرسالة القشيرية، الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرةص280، وعوارف المعارف، ص79

(2) سمنون بن حمزة الخواص، أبو الحسن، أو أبو بكر: صوفي ناسك، من الشعراء. له مقطوعات في غاية الجودة. وهو من أهل البصرة. سكن بغداد وتوفي بها. تاريخ أربل (2/ 181)، وتاريخ الإسلام (6/ 950).

(3) البيان لما يشغل الأذهان فتاوي شافية في قضايا عاجلة ص 293.

ثالثًا: قال عمرو بن عثمان المكي(ت 291)[1]: "التصوف أن يكون العبدفي كل وقت مشغولا بما هو أولي في الوقت"[2].

تعريفا آخر مقارب لهذا التعريف في المراقبة:

وقال أبو بكر الشلبي[3](ت 334): "التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك"[4].

شرح الشيخ هذه التعريفات السابقة الذي يؤكد أوجه تعريفات التصوف فقال:وهذه التعريفات كلها تنطبق من حال المراقبة، وبها يتمكن العبد من أداء أعماله على الوجه الأكمل، وكما أريد لها أن تكون وحال المراقبة مستفاد من الإحسان في قوله صلى الله عليه وسلم : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "[5].

---

(1) هو: أبوعبد الله عمرو بن عثمان المكي، من الصوفية الكبار، من أهل مكة، ومات ببغداد؛ وكان قدم من مكة. وقد ولي قضاء جدة، فما عاده الجنيد في مرضه. انظر: طبقات الأولياء (ص: 343)لإبن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) ، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة ، وتاريخ الإسلام (6/ 990)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م.

(2) عوارف المعارف، ص81 (وهو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص الإمام الربانى أبو عبد الله المكى توفى سنة 300هـ) .

(3) هو: أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشلبى ولد فى سامداء عام 247هـ - 861م وهو تركى الأصل من قرية شلبية من أعمال أشرونسة توفى 334 ه)، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، وليد الأعظمي، الطبعة الأولي، مكتبة الرقيم، بغداد، 2001م.

(4) طبقات الصوفية ص340، لمحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 19) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن

تعريف الإمام الجُنَيد للتصوف:

سئل الجنيد (ت 297)[1]: عن التصوف فقال: "هو أن يمتك الحق عنك ويحيك به" [2]

شرح الشيخ هذا المعني بقوله: وهو قول صادر من حال الغناء، وفيه يغنى العبد عن رؤية نفسه بنفسه ليراها برؤية الله له، فتكون رؤيته بالله ولله ولاحظ للنفس فيها.

ثم يذكر الشيخ معنى مطابقًا للمعنى السابق فيقول ويدخل في المعنى نفسه قول أبى نصر الطوسي (ت 378)[3]: "إسقاط روية الخلق ظاهر أو باطنا" [4].

الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة رقم[50]، وأخرجه مسلم في صحيحه (1/ 37)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم [8]، من حديث أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة .

(1) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز، أبو القاسم : مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد، أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري ، لعمل القوارير، وعرف الجنيد بالخزاز، لأنه كان يعمل بالخز. قال أحد معاصريه : ما رأت عيناى مثله، الكتبة يحضرون مجلسة لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه، وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير فى وصفه : إمام الدنيا فى زمانه . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، بضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصوغاً عن العقائد الذميمة، فحمى الأساس من شبه الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع . من كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والنسة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدى به. له " وسائل " منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو فى التوحيد والألوهية، ومسائل أخرى، وله " دواء الأرواح " له ترجمة فى : " وفيات الأعيان (1 / 117)، و " الأعلام " للزركلى : (2 / 141).

(2) الرسالة القشيرية، ص 282 وهو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز، وكان أبوه بيع الزجاج وأصله من نها وفد، ومولده ومنشئة بالعراق – وكان فقيها، هو من أئمة القوم وسادتهم ومن أعلام الصوفية توفى (297).

(3) أبو نصر عبد الله السراج الطوسى (توفى 378هـ / 988م) كان شيخ طريقة، لقب بطاووس الفقراء تنقل بين بلاد كثيرة منها القاهرة، بغداد ، دمشق. تاريخ بغداد (10/10)، شذرات الذهب، (3/91).

(4) طبقات الصوفية، ص503.

فيشرح الشيخ هذا المعنى فيقول: وهو رؤية الكون على حقيقة أنه قائم بالله لابنفسه، حقيقته العدم، ولولا قيام الموجود الحق به لما ظهر، أي لما وجد، وهذه الحقيقة لا تدرك إلا من حال الغناء.

معنى آخر للتصوف على السنة علماء التصوف السَّابقين،وهو مقام الرضا الذي لامجال فيها لاعتراض على إرادة الله؛ بل يكون الحمد والثناء والشكر فقال الشيخ:

خامسًا: سئل رويم (ت: 303هـ)[1] عن التصوف فقال: "استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد"[2] ناظر إلى التصوف من مقام الرضا، الذي يحمد فيه الله على السراء والضراء، إذ لا مجال للاعتراض أوالخطأ على إرادة الله ومشيئته.

وهذا المعنى على نفس المعنى السابق فيقول الشيخ والمعنى نفسه نقرأه عن أبى سهل الصعلوكي[3] (ت 387 هـ): "التصوف، الإعراض عن الاعتراض"[4].

والتصوف في تعريفه واسع وشامل وله وجوه كثيرة من المراقبة، والرضا، كذلك الفقر والتوكل وهذا المعني عند رويم:

التصوف عند رويم وفيه ينتقل بتعريف التصوف من مقام الرضا إلى مقامي الفقر والتوكل

---

(1) هو: رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم: صوفي شهير، من جلة مشايخ بغداد أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد البغدادي، شيخ الصوفية، تفقه بداود. وهو أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف فى القرن الثالث الهجرى من أهل بغداد – توفى سنة (303)، انظر: سير أعلام النبلاء (14/ 235)، والأعلام للزركلي (3/ 37).

(2) اللمع، ص45، عوارف المعارف، ص81 .

(3) وهو الإمام العلامة ذو الفنون أبو سهل محمد بن سليمان بن هارون الحنفى العجلى الصعلوكى النيسابورى، الفقية الشافعى – المتكلم والنحوى، المفسر، اللغوى، الصوفى، شيخ خرسان ولد سنة 296 توفى فى ذى القعدة سنة 387.

(4) الرسالة القشيرية، ص282.

فيقول "التصوف مبنى على ثلاث خصال، التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التصرف والاختيار".

تعريف آخر يبين أن هذه المقامات تنفتح بعضها علي بعض دون أن يكون بينهما خلاف:

قال أبو حفص النيسابوري[1](ت 270) التصوف كله أدب لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومحروم من حيث يرجوا القبول [2].

ومن التعريفات التي تبين معنى التصوف، وهو لمحمد بن علي القصاب

"فقال محمد بن على القصاب[3] (ت 275) أستاذ الجنيد" التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام [4].

وفي هذه المعاني:

وقال أبو محمد الجريرى (ت311) إن التصوف هو "الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني" [5]

ونسب الهجويري أقولًا للإمام محمد الباقر عليه السلام [6](ت 113ه أو 117ه)

---

(1) هو: أبو حفص عمرو بن سلمة النيسابورى، وهو من أعلام السنة فى القرن الثالث الهجرى من قرية يقال لها كود داياز عن نيسابور توفى سنة 207 ه.

(2) طبقات الصوفية، ص119

(3) هو: أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد ابن القصاب البغدادي، من رجال الدهر شهامة، وهيبة، وحزما، وغورا، ودهاء، مع النظم والنثر والبلاغة. انظر: سير أعلام النبلاء (21/ 323).

(4) اللمع، ص45، الرسالة القشيرية، ص280.

(5)اللمع، ص45 .

(6) قيل أن هذا القول لأبى بكر الكنانى (ت322) لأن أعلى المصادر الصوفية تنسبة إليه ومحمد الباقر هو (محمد بن على بن الحسين بن على أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ولد فى المدينة المنورة فى الأول من

قوله: "التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف"[1].

بل أن أبا الحسين النوري[2] (ت 295) يتجاوز البعد المعرفي للتصوف ليقيم أصوله على الأخلاق وحسب قال: "ليس التصوف رسوما ولاعلوما، ولكنها أخلاق"[3].

ولعل النووي عدل إلى هذا الرأي لشيوع أدعياء التصوف في عصره الذين يتمسكون بالمعرفة الصوفية النظرية دون العمل بها ومن المعروف أن المعول عليه في المعرفة عن الصوفية هو تلك المعرفة الذوقية الصادرة عن حقيقة المجاهدة بالشريعة.

وبين الشيخ أن هناك أقوالًا أخرى تعتمد البعد الأخلاقي في الترجمة عن مفهوم التصوف فقال الشيخ: وهناك أقوال أخرى غير قليلة تعتمد البعد الأخلاقي في الترجمة عن مفهوم التصوف، مما يدل على أن الأخلاق الحسنة قاعدة لاغني عنها في إحكام مبنى التصوف ومعناه ولقد ظلت هذه القاعدة ثابتة وممتدة حتى عصر ذروة التصوف ابن عربي[4] (638) الذي تبنى مقوله أسلافه من أن "التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في

رجب وقيل الثالث من صفر فى عام 57 هـ توفى (113 ه أو 117هـ).

(1)كشف المحجوب، ص234،

(2) هو أبو الحسن أحمد بن محمد البغوى النوبى، المعروف بابن البطوى أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السنى فى القرن الثالث الهجرى بغدادى المنشأ والمولد خراسانى توفى 295 هـ 907م ودفن ببغداد، طبقات الصوفية ، تأليف: أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية ، ط 2003، ص 135، 139.

(3)طبقات الصوفية، ص 167.

(4) هو محى الدين محمد بن على بن محمد بن عربى الحاتمى الطائى الأندلس أحد أشهر المتصوفين ولد فى مرسية فى الأندلي فى شهر رمضان عام 558هـ 1164م وتوفى فى دمشق عام 638 والموافق 1240م ودفن فى سفح جبل قاسيون، انظر: محمد حسن الاعظمي، شعراء الصوفية، تحقيق، مصطفي غالب، بيروت مؤسسة عز الدين، 1988، ص 334.

التصوف"[1].

وبعد هذه التعريفات التي تشمل الجانب المعرفي والجانب الأخلاقي، هناك تعريف شامل وجامع ومانع يجمع هذه التعريفات كلها وهو سؤال وضعه الشيخ في كتابه فقال:

والسؤال الذي يبقي قائما هو هل تمكن الصوفية من وضع تعريف جامع مانع للتصوف، بحيث يشتمل على الجانب المعرفي والجانب الأخلاقي، فضلًا عن ركني المقامات والأحوال؟

فكانت الإجابة من الشيخ علي جمعة على هذا بقوله: «ولعل الجنيد، وهو المنعوت برئيس الطائفة، يلقى الضوء على هذا التساؤل فمن أقواله الجامعة في تعريف التصوف: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقة، واستعمال ماهو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة»[2].

شرح الشيخ لهذا التعريف:

وهذا التعريف على طوله يختصر في شقين، الأول يتمثل في مجاهدة النفس على وفق الشريعة المحمدية، والأخر في إدرارك الحقيقة، ومعرفة الشريعة، وبهذين الشقين يكتمل معنى التصوف وهذا التعريف، يجمع بين الأحوال، والمقامات، والجانب المعرفي، والأخلاقي، في

---

(1) الفتوحات المكية، لابن عربى، تحقيق وتقديم، عثمان يحيى، تصدير ومراجعة د/ ابراهيم مدكور، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، 344/11.

(2) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص34 -35، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، وطبقات الصوفية: السرمدية بدلا من الأبدية والمعنى واحد، ص464.

تعريف واحد وهو يدل على أن هناك تعريف فيه إيجاز ويوصل المعنى بأقل الألفاظ فذكر الشيخ هذا التعريف وهو تعريف أبى بكر الكتاني وهو:

"صفاء ومشاهدة" في الصفاء، هو المعبر عنه بمجاهدة النفس (ت الوسيلة) والمشاهدة هي المعبر عنها بالحقيقة الغاية والحقيقة عند الصوفية، شهادة أن لا إله إلا الله كما شهدها الله عز وجل في حق نفسه، والملائكة، وأولو العلم[1] وذلك في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[2]﴾.

وفي هذا التعريف يُرى أنه هو الذي يرجحه الشيخ لأنه أوعى وأشمل وأجمع وتعريف الشيخ بمعنى الحقيقة بأنه لا إله إلا الله هو بهذا التعريف يأخذنا إلى ما ذكره المتصوفة من اقتران التصوف على العلم والفقه وأن الصوفي الحق هو العالم الفقيه المربى فأعلم أنه لا إله إلا الله يدل على أنه ربط بهذا التعريف بين الشريعة بالعبادات بالعلم، ومن هنا يتضح أن تعريف الشيخ يتحدث عن الآثار والحال فبذلك هذا التعريف مؤهلًا للتعبير من معنى التصوف.

---

(1) انظر: الإمام عبد الحليم محمود قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ط2، دار المعارف، القاهرة ص348.

(2) (سورة آل عمران{من الآية:18}.

ثانيًا: من هو الصوفي؟

يقول ذو النون المصري[1]: عن الصوفي "الصوفي من إذا انطق أبان نطقه عن الحقائق " وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق[2].

سابعًا: قيل لعلي الحصري[3]، من الصوفي عندك؟ فقال:" الذي لا تقله الأرض ولا تظله السماء"[4].

وينبه القشيري (ت 465) إلى هذا التعريف قائلًا: "إنما أشار إلى حال المحو"[5] هذه جملة من التعريفات، كل واحد منها يتكئ في معناه على أحد المقامات أو الأحوال بل إن كثيرا منها ينفتح على بعضه بعضا دون أن يكون بينها كبير اختلاف .كما أن المسئول الواحد عن تعريف التصوف أو الصوفي قد يجيب بغير معنى، انطلاقًا من المقام أو الحال الذي يكون غالبًا عليه

---

(1) ذو النون لقب واسمه الفيض، مصري مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه. ثم أطلقه، قدم الشام للسياحة وطاف جبل لبنان من أعمال دمشق ودخل دمشق وله صحبه مع ابن سيد حمدويه وحدث عن مالك والليث بن سعد وسالم الخواص، وعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها. انظر ترجمته في : تاريخ دمشق لابن عساكر (17/ 398)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ووفيات الأعيان (1/ 315)، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت.

(2)طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى، ، تحقيق نور الدين شريبه، ص3، مكتبة الخافجى القاهرة، 1986، ص19 .

(3) هو: أبو إسحاق علي بن عبد الغني الفهري الحصري الضرير، ولد في حي الفهريين بمدينة القيروان، (420.488/1029.1095)،وتوفي بطنجة، انظر:وفيات الأعيان لابن خلكان.

(4) الرسالة القشيرية ص283.

(5)الرسالة القشيرية ص 283.

في أثناء الإجابة، أو مراعاة لحال السائل [1] قال الشيخ ولذلك اختلفت العبارة والمعنى المشار إليه واحد ثم ذكر بيتًا من الشعر ليدلل على هذا المعنى فقال كما قال القائل[2].

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير[3]

التصوف لا يستند إلى ثنائية الأحوال والمقامات فقط بل يضاف على مفهوم الأحوال والمقامات مفهوم الأخلاق ليبين لنا أن الأخلاق الحسنة هي قاعدة في التصوف ولا انفكاك ولاغني عنها في مبنى التصوف ومعناه .

فقال الشيخ في كتابه ليبين لنا هذا المفهوم " ولئن كان مفهوم التصوف، في أحد جوانبه المهمة، يستند إلى ثنائية المقامات والأحوال، فإنه من جانب أخر، يغترف من معين الأخلاق الإسلامية، وقد أثرنا ذكر هذا الجانب بعينها في استكمال مفهوم التصوف، فلا تصوف بلا أخلاق.

(1) من أقوال الجنيد فى التصوف على سبيل المثال : "أن تكون مع الله بلا علاقة " اللمع، ص 45 وقوله : "التصوف هو أن يمتك الحق عنك ويحيك به" والتصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعلم مع اتباع " الرسالة القشيرية، ص280 .

(2)إيقاظ النائمين ، صدر الدين الشيرازى: تقديم وتصحيح : د/ محسن مؤيدى، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكى، طهران، 1361، ص 12.

(3) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، لداود بن عمر الأنطاكي، المعروف بالأكمه (المتوفى: 1008هـ)ج1، ص 152.

ثالثًا: من هم الصوفية؟

الصوفي: تستطيع أن تُعرف الصوفي الحق بأنه؛ المسلم النموذجي[1].

قال بعضهم الصوفي: من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته[2].

الصوفي:هو من يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأوقات، والأحوال كلها بالعلم، يقيم الخلق مقامهم، ويقيم أمر الخلق مقامه، ويَستر ما ينبغي أن يُستر، ويُظهر ما ينبغي أن يظهر، ويأتي بالأمور من مواضعها بحضور عقل، وصحة توحيد، وكمال معرفة، ورعاية صدق وإخلاص[3].

ظهر هذا المصطلح منذ نشأة التصوف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل اشتُقت كلمة الصوفية من عدة معانٍ منها:

عن أنس بن مالك قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد، ويركب الحمار، ويلبس الصوف "[4].

---

(1) ملامح التجديد في النهوض" بالطريقة الصوفية" عند سيدي الرائد محمد زكي الدين إبراهيم، كتبه المستشار الدكتور مصطفى أحمد سعفان، نائب رئيس محكمة النقض، مؤسسة إحياء التراث الصوفي مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ص 47.

(2) حقيقة التصوف الإسلامي، للشيخ الدكتور عماد الدين جميل الهاشمي الحسيني الشافعي الأشعري الرفاعي القادري رئيس جمعية المشايخ الصوفية، دار المشاريع بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1435 هـ ، 2014م ص 18.

(3) الخطط التوفيقية، علي باشا مبارك. رحمه الله تعالى. دار الأمرية، الجزء الأول، سنة 1305، ص90

(4)أخرجه الحاكم (204)، والبيهقي في الشعب (6152) من حديث أبي موسى الأشعرى. رضي الله عنه، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وعزاه الهيثمي في المجمع (20/9) للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح ولفظه:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاه،ويأتي مراعاة الضيف"

فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية، نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة[1].

الصُفة: نسبة إلي أهل الصُفَّة الذين كانوا يسكنون بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده.

وقيل:الصفاء ومعناها: أنهم صافيون من الشرور وشهوات الدنيا، والصوفية مستندهم الأخلاقي ينبع من عين الآية القرآنية التي يمدح الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فيها:: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [2]ثم ما ورد في السنة من قوله صلى الله عليه وسلم : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [3].

التصوف عندهم مقرون بالأدب دون منازع في أقوالهم وأفعالهم،ولذلك تجد الصوفية يعتدون بهذا الأصل أيما اعتداد[4]».

«ويقرب أن يقال: لما آثروا الذبول والخمول، والتواضع والانكسار، والتخفي والتواري، كانوا كالخرقة الملقاه، والصوفية المرمية التي لا يرغب فيها، ولا يلتفت إليها، فيقال: (صوفي) نسبة إلى الصوفة، كما يقال:(كوفي) نسبة إلى الكوفة. وهذا ما ذكره بعض أهل العلم، والمعنى المقصود به قريب، ويلائم الاشتقاق، ولم يزل لبس الصوف اختيارًا للصالحين والزهاد، والعباد والمتقشفين[5].

---

(1)عوارف المعارف، شهاب الدين ابن حفص عمر بن محمد السهروردي الشافعي، تحقيق: أبوسهل نجاح عوض صيام، دار المقطم ، سنة 2014م.

(2) سورة القلم: {الآية:4}.

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 323)، رواه مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق حديث 8. أحمد في مسنده (2/ 381) بلفظ «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»كتاب الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار.

(4) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية في قضايا عاجلة ص 296.

(5)عوارف المعارف ، 75.

«يقول الإمام القشيري: فقد جعل الله هذه الطائفة {أي الصوفية} هم صفوة أوليائه.

عن أبي الحسن الفرغاني قال: سألت أبى بكر الشبلي : ما علامة العارف قال صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح، قلت هذه علامة العارف فمن العارف بالله؟ قال العارف الذي عرف الله عز وجل، وعرف مراد الله عز وجل على ماورد في كتاب الله، وعمل بما أمر الله، ونهى عن ما نهى الله، ودعا عباد الله إلى الله عز وجل، فقلت هذا العارف، فمن الصوفي؟ قال من صفا قلبه فَصُفِي وسلك طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجفا، قلت له هذا الصوفي، ما التصوف؟ قال تصفية القلوب لعلام الغيوب، قلتُ له أحسن من هذا ما التصوف؟ قال تعظيم أمر الله، والشفقة على عباد الله . قلت له أحسن من هذا من الصوفي ؟ قال من جفا عن القدر، وخلص من العكر، وامتلأ من الفكر، وتساوى عنده الذهب والمدر[1]».

ومما سبق من تعريفات للصوفي: تجد أن الصوفية يجعلون خلاف الأولى في مرتبة الحرام اتقاء للشبهات واستبراء للعرض، الصوفية: مندمجون في الحياة بمواهب التسامي والدعوة والمرونة والرجولة والقدرة والوسطية لله تعالى للحفاظ على مقام الإحسان.

(1) التشرف بذكر أهل التصوف: اعداد قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، دار. المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، سنة 1423هـ، 2002م.

المطلب الخامس

إشكالية الفكر الصوفي عند بعض الأدعياء في الوقت الراهن

الفرع الأول: نشأة وتاريخ التصوف.

المتصوفة يتوخون تربية النفس والسمو بها بُغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة عن طريق إتباع الوسائل الشرعية.

وقد تنوعت وتباينت آراء العلماء حول نشأة التصوف:

يقول الدكتور أحمد عَلُّوش: (قد يتساءل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة إلى التصوف في صدر الإسلام، وعدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة والتابعين؛ والجواب عن هذا: إنه لم تكن من حاجة إليها في العصر الأول، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى وورع، وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يتسابقون ويتبارون في الاقتداء به في ذلك كله، فلم يكن ثمَّة ما يدعو إلى تلقينهم علمًا يرشدهم إلى أمرٍ هُم قائمون به فعلًا، وإنما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي القُحِّ، يعرف اللغة العربية بالتوارث كابرًا عن كابر؛ حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة والفطرة، دون أن يعرف شيئاَ من قواعد اللغة والإعراب والنظم، فمثل هذا لا يلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة، ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر تصبح لازمة وضرورية عند تفشي اللحن، وضعف التعبير، أو لمن يريد من الأجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت

وتألفت على توالي العصور في أوقاتها المناسبة.

فالصحابة والتابعون وإن لم يتسموا باسم المتصوفين كانوا صوفيين فعلًا وإن لم يكونوا كذلك اسمًا، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتحلى بالزهد

وملازمة العبودية، والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات، وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسمى الدرجات فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان، والقيام بفروض الإسلام، بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان، وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول صلى الله عليه وسلم من نوافل العبادات، وابتعدوا عن المكروهات فضلًا عن المحرمات، حتى استنارت بصائرهم، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم، وفاضت الأسرار الربانية على جوانحهم. وكذلك كان شأن التابعين وتابعي التابعين، وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "خير القرون قرني هذا فالذي يليه والذي يليه"خير الناس قرني هذا ثم الذين يلونهم.."(1).

فلما تقادم العهد، ودخل في حظيرة الإسلام أُمم شتى، وأجناس عديدة، واتسعت دائرة العلوم، وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص؛ قام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يُجيده أكثر من غيره، فنشأ بعد تدوين النحو في الصدر الأول علم الفقه، وعلم التوحيد، وعلوم الحديث، وأصول الدين، والتفسير، والمنطق، ومصطلح الحديث، وعلم الأصول، والفرائض وغيرها، وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئًا فشيئًا، وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب الرياضة والزهد إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضًا على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم، ولم يكن ذلك منهم احتجاجًا على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم. كما يظن ذلك خطًا بعض المستشرقين ، بل كان يجب أن يكون

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 171)، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ومسلم في صحيحه (4/ 1963)كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. من حدبث عمران بن حصين رضي الله عنه.

سدًا للنقص، واستكمالًا لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط، مما لا بد منه لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوي[1].

رأي الشيخ علي جمعة في نشأة التصوف، والرد على من أنكره.

إن الذين أنكروا التصوف ليسوا من رجال العصر الحديث فحسب؛ ذلك أن النزاع بين الفقهاء والصوفية قديم قدم،"التصوف" نفسه، ورجال "الظاهر" على وجه العموم ينفرون من " الصوفية" ويحاربونهم أينما كانوا، حربًا بلا هوادة فيها[2].

يري الشيخ أن التصوف نشأ في الصدر الأول من عصر الصحابة غير أنه كان لايسمى بهذا الإسم {التصوف} فقال في كتاباته:

الحاصل: (أن طائفة قامت تدافع عن التوحيد في علم سمى بـ " علم الكلام، أو " التوحيد " وسمي بـ " أصول الدين " هذا العلم الجليل هو الذى يحفظ درجة الإيمان، لكن هذا الإيمان في مجرد تصديقه وصلته بالإسلام لا يكفي إلا بالجزء الثالث.

ويقول ربه – عز وجل – في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]وهذا المقام قد قام السادة الصوفية عبر العصور بحمايته، وبيان هذا الطريق إلى الله، وهو: كيف تعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك.عندما سمى العلماء ما قاموا به في حماية مرتبة الإسلام بـ " علم الفقه

---

(1)"مجلة المسلم العشيرة المحمدية" عدد محرم 1376هـ. من بحث: التصوف من الوجهة التاريخية للدكتور أحمد علوش، وهو من الرواد الأوائل الذين نقلوا حقائق التصوف الإسلامي إلى اللغات الأجنبية، وقد ألف فضيلته كتابًا باللغة الإنكليزية عن التصوف الإسلامي، كان له أكبر الأثر في تصحيح الأفكار والرد على المستشرقين كما ألف كتابه "الجامع" عن الإسلام الذي رد فيه على التهم المفتراة على دين الله، وكان له أثره البعيد في خدمة هذا الدين].

(2) قضية التصوف المنقذ من الضلال، الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف الطبعة الخامسة، 236.

(3) سورة القلم [الآية: 4].

" وسموا ما قاموا به من جهود في بيان وحماية العقيدة الإسلامية ب" علم العقيدة " أو " علم التوحيد " أو " علم أصول الدين " أو " علم الكلام " فإن هذه الأسماء لم ترد على السنة الصحابة الكرام مباشرة، وإنما كانت أسماء حادثة، وكانت الصحابة تجمع بين كل ذلك من غير عناء، كانوا من أهل اللغة يفهمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفوق كل ذلك فقد تربوا في مدرسة النَّبِيّ المصطفي والحبيب صلى الله عليه وسلم والنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كان يربي بالنظر، ينظر إلى أحدهم فيربيه، والمتأمل في السيرة والأحاديث النَّبَوِيَّة يعرف من هو رسول الله صل الله عليه وسلم في تربيته لأصحابه، وكيف كانوا يحبونه صلى الله عليه وسلم:

جاء بُديل بن ورقاء، وسهيل بن عمرو، وعروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية، وكان عروة يمد يده إلى لحية رسول الله وهو يتفاوض، فإذا بالمغيرة يضربه بنعل السيف[1].

ويقول: " نح يدك عن لحية رسول الله صل الله عليه وسلم "، لم ير عروة هذا الإجلال وهذا التكاتف من قبل، وقال: " يا محمد، إن هؤلاء إن مسوا وخذ السلاح أسلموك، يعنى: سيهربون من حولك . فقال له أبو بكر كلا، فقال: " من هذا ؟ "، فقالوا له: " هذا أبوبكر بن أبي قحافة "، قال: " والله لولا يدُ لك على في الجاهلية لأفزعت لك القول"[2].

كانوا يحبون رسول الله صل الله عليه وسلم حباً جمًا، والذى لا يفهم تصرفاتهم في ظل هذا الحب، فيحاكم الحب، بعض الناس لم يروا النَّبِيّ صل الله عليه وسلم، وعاشوا في دنياهم وتوغلوا فيها، حتى نشأت الحجب بينهم وبين حقيقة رسول الله صل الله عليه وسلم، كما

---

(1) هى الحديدة تكون فى أسفل غمد السيف، وقد تكون من الفضة أيضاً . انظر:" تاج العروس": (1/ 7559).

(2) أخرج البخارى في صحيحه (2 / 974)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، برقم (2581).

يقول البوصيري [1]في رائعته " البردة " .

وكيف يُدركُ في الدنيا حقيقة .·. قوم نيام تتسلّوا عنه بالحُلُم [2]

أما هؤلاء الصحابة الكرام فقد كان سيدنا رسول الله صل الله عليه وسلم حبيبهم، وقد كانوا فقهاء علماء، وكانوا يدافعون عن العقيدة ويعلمونها حق العلم، وكانوا أيضاً من أهل الإحسان، لكن لم تظهر هذه الكلمة " التصوف " كما لم تظهر كلمة " الفقه " و " أصول الفقه " ولا كلمة العقيدة ولا أمثال هذه الكلمات، على أنها أسماء لهذه العلوم [3].

فيظهر تاريخ ونشأة التصوف في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله، فقد سئل عن أول من أسس التصوف ؟ وهل هو بوحي سماوي ؟ فأجاب: (أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي

---

(1) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجى البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله : شاعر حسن الديباجة، مليح المعانى، نسبته إلى " بُصير " من أعمال بني سويف بمصر، كانت أمه منها، وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيلة يفرقون بينى حنبون، ومولده فى بحشيم عن أعمال البهنساوية سنة [608هـ]، ووفاته بالإسكندرية عام (696هـ) له ديوان شعر، وأشهد شعره : " البُرده " ومطلعها : أمن تذكر جبرا بذي سلم، شرحها وعارضها كثيرون، " الهمزية " ومطلعها : " كيف ترقي رقيك الأنباء " وعارض " يا نت سعاد " بقصيدة، مطلعها : " إلى متى أنت باللذات مشغول ؟ " . انظر : " الوافي بالوفيات " : (3 / 105)، الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:1420هـ- 2000م ودور الإعلام للزركلي: (6 / 139).

(2) البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات ، لمحمد يحيى حلو، دار البيروتي – دمشق، الطبعة: الثالثة – 1426 هـ، ج1، ص 76.

(3) وقال الإمام، الدكتور علي جمعة ط1 .القاهرة، الوابل الصيب لإنتاج والتوزيع والنشر/2009م

جعلها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بعد ما بيَّنها واحدًا واحدًا دينًا بقوله: "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم"[1].

فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"..

ثم قال السيد محمد صديق الغماري في رسالته تلك: (فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخل بهذا المقام(الإحسان) الذي هو الطريقة، فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنًا من أركانه. فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان؛ بعد تصحيح الإسلام والإيمان)[2]".

وأورد صاحب "كشف الظنون" في حديثه عن علم التصوف كلامًا للإمام القشيري قال فيه: (اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَتَسَمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية عِلْمٍ سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم الصحابة، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس. ممن لهم شدة عناية بأمر الدين. الزهاد والعُبَّاد، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادًا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة[3].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 19) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة رقم[50]، وأخرجه مسلم في صحيحه(1/ 37)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم[8].

(2) الانتصار لطريق الصوفية" الشيخ محمد الغماري، مكتبة التراث الاسلامي2014 ص 6 .

(3)"كشف الظنون" عن أسماء الكتب والفنون، ج1/ص414، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي

قال ابن خلدون[1] في مقدمته:

(وهذا العلم .يعني التصوف. من العلوم الشرعية الحادثة في الملَّة؛ وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية[2].

من هذه النصوص السابقة، يتبين لنا أن التصوف ليس أمرًا مستحدثًا جديدًا؛ ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه الكرام.

القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية).

(1) هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي، الاشبيلي الأصل التونسي المولد الإمام ولي الدين أبو زيد قاضي القضاة العلامة الحافظ المؤرخ، مولده بتونس في رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة.

انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: 251)، الأعلام للزركلي (3/ 330).

(2) ["مقدمة ابن خلدون" علم التصوف ص 329].

الفرع الثاني

انتصارات الشيخ في إشكالية الفكر الصوفي عند بعض أدعياء التصوف في الوقت الراهن

يقول سيد الطائفة الإمام الجُنيد: " طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ".

وضح الشيخ إشكالية التصوف بين تصرفات بعض الصوفية والتصوف فقال: «أنه في العصر الحاضر خلط كثير من الناس بين تصرفات الصوفية وبين التصوف، كما خلط كثير من الخلق بين أفعال المسلمين وبين الإسلام، وأفعال المسلمين في أى مكان وفي أى زمان لم تكن أبداً حُجَّةً على الإسلام، بل إن النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) يحذر النَّاس عن فساد الزمان ومن البعد عن السنة (1)، وفي حديث حذيفة رضى الله عنه بين رسول الله صل الله عليه وسلم:أن الشريعة هى الأساس، وأننا سنرى فتناً، وسنرى مخالفة، وسنرى اختلافاً بين الناس، يقول حذيفة: " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: " نعم "، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: " نعم، وفيه دخنٌ "، قلت وما دخنه ؟ قال " قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتُنكر " قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: " نعم دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم غليها قذفوه فيها "، قلت: يا رسول الله أصفهم لنا، فقال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألستنا "، قلت: فما تَأْمُرُنى إن أدركن ذلك ؟ قال:" تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمامٌ ؟ قال:" فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يُدرِكَكَ المؤتُ وأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ(2).

(1) كتاب وقال الإمام المبادئ العُظم ، لشيخ علي جمعة، ص197

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (3 / 1319)كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (3411)، ومسلم في صحيحه (3 / 1475)، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن

المتشددون ينكرون التصوف فرد عليهم الشيخ بقوله[1]: «نشأت الآن ناشئة تُنكر التصوف، لما رأته من بعض خلل أو بدع ممن ينتسبون إلى التصوف، ولو نظرنا إلى سيرة رسول الله صل الله عليه وسلم لوجدنا أن هذا الذى فعلوه مخالف للمنهج النبوى، فلقد وجد رسول الله أصناماً حول الكعبة فلم يهدم الكعبة، وإنما أزال الأصنام وأبقي الكعبة، هذا هو المنهج النبوي، إنه منهج رباني، كذلك لو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

التعليق:

فهذه الآية تبين أن الصحابة كان عندهم حرج أن يفعلوا تلك الأفعال التى فعلها المشركون عندما قصدوا وحجوا إلى بيت الله، وأراد الصحابة إلغاء السعى جملة، لكن السعى من دين إبراهيم، هذا من الحنيفية، هذا بأمر الله – سبحانه وتعالى – وهؤلاء المشركون قد خلطوا الوثنية بشريعة إبراهيم، فخلصها الله – سبحانه وتعالى منها، وجعل شريعة إبراهيم صافية، نحجُ بها إلى يومنا هذا من طواف، وسعى ورمي، ووقوف بعرفه ... إلى أخذ هذه وخلصها من النواقص أو الزوائد التى أضافها الوثنيون المشركون، لم يُلغ هذا الأمر، لأن هذا ليس من الإنصاف، وليس من العدل، ورسولُ الله صل الله عليه وسلم يعلمنا الإنصاف والعدل؟ ولذلك خلَّص هذا من ذلك.

وعندما سأله صلى الله عليه وسلم ، بعضُ من معه، فقال له: اجعل لنا ذات أنواع كما لهم

وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم (1847) من حديث حذيفة بن اليمان.

(1)وقال الإمام المبادئ العظم ص198.

(2) سورة البقرة[من الآية: 158].

ذاتُ أنواطٍ[1]. فقال النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم " سُبحان الله "[2]، هذا كما قال قوم موسى لمُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون﴾ [3]لم يكفرهم صلى الله عليه وسلم، ولم يلقهم في اليم، وإنما وضح لهم هذا من ذاك.

وعندما سمع امرأة رأته وهى تغنى فقالت: وإن لنا نبياً يعلم ما في غد – وكانت تضرب بالدف، وتندب من قتل يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم : "كفي عن هذا وقولى بالذى كُنْتِ تقولين "[4].

أى اتركى مسألة أن النَّبِيّ يعلم الغيب بذاته، وعودى إلى ما كنت عليه.

منهج واضح: أننا إذا اختلط الأمر لا نرمى الجميع، بل علينا أن نخلص هذا من ذاك، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وننكر البدع والانحرافات»[5].

التصوف براء من أعدائه وادعيائه في عصرنا الحاضر وفي كل العصور، حيث أنه في عصرنا الحاضر تاه بين أعدائه وادعيائه، فهناك من ينكره كله ولا يريده أصلا، وهناك من يتمسكُ بمجموعة من البدع مدعياً أنها هي التصوف والتصوف براءٌ من ذلك.

والتصوف مقيد بالكتاب والسنة وهذا ماصار عليه السلف والخلف حتي لايدع للمشككين والمنكرين للتصوف مجال فرد الشيخ عليهم بقوله:

---

(1)اسم شجرة بعينها، كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أى يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك، انظر : " النهاية فى غريب الأثر " لابن الأثير : (5 / 269)

(2) أخرجه الترمذى (4 / 475)، كتاب: الحوادث والبدع، الباب الثاني فيما اشتملت عليه السنة من التحذير من الأهواء والبدع ، برقم : (2190)، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

(3) سورة الأعراف: {من الآية: 138}.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (5 / 1976)، برقم (4852)، من حديث الرُبيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها.

(5) وقال الإمام المبادئ العظم (ص: 199)

«التصوف هو حفظ مرتبة الإحسان، التصوف مقيد بالكتاب والسنة، التصوف له علماؤه عبر العصور كتبوا فيه وعاشوا من أجله، وأوضحوه بألفاظ مختلفة في عصور مختلفة، تكلموا عن الزهد، وألف فيه أحمد بن حنبل، وألف فيه غير واحد من الأئمة، تكلموا عن الورع، تكلموا عن التقوى، تكلموا عن أعمال القلوب، وكتب كل هؤلاء في هذا، ولكنَّا ابتلينا في عصرنا هذا بمن يريد أن يخالف المنهج النبوي في حقيقة أمره، إلا أنه تزيًّا – في الظاهر بالذى النبوي، تراه يطلق لحيته، ويقصر ثوبه، ويضع سواكه فوق أذنه، وكأنه من الجيل الأول، ومن السلف الصالح، ثم تراه – في بعض الأحيان عن جهل، وفي بعض الأحيان عن غرور وكبر – يخرج على المنهج النبوي، أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من كلام خير البرية، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم !! فإنا لله وإن إليه راجعون»[1].

(1) وقال الإمام المبادئ العظم ص200

الفصل الأول
«انتصارات الشيخ علي جمعة في تأصيل الفكر الصوفي»

المبحث الأول
قواعد التصوف المستنبطة من القرآن الكريم
عند الشيخ علي جمعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

قواعد التصوف المستنبطة من القرآن الكريم عند الشيخ علي جمعة.

توطئة:

من القواعد التي استنبطها الشيخ علي جمعة للتصوف من القران الكريم قواعد كثيرة وعظيمة جمع الشيخ بعضها في كتاب اسماه "الطريق إلي الله"، وشرح الشيخ في هذا الكتاب مراحل السير إلي الله، وما أبداه أهل السلوك والمعرفة بالله، فجمع الشيخ قواعد أسس بها الطريق إلي الله، فنأخذ قاعدتين فقط لأننا في الفصل الرابع سوف نتكلم عن القواعد بالتفصيل والتوضيح، فكان من هذه القواعد:

القاعدة الأولي:

«أن ملتفتا في طريق الله لا يصل[1]»، أو «ملتفت لا يصل[2]».

---

(1) الطريق إلي الله ص14، ا.د.علي جمعة دار المقطم للنشر والتوزيع.ط.2015م.

(2) أصَّل الشيخ علي جمعة للتصوف بهذه القاعدة { ملتفت لا يصل} وتكلم فيها أكثر من واحد من أهل التصوف وجعلوها قاعدة أصيله عندهم ومن هؤلاء: الشيخ عبد الملك الخرنوبي ذكرت هذه الحكمة على لسان سيدي أحمد الرفاعي، وهومن انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق ،وشرح أحوال القوم، وكشف منازلاتهم، وبه عُرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح، كان يقول لما مررت وأنا صغير بالشيخ عبد الملك الخرنوبي أوصاني وقال لي: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقلت نعم، فقال: ملتفت لا يصل، ومتكسل لا يصلح ومن لم يعرف من نفسه بالنقصان فكل أوقاته نقصان، كتاب: تحفة الأكياس في حُسن الظن بالناس، تأليف علي بن محمد المصري الفولي ، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، سنة 1971ص 253.

الأدلة من القرآن الكريم التي تؤيد هذه القاعدة {ملتفت لا يصل، وأن أول خطوه في هذا الطريق هو الذكر}:فكان من الآيات القرآنية التي اعتمد عليها الشيخ في تأسيس هذه القاعدة أيات كثيرة منها ليبين لنا في هذا الطريق أنه مقيد بالقرآن الكريم والسنة المطهرة حيث قال الشيخ:«إذن، هذا النمط، وهذا المنهج، كان هو أساس طريق التصوف، الذي هو:" مقيد بالذكر والفكر مقيد بالتخلي والتحلي من أجل التجلي، مقيد بقواعد، منها: "أن ملتفت لا يصل »[1].

ومن الآيات التي اعتمد عليها الشيخ في تأسيس هذه القاعدة قوله تعالي:

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ[2] ﴾.

وجه الدلالة من هذه الآية:

عبادة الله عز وجل، فهو المعبود وحدة لا أحد سواه.

ثم يورد الشيخ بعض الأيات التي ترشد العبد كيف يرتبط بالله ولا يلتفت لأحد سواه ومن هذه الأيات:

1. قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].
2. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].
3. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[5].

---

(1) الطريق إلي الله ص 32.

(2) سورة الزمر:{ جزء من الآية: 1}.

(3)سورة الأحزاب [من الآية : 35].

(4)سورةالأنفال [من الآية : 45].

(5) سورة الرعد [من الآية :28].

وجه الدلالة من هذه الآيات:

كثرة الذكر والفكر لله تعالي بتدبر وخشوع، وتأنٍ، واستحضار، ويقين، حتي يفلح العبد ، والمريد بذلك في الدنيا والأخرة، لأن الذكر بحر، والفكر بحر فهذه الآيات وجه الدلالة منها الذكر والفكر.

«إذن، فالذكر هو الطريق، وكذلك الفكر والتدبر والتأمل في خلق السماوات والأرض، في عالم النبات والحيوان، فيما ينفع الناس».

شرح القاعدة عند الشيخ:

هذه قاعدة عظيمة في سير العبد في طريقه إلي الله وأنه يجب علينا أن نسير غير ملتفتين إلي الأضواء والشهوات وغيرها حتى لا يضيع العمر هباء.

«ملتفت لا يصل» جعلها الشيخ أصل كبير من أصول الأدب مع الله لا يلتفت الإنسان إلي أشياء تبعده عن الله إنما الأمر يكون في سيره إلي الله {ملتفت لا يصل}.

جعل الشيخ أول خطوه في هذا الطريق حتى يصل العبد في طريقه إلي ربه{الذكر}

حيث تحدث الشيخ عن هذه القاعدة فقال:« قالوا في هذا الطريق قاعدة أخري:{ملتفت لا يصل}، فإذا كنا في طريق، وأردنا أن نصل إلي نهايته، فعلينا أن نسعى، وأن نسير فيه غير ملتفتين عن يسارنا أو عن يميننا، فلو سرت مثلا في طريق ممتلئ بالمبهرات، وبالأضواء، وب{الفاترينات}.....إلخ، فوقفت إلي كل {فاترينه} أشاهد، وأدخل المتجر، وأسرح في الداخل، فإن العمر يضيع في هذه الالتفاتات، والأعمار تتفاوت، والزمن كالسيف إن لم تقطعه قطعك، قال الإمام الشَّافِعي:{سرت مع الصوفية فاستفدت منهم أن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك}.{ملتفت لا يصل}! أصل كبير من أصول الأدب مع الله، ومن هنا وجب أن يكون العمل خالصا لله، لا ألتفت إلي الأنوار، ولا إلي الأسرار، ولا إلي الملك، ولا إلي الملكوت، ولا إلي التجليات، ولا إلي غير ذلك، إنما المقصود هو الله.

من أجل ذلك إذ ذكر العابد ربه فإنَّ الذِّكر يجلي قلبه، ويجعله كالمرآة، وإذا صار القلب كالمرآة انعكست عليه أنوار الربوبية، وانعكاس لأنوار الربوبية يحدث لذة عجيبة، ليس لها مقابل في اللغات بحيث يمكن أن نشبهها، أو أن نتكلم عنها وحولها، ولا يمكن أن ننقل كنهها، ولا يعرفها إلا من جربها، فإن من ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ولا يمكن أن نعرف إلا بالتجربة، وبترويض النفس.

فالذكر أول خطوة في الطريق، وهو يؤدي إلي صقل القلب، ويجعل القلب كالمرآة، وملتفت لايصل، فإذا ذكرت الله، فحدث لك خارق، فانشغلت بهذا الخارق، فقد دخلت في المبهرات، وبدأت في الالتفات، وهذا هو بداية الانحراف، حيث دخلت في المبهرات، فتكون بذلك غير مخلص لله[(1)]».

والذِّكر ركن قويم في طريق الحق سبحانه وتعالي، بل هو من أركان هذا الطريق السير إلي الله، ولايصل أحد إلي الله إلا بدوام الذكر.

يقول ابن عطاء الله السكندري يقول عن الذكر: "الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل: ترديد اسم الله بالقلب واللسان، أو ترديد صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو غير ذلك مما يُتقرب به إلي الله تعالي "[(2)].

ويقول الشيخ أحمد زروق .رحمه الله تعالي. في قواعده: "الخواص ثابته في الأقوال والأفعال والأعيان، وأعظمها خواص الأذكار، إذا ما عمل أدمي عملا أنجي له من عذاب الله من ذكر الله، وقد جعلها الله للأشياء كالأشربة والمعاجين في منافعها، لكل ما يخصه، فلزم

(1) الطريق إلي الله ص203.

(2) مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح ، لابن عطاء الله السكندري المتوفي 709هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، طبعة 2001،ص 4.

مراعاة العام في العموم، وفي الخاص مما يوافق حال الشخص "[1].

ولذلك " إن جميع المربين والمرشدين الكاملين قد نصحوا السالكين في سيرهم إلي الله وأبانوا لهم أن الطريق العملي الموصل إلي الله تعالي وإلي رضوانه هو الإكثار من ذكر الله في جميع الحالات، وصحبة الذاكرين، لأن أنفاس الذاكرين تقطع شهوات النفس الأمارة بالسوء[2].

فالسير في طريق الله أول خطوة الذكر الذي يساعد العبد حتي لايلتفت إلي الشهوات والمعاصي فذكر العبد لربه يكون بالسان والجنان وبالجوارح التي تطمئن بذكر الله تعالي.

"وبذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن وتنقشع عنها ظلمات الجهالة وغشاوات الغواية والضلالة، ويشع فيها العلم والعرفان والحكمة والهداية[3] قال تعالي: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[4].

المطلب الثاني: مسألة تدلل علي هذه القاعدة، وانتصار الشيخ فيها بالدليل القرآني:

«مسألة كثرة الذكر بالأوراد والأحزاب»[5].

---

(1)قواعد التصوف لأحمد زروق الفاسي البرنسي، تحقيق، عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 2005، ص 37.

(2) حقائق عن التصوف، الشيخ عبد القادر عيسي، دار المقطم، طبعة الخامسة 1434هـ. 2013م .

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة د علي جمعة (ص: 33)

(4) سورة الرعد{الآية:29.28}.

(5) وممن ذكر هذه المسألة الإمام أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (1/ 121)، والإمام المقدسي في كتابه "مختصر منهاج القاصدين" (ص: 56).

الفرع الأول: تأصيل هذه المسألة وفيه فقرتان:

توطئة:

لعل من أيسر المسائل وأوسعها وأكثرها تيسيرا في كتاب الله {كثرة الذكر}؛ إذ أن الذكر يكون علي كل حال وفي كل مقال ولكن يأبي هؤلاء المتشددون إلا أن يقتحموا علي الناس خلواتهم لكي يقطعوا عليهم طريق الوصول إلي الله عز وجل بهذه الأوراد فكان لابد أن يتصدي لهم علماء أجلاء وعلي رأسهم الشيخ{علي جمعة} الذي يبين ويصحح الطريق {ملتفت لا يصل}وأول هذا الطريق الذكر، فَيَرُدَّ هؤلاء عن ما هم فيه من غي وضلال وبدع وبهتان ولكي يُثبِّت السائرين في طريق الله المحافظين علي الخلوات والأوراد في هذا الطريق فأتي الشيخ بالأدلة التي تؤيد انتصاره علي هؤلاء المتشددين بسيل من آيات الذكر الحكيم، يجرف كل أفكارهم ويوقفهم عند حدهم وفي هذا المضمار يرد النصوص ويقدم لها ويعلق عليها حتي تنتهي من قراة كلامه، وقد ارتاح القلب واطمئن الضمير وانكشفت السحب فسطع ضوء الشمس لأولي لأبصار ويتضح وضوحا جليا التي تفرد فيها الشيخ في انتصاراته من الآيات القرآنية، والشيخ يرد علي المنكرين والمخالفين الذين ينكرون الذكر بالأوراد والأحزاب ويوضح أن هذا الطريق مقيد بالكتاب والسنة ومنهج النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم مقيد بالذكر والفكر فقال:« إذن، هذا النمط، وهذا المنهج، كان هو أساس طريق التصوف، الذي هو: " مقيد بالذكر والفكر مقيد بالتخلي والتحلي من أجل التجلي "، مقيد بقواعد، منها: أن ملتفت لا يصل، وكل ذلك وارد بالتفصيل في الكتاب والسنة، ومن أراد أن يحمل الناس أطراً على مذهبه، وأن يُنكر على منهج الكتاب والسنة فهو مخطئ.»[1]

(1) وقال الامام لمبادئ العظم(ص203).

الفرع الأول: تأصيل المسألة وفيها فقرتان :

الفقرة الأولى: المسألة وتوثيقها من كتب الشيخ علي جمعة.

المسألة من مسائل التصوف ويرى فيها جواز كثرة الذكر والأوراد والأحزاب عند الصوفية.

وهذه من المسائل التي انتصر فيها الشيخ بالدليل القرآني وغيره من الأدلة.

وقد عالج الشيخ هذه المسألة في كتبه[1] فتاوى النساء، وأحكام للمرأة المسلمة.

والعبارات الدالة على انتصار الشيخ لهذه المسألة:

قوله: " ومن وسائل محافظة المسلم على كثرة الذكر أن يلزم نفسه بورد معين يتلوه عليه كل يوم وليلة، إلا أن المتشددين رفضوا ذلك أيضاً كما رفضوا كثرة الذكر ولا نعلم أحداً ينهى عن الذكر من مريدي الخير "[2].

الفقرة الثانية: انتصار الشيخ لهذه المسألة بالدليل القرآني.

وقد انتصر الشيخ لهذه المسألة بالدليل القرآنى بآيات كثيرة منها:

1. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3].

2. فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾[4].

3. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 125 بعنوان [أنكار كثرة الذكر والأوراد والأحزاب]، فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص 78 بعنوان [حكم الذكر بالأوراد والأحزاب].

(2)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم (ص.126)

(3)سورة الأحزاب :{الآية:41}.

(4)سورة الشعراء:{من الآية: 227}.

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

4. وقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

5. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[3].

وجه الدلالة من الآيات:

1. أن من علامة الإيمان كثرة الذكر لله. سبحانه تعالى. آناء الليل وأطراف النهار.

2. تعظيم فضل الذكر وأنه يحط الأوزار ويغفر الذنوب، وقد أخبر الله عن الملائكة أنهم يستغفرون للذين آمنوا فمن كان منه من القول مثل هذا بإخلاص واجتهاد ونية صادقة وتوبة صحيحة غفرت ذنوبه)[4].

3. كثرة الذكر لله تعالى يجعل الإنسان له براءة من النفاق.

الفرع الثاني: أقوال المفسرين حول الأدلة التي أوردها الشيخ.

والناظر في كتب التفاسير يري أن الشيخ وافق بعض المفسرين قولهم في الاستدلال بهذه الآيات على مشروعية كثرة الذكر بالأوراد والأحزاب ومن أبرزهم:

---

(1) سورة الأحزاب {من الآية: 21}.

(2) سورة الأحزاب {الآية: 35}.

(3) سورة النساء: {الآية: 143}.

(4) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (1/ 85)، نوير الحوالك شرح موطأ مالك، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر عام النشر: 1389 - 1969 هـ

1. تفسير الإمام القشيري[1]:حيث ذكر عند قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[2].

فسَّر الإمام القشيري هذه الآية بقوله:(خداع المنافقين إظهار الوفاق في الطريقة واستشعار الشرك في العقيدة وخداع الحق إياهم: ما توهموه من الخلاص، حكموا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص، فإذا كشف الغطاء، يقنوا أن الذى ظنوه شرابا ً كان سرابا، قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [3]، وعلامة النفاق وجود النشاط عند شهود الخلق، وفتور العزم عن فوات رؤية الخلق[4].

والناظر إلي ما قاله الإمام القشيري رحمه الله يرى أن هؤلاء إذا انكشف عنهم ما هم فيه من نفاق وخداع للناس وحكمهم لأنفسهم لأنه في الأصل لا ترى منهم صلاة ولا ذكرا ولا طاعة لله وجعلهم الله من عدم ذكرهم لله كثيراً من أهل النفاق " وهذا ما وافقه الشيخ في

---

(1) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابورى القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة، و كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من كتبه " التيسير في التفسير، ولطائف الإشارات، الرسالة القشيرية، انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (5/ 153)، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)،تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو،الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413ه والأعلام للزركلي (4/ 57).

(2) سورة النساء {الآية: 142}.

(3) سورة الزمر {الآية : 47}.

(4) لطائف الإشارات للقشيري (1/ 376)، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر

كلامه أنه:(من سمات المنافقين وذمهم الله بهذا الوصف)(1).

ومن الآيات القرآنية التى انتصر بها الشيخ لهذه المسألة:

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾(2).

وقد وافق الشيخُ الإمامَ البيضاوي(3) في تفسيره لهذه الآية فقال: قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله يكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا اهجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت والكعبين(4)، في الحق يتحدث المسلم،

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم (ص 124).

(2) سورة الشعراء {الآية:227}.

(3) هو: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي: نسبة إلى قرية يقال لها: البيضاء على مرحلة من شيراز، خرج منها جده، فسكن شيراز مدينة الملك، تفقه المذكور في المنقولات بأبيه، وفي المعقولات بشرف الدين شعبة أوحد علماء عصره بشيراز.

من تصانيفه : «التفسير» مختصر «الكشاف»، و «الطوالع» و «المصباح» و «المنهاج» كلها في الأصول، و «الغاية القصوى».

انظر ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة(2/ 50)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا والأعلام للزركلي (4/ 110).

(4)أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص 152،لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

لينتصر على الباطل وهذا يكون بكثرة ذكره لله عز وجل وارتباطه بالله كما هجا هؤلاء الشعراء أهل الباطل وانتصارهم عليهم بكلام الله وكلام رسول الله ألا وهو الذكر وهذا ما أكد عليه الشيخ في حديثه أن الله عز وجل يحب هؤلاء الذاكرين المنتصرين للحق ويمدحهم ويعلي من شأنهم في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ونذكر منها أقوال بعض المفسرين لهذه الآية:

تفسير الإمام القشيري:

فسَّر هذه الآية الإمام القشيري في لطائفه بأنه إشارة [ألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أحوالهم لا يفترون، ولا يتداخلون نسيان] أعدا لهم مغفرة وأجراً عظيما، فهؤلاء لهم جميل الحسنى، وجزيل العقبي[2].

من إشارات القشيري رحمه الله أنه لابد أن يكون للإنسان ذكر في جميع أحواله يذكر الله تعالى بألسنتهم وبقلوبهم فيرفعهم إليه في الدنيا والآخرة وهذه الرفعة ذكرها الشيخ في كلامه أن الإنسان لابد أن يتعلق قلبه بربه فيجعل لنفسه ورداً وجذباً يتوصل به إلى الله.

---

(1) سورة الأحزاب:{ الآية 35 }.

(2)لطائف الإشارات للقشيري، ج3، ص 62 .

تفسير الإمام التسترى[1]:

فسَّرها الإمام بقوله: والذاكرين الله كثيراً والذاكرات قال: الذاكر على الحقيقة من يعلم أن الله مشاهده فيراه بقلبه قريباً منه فيستحى منه، ثم يؤثره على نفسه وعلى كل شيء من جميع أحاله، وسئل سهل مدة أخرى ما الذكر ؟ فقال: الطاعة: قيل: ما الطاعة ؟ قال: الإخلاص، قيل: ما الإخلاص ؟ قال: المشاهدة، قيل: قيل ما المشاهدة؟ قال: العبودية، قيل ما العبودية؟ قال: الرضا، قيل: ما الرضا ؟ قال: الافتقار، قيل: ما الافتقار ؟ قال: التضرع والالتجاء سلم سلم إلى المهات وقال ابن سالم: الذكر ثلاث: ذكر باللسان فذاك الحسنة بشر، وذكر بالقلب فذاك الحسنة بسبعمائه، وذكر لا يوزن ثوابه وهو الامتلاء من المحبة[2].

فيتبين من تفسير الإمام التستري: أن الذكر هو الطاعة، وهذه الطاعة بعد الإخلاص والمشاهدة والعبودية والرضا والافتقار والتضرع يعلي الله شأنهم في الدينا والآخرة.

تفسير القشيري:

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ الإشارة فيه أحبوا الله لأن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم – قال " من أحب شيئاً أكثر من ذكره، فيجب أن تقول: الله، ثم لا تنسي الله بعد ذكرك الله – ويقال: اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذى تمكن استدامته ذكر

---

(1) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التّستري ، ولد بمدينة تستر في سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، وإلى هذه المدينة ترجع نسبته (التستري) وهذه المدينة من أعظم مدن خوزستان، اتخاذه التصوف منهجا وسبيلا لحياته، وفاته فكانت بالبصرة سنة (283 هـ) «2» وقيل سنة (273 هـ) «3» ، وقيل (293 هـ)، انظر: تفسير التستري لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت،طبعة: الأولى - 1423 هـ، ج1،ص4.

(2)تفسير التسترى، ج1، ص 127 .

القلب فأما ذكر اللسان فإذا منه سر مد كالمتعذر[1].

الفرع الثالث: خلاصة المسألة.

بعد إتمام هذه المسألة كانت هذه النتائج:

النتيجة الأولى: هى التوفيق بين قول المفسرين رحمهم الله وبين قول الشيخ.

النتيجة الثانية: أن الشيخ سار على منهاج السابقين وفى بعض الأحيان نقل من كلامهم أو شرح وبسط القول فيه أو جاء بما يلخص ويوجز كلام السابقين وبذلك أنه فى كل استشهاداته يسير على سير السابقين من المفسرين.

النتيجة الثالثة:هذه المسألة التي أوردها الشيخ توافق الكتاب وإجماع الأمة بل ربما بعد هذا الإسطراد والبحث والتنقيب عن هذه المسألة تجد أنها من الأمور التى أجمع عليها كثير من السلف والخلف وليس الشيخ فيها بدعاً من القول.

النتيجة الرابعة: انتصار الشيخ على خصومه فى هذه المسألة وذلك بتعضيد رأيه برأى السابقين من المفسرين من أصحاب اللغة والرأى والأثر والبلاغة ممن اجتمعت عليهم الأمة وكانوا أعلاماً فى تفسير كتاب الله.

النتيجة الخامسة: تجد أن رأي الشيخ هو الأقرب إلى الصواب والأبعد عن التشدد والمغالاة.

---

(1)لطائف الإشارات = تفسير القشيري (3/ 164).

المبحث الأول
قواعد التصوف المستنبطة من القرآن الكريم
عند الشيخ علي جمعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

نصوص القواعد الصوفية المستنبطة عند الشيخ علي جمعة من القرآن الكريم.

القاعدة الأولى:

«الله مقصود الكل[1]».

قال الشيخ: أول قاعدة عند السالكين إلي الله هي قولهم: {الله مقصود الكل[2]}، وهذه العبارة من العبارات البليغة التي تُكوِّن أسس الطريق إلي الله وأصوله، فمن أراد أن يكتبها وأن يحفظها فليكتب: {الله مقصود الكل}.

الدليل القرآني لهذه القاعدة عند الشيخ:

عند تفسيره لسورة الفاتحة قوله تعالي: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[3] فقال: فالصراط هو الطريق، وطريق الله مليء بما يلفت الإنسان، مليء بالمفاتن والشهوات وغيرها، فقال أهل الله وهم سائرون: إن ملتفتا في طريق الله لا يصل، فالمقصود بالهداية في طريق الله:أن نسير في طريق الله تعالي فلا نلتفت يمينا ولا يسارا فيما يشغلنا عن الله، بل لابد علينا أن نخلي قلوبنا مما سوي الله.

وجه الدلالة لهذه القاعدة:

---

(1) هذه القاعدة تفرد بها كثير من أهل التصوف، وكان الإجماع العلمي عليها من أهل الطريق، وتكلم الشيخ عنها بهذا النعنى (الله مقصود الكل).

(2) الطريق إلى الله (ص: 5).

(3)سورة الفاتحة {الآية رقم :6}

هو طلب الهداية والفلاح والصلاح من الله تعالي لعباده.

شرح القاعدة:

الشيخ في هذه القاعدة يرى أن المشايخ والأولياء الكبار كان مقصودهم في كل أعمالهم وتوجهاتهم مقصودهم في ذلك الله ليبين في هذه القاعدة ما توصل إليها هؤلاء من عبادة ومن أفعال، ومن سلوك فكان طريق الهداية والفلاح والصلاح هو طريق الله تعالي **ومن ذلك قول الشيخ:**« وهذا هو الذي تسأل عنه المشايخ في مفتتح سلوكك ألي الله، تسألهم:ما المقصود ؟فيرددون ويقولون:الله ... وقد يعرف السائل المقصود والمعني الذي تقصده ؟لكنه لايراه، لأنه مستغرق مع الله يذكر ربه، أنا أسأله عن معني الكلام ؟ أو عما يعني ؟فإذا به يذكر أنه متوجه بالكلية إلي لله، فيقول:الله .... وهذا هو حال المشايخ الكبار، ومن هنا قالوا:{الله مقصود الكل}، أي أن كل الأولياء والمشايخ الكبار كان مقصودهم هو الله سبحانه وتعالي[1] ».

فالشيخ يري أنه لابد علينا أن لا نلتفت إلي ما يشغلنا عن ذكر الله وعن أي عمل يحمل الإنسان إلي الخير لذلك يدعو الإنسان دائما ربه أن يهديه إلي الطريق المستقيم الذي لا يتأتي بالأماني إنما بالعمل ولذلك قال الشيخ «فالصراط المستقيم لا يتأتي بالأماني ولا بالاقتناع ولا بمجرد القول، بل يأتي ببرامج العمل في كل مجال « ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**» [2]فهيا لنعمل، إذا لابد من زيادة الإنتاج، والدخول في مرحلة الإنتاج الوفير، فإذا لم يكن طعامك من فأسك لم يكن رأيك من رأسك، وإذا لم تكن كذلك تلاعب بك الناس[3] .

وقد ذكرنا من قبل أن ملتفتا في طريق الله لا يصل، وهذه الحكمة مرتبطة بكلمة ثانية وهي

---

(1)الطريق إلي الله ص 13.

(2) سورة التوبة {من الآية : 105}.

(3) النبراس في تفسير القران الكريم، د/علي جمعة، الوابل الصيب الطبعة الثانية سنة 210 (ص:258)

أن:«الله تعالي مقصود الكل»، أي ينبغي عليك أن تجعل الله مقصودك، وأن تسلك طريقك إليه علي بصيرة، وإلا انحرف بك الطريق لكثرة مغرياته، فقد «﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [1][2]، فلا يجوز أن تلتفت للشهوات يمينًا ويسارًا لأنك بذلك لن تصل لطريق الله، ولأن الزمن عرض غير قادر أي: غير مستقر، ولذلك قال أهل الله:« لابد عليك من القيام بواجب الوقت»، فإنَّ لكل وقت واجبًا، وواجب اليوم يجب تأديته اليوم، فإنَّ للغد عمل خاص به.

ربط الشيخ بين الحكمتين{ملتفتا في طريق الله لا يصل}، {الله مقصود الكل}، أي أنك تصل إلي لطريق المستقيم إذا كان الله مقصودك وغايتك ساعتها يوفقك إلي طريق الهدايه التي تحدث[3].

تفسير الهداية عند الشيخ « أن الهدية علي ثلاثة أقسام: هدي توفيق، وهدي دلالة، وهدي مكان، وهنا يعلمنا أن نقول:{اهدنا} أي نطلب الهدي والهداية»[4].

معني الهداية عند الشيخ التي نرجوها حتي تمهد لنا طريق الوصول إلي الله في كل شيء في التفكير في الفهم وفي غيرها، {الله مقصود الكل}فقال:«ومعني الهداية الاستقامة، ومن شأنها أن تغرس الهدوء والسكينة في النفس، مما يعين الإنسان علي الانطلاق في الكون تأملًا وتفكرًا وتعميرًا وبحثًا وفهما، وعندما تكون الهداية في الجماعة كلها، فإنها تصنع الأمة، قال تعالي: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾[5]وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(1) سورة آل عمران:{ من الآية: 14}

(2) سورة آل عمران {من الآية :14}.

(3)النبراس في تفسير القران الكريم (ص:258).

(4)النبراس في تفسير القران الكريم، (ص:252).

(5) سورة الأنبياء{من الآية:92}.

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

فالأمة شاهدة، والأمة أيضا أمة هداية وخيرية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2].

ثم يبين الشيخ في نهاية هذا الدليل لهذه القاعدة قوله: «وكل تلك المناحي والمستويات متضمنة في قولة تعالي:{اهدنا}، فهي هداية توفيق، وهداية دلالة وفهم، وهداية مكان، وهداية، وأنها بالجمع وليست بالإفراد، وأننا نسأل الله أن يوفقنا في الطريق إليه، والطريق ملتفت فيه لا يصل، والله مقصود الكل، ويجب علينا أن لا نعتمد علي الأسباب وأن لا نتركها، وأن نجعل الدنيا في أيدينا، أن لا نجعلها في قلوبنا، وأن نراعي أوقاتنا وأزماننا، ونراعي أعمالنا، وأن ألأمر ليس بكثرة العمل، إنما بشيء قد وقر في القلب[3]».

وقد أصَّل الشيخ هذه القاعدة واستقاها من كلام أئمة التفسير من أهل التصوف؛ ومن هؤلاء الإمام القشيري حيث قال:والهداية الإرشاد، وأصلها الإمالة، والمهدىّ من عرف الحق سبحانه، وآثر رضاه، وآمن به، والأمر في هذه الآية مضمر فمعنا اهدنا بنا - والمؤمنون على الهداية في الحال- فمعنى السؤال الاستدامة والاستزادة. والصراط المستقيم الطريق الحق وهو ما عليه أهل التوحيد، ومعنى اهدنا أي مل بنا إليك، وخذنا لك، وكن علينا دليلنا، ويسّر إليك سبيلنا، وأقم لنا هممنا، واجمع بك هومنا[4].

وقال الإمام البيضاوي: بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال: كيف أعينكم فقالوا اهْدِنَا، أو إفراد لما هو المقصود الأعظم[5].

---

(1) سورة البقرة {من الآية :143}.

(2) سورة آل عمران{من الآية :110}.

(3) النبراس في تفسير القرآن (ص:258).

(4) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (1/ 49).

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (1/ 30)

المطلب الثاني
مسألة تدلل علي هذه القاعدة وانتصار الشيخ فيها بالدليل القرآني
(جواز الصلاة في المساجد ذات الأضرحة)[1].

وفيها ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ وفيها أربع فقرات:

توطئة:

إذا نظرت بعين البصيرة إلي هذه المسألة التي أثارها المتشددون من عدم الصلاة في المساجد ذات الأضرحة، فلا مناجاة لك أومعتصم إلا أن ترجع إلي أقوال العلماء والمفسرين الناظرين والمتفقهين بحق في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواز ذلك وهذا مابينه الشيخ في القاعدة{الله مقصود الكل}« أي أن كل الأولياء والمشايخ الكبار كان مقصودهم هو الله سبحانه وتعالي وشبهوا السعي إلي الله تعالي، والذي هو مقصود الكل، شبهوه بطريق توصلك إلي الله تعالي في نهايته، كأن الله في نهاية طريق بين المريد وبين المراد، بين العبد وبين الخالق سبحانه وتعالي، فأسموا ما يسيرون فيه من عبادة بالطريق، لانهم رأوا أن هذا التشبيه هو أقرب شيء يستطعون أن يصفوا به ما توصلوا إليه من معارف وأذواق، وما توصلوا إليه من عبادة، ومن أفعال، ومن سلوك مع الله، شبهوا هذا الطريق فأسموه:{الطريق إلي الله) ولذلك دحض الشيخ رأي المتشددين الذين يمنعون الصلاه بالكلية في هذه المساجد وانتصر بالدليل القراني وغيره من الأدلة القاطعة في هذه المسألة وأن المقصود من الصلاة هو تأدية

(1) تكلم في هذه المسألة علماء كُثر من أهل التصوف، ومن هؤلاء العلماء المعاصرين الربانيين ، الشيخ محمد زكي الدين ابرهيم في{ ملامح التجديد في النهوض" بالطريقة الصوفية" عند سيدي الرائد محمد زكي الدين إبرهيم، كتبه المستشار الدكتور مصطفى أحمد سعفان، نائب رئيس محكمة النقض، مؤسسة إحياء التراث الصوفي مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ص 231.

العبادة لله سبحانه وتعالى، وهو المقصود سبحانه وتعالي، وأن من اتخذ مسجدا بجوار صالح أو صلى في مقبرته وقصد به الاستظهار بروحه، ووصول أثر من أثار عبادتة إليه، لا التعظيم له، والتوجه فلا حرج عليه، ولنا في كل مكان وفي مصر وغيرها آلاف المساجد التي بها أضرحة أولياء الله الصالحين.

الفرع الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ وفيها أربع فقرات:

الفقرة الأولى: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

مسألة جواز الصلاة في المساجد ذات الأضرحة.

المسألة من مسائل التصوف والرأي عندهم جواز ذلك بينما المخالفون يرفضون هذا ويرون وجوب هدمها.

رأي الشيخ الانتصار بغير هذا، أي أنه رفض كلام المخالفين

وقد عالج الشيخ هذه المسألة في كتبه(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم.

العبارات التى تدل على انتصار الشيخ لهذه المسألة قوله:

العبارة الأولى: (وهناك من يعترض على هذا الكلام ويقول: إن هذا خاص بالنَّبِيّ صلي الله عليه وسلم والرد عليه: أن الخصوصية في الأحكام بالنَّبِيّ تحتاج إلى دليل والأصل أن الحكم عام ما لم يرد دليل يثبت الخصوصية ولا دليل فبطلت الخصوصية المزعومة في هذا الموطن، ونزولاً على قول الخصم من أن هذه خصوصية للنَّبِيّ صلي الله عليه وسلم، وهو باطل).

---

(1)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 81 بعنوان، تحريم الصلاة في المساجد ذات الأضرحة والتصريح بوجوب هدمها .، فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص 80 بعنوان، حكم الصلاة والمساجد ذات الأضرحة، البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل، ص 255 بعنوان، [هل تجوز الصلاة في القبور وما حكم الصلاة في المساجد التى بها أضرحة، وهل يعد ذلك من قبيل اتخاذ القبر مسجداً؟]

العباره الثانية: (وعلى هذه السنة أنشأ المسلمون مساجدهم ولم يجدوا نكيراً في إلحاق المسجد بضريح أحد آل البيت الكرام أو الصالحين).

الفقرة الثانية: الصلاة في القبور.

توطئة:

وضح الشيخ اللبْس الذي حدث حول هذه المسألة على أن الصلاة في القبور ليست هي الصلاة بالمسجد الذي به ضريح، وليست هي اتخاذ القبر مسجدًا؛ ولذلك نفرق بين ثلاثة أمور:

1. الصلاة في القبور.
2. اتخاذ القبر مسجدًا .
3. الصلاة بالمسجد الذي به ضريح[1].

الصلاة في القبور:

القبر: مدفن الإنسان، يقال: قَبَرَهُ يَقْبِرُهُ ويَقْبُرُهُ، قبرًا ومقبرًا :دفنه، وأقبره: جعل له قبرًا،والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور أي موضع دفن الموتى. والقابر: الدافن بيده[2].

والقبر محترم شرعا توقيرًا للميت، ومن ثم اتفق الفقهاء على كراهة وطء القبر والمشي عليه، لما ثبت؛ أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم نهى أن توطأ القبور[3] لكن المالكية خصوا الكراهة بما إذا كان مسنمًا، كما استثنى الشافعية والحنابلة وطء القبر للحاجة من الكراهة، كما إذا كان

---

(1) فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأه المسلمة 80.

(2)انظر لسان العرب، ج5 ص69.

(3)أخرجه الترمذي في سننه، (3/359)، أَبْوَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ تَجْصِيصِ القُبُورِ، وَالكِتَابَةِ عَلَيْهَا، حدبث رقم (1052) .

لا يصل إلى قبر ميت إلا بوطء قبر آخر ، أما عن حكم الصلاة في المقابر ففيها خلاف بين الفقهاء(1).

الفقرة الثالثة: اتخاذ القبر مسجدًا.

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا أنبيائهم مساجد"(2).

علق الشيخ على هذا الحديث بقوله:

أن بعض علماء الأمة لم يفهموا من الحديث أن المقصود النهي عن اتصال المسجد بضريح نبي أو صالح، وإنما فسروا اتخاذ القبر مسجدًا التفسير الصحيح، وهو أن يُجعل القبر نفسه مكانًا للسجود، ويسجد عليه الساجد لمن في القبر عبادة له، كما فعل اليهود والنصارى؛ حيث قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(3)

فهذا هو معنى السجود الذي استوجب اللعن، أو جعل القبر قبلة دون القبلة المشروعة، كما يفعل أهل الكتاب؛ حيث يتوجهون بالصلاة إلى قبور أحبارهم ورهبانهم، فتلك الصور هي التي فهمها علماء الأمة من النهي عن اتخاذ القبور مساجد(4).

---

(1)انظر: فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأه المسلمة 81.

(2)أخرجه البخاري في صحيحه، (ج2/88)، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، رقم{1330}، ومسلم في صحيحة، (ج1/ 376)كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ رقم {529}.

(3)سورة التوبة: { الآية: 31}.

(4) انظر المتشددون منهجهم... ومناقشة أهم قضاياهم ص86.

الفقرة الرابعة: الصلاة بالمسجد الذي به ضريح.

الصلاة بالمسجد الذي به ضريح أحد الأنبياء عليهم السلام أو الصالحين، فهي صحيحه، ومشروعة، وقد تصل إلى درجة الاستحباب، والأدلة على هذا الحكم كثيرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وفعل الصحابة، وإجماع الأمة العملي(1).

الفرع الثاني:

ما أورده الشيخ من أدلة من القرآن الكريم حول هذه المسألة وموافقته لآراء المفسرين.

من الآيات القرآنية التي انتصر بها الشيخ لهذه المسألة [الصلاة في المساجد ذات الأضرحة]،

﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾(2).

وجه الدلالة من الآية:

هو جواز الصلاة في المساجد التي بهاأضرحةحيث أشارت الآية إلى قصة أصحاب الكهف، حينما عثر عليهم القوم فقال بعضهم: نبني عليهم بُنيانًا، وقال آخرون: لنتخذن عليهم مسجدًا.

تفسير الشيخ لهذه الآية الكريمة:

أن الآية أشارت إلى قصة أصحاب الكهف حينما عثر عليهم الناس فقال بعضهم: نبنى عليهم بنيانًا، وقال آخرون: لنتخذون عليهم مسجدًا، والسياق يدل على أن الأولى: قول المشركين، والثاني: قول الموحدين، والآية طرحت القولين دون استنكار، ولو كان فيهما شيء من الباطل لكان من المناسب أن تشير إليه وتدل على بطلانه بقرينة ما، وتقريرها للقولين يدل

(1) فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأه المسلمة ص82.

(2)سورة الكهف:{من الآية:21}.

على إمضاء الشريعة لهما، بل إنها طرحت قول الموحدين بسياق يفيد المدح، وذلك بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول الموحدين قاطعًا (لنتخذنَّ) نابعاً من رؤية إيمانية، فليس المطلوب عندهم مجرد البناء، وإنما المطلوب هو المسجد، وهنا القول يدل على أن أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة، قال الرازي في تفسير (لنتخذن عليهم مسجدًا) نعبد الله فيه ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد[1].

أقوال وآراء بعض المفسرين حول تفسيرهم لهذه المسألة:

1- الإمام الزمخشري[2]:

في تفسيره لهذه الآية: ﴿**قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا**﴾ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لَنَتَّخِذَنَّ على باب

(1) المتشددون منهجهم... ومناقشة أهم قضاياهم ص82.

(2) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، فإنه كان نحويًا فاضلًا، ولد بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، وأخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني وأبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري وأخذ عن أبي مضر، ، وصنف كتبًا حسنة، منها كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل، وكتاب الفائق في غريب الحديث، وكتاب ربيع الأبرار، وكتاب أسماء الأودية والجبال، وكتاب المفرد والمؤلف في النحو، وكتاب المفصل في النحو،توفي أبو القاسم الزمخشري بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. انظر:نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 مج 1، ص 290.

انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

الكهف مَسْجِدًا يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم(1).

ولعل في ذلك إشارة واضحة من الإمام الزمخشري بجواز بناء المساجد بجوار الأضرحة، وإذا كان يجيز البناء فالأولى إجازة الصلاة فيه، وعلى ذلك المنهاج يسير الشيخ في تفسيره حيث قال:ووجه الاستدلال بالآية أنها أشارت إلى قصة أصحاب الكهف حينما عثر عليهم الناس فقال بعضهم:نبني عليهم بنيانًا، وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدًا.

2.من المفسرين لهذه الآية: الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى ورضي عنه.

قال بعضهم لبعض: {ابنوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا} أي: مطلق البنيان، فعارضهم آخرون بأن البناء يجب أن يكون مسجدًا: ﴿**قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا**﴾ ليكون موضعًا للسجود لله وللعبادة ليتناسب مع هذه الآية العظيمة الخالدة.

وفي كلام الشيخ الشعراوي . رحمه الله تعالى . دلالة على أن أصحاب هذا القول هم أصحاب فطنة وذكاء وهم أصحاب الرأى السديد الذى ذكره الله عز وجل في كتابه قرناً يتلي إلى يوم القيامة وإذ كانوا أصحاب رأى سديد، فمن دلالة المفهوم أنه لا مانع من البنيان بل إن البنيان هو عون الصواب وذلك لحلول البركة والخير لهؤلاء الصالحين.

3.وفي تفسير صاحب الجلالين(2) :

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ 2/ 711.

(2) كتاب الجلالين مؤلفه رجلان أحدهما جلال الدين المحلي، وهو الذي ألف آخره، من سورة الكهف إلى آخره، وجلال الدين السيوطي وهو الذي ألف أوله، من البقرة إلى سورة الإسراء، أما جلال الدين المحلَّى، فهو جلال الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلَّى الشافعى، تفتازانى العرب، الإمام العلاَّمة. قال فى حسن المحاضرة: "ولد بمصر سنة 791 هـ (إحدى وتسعين وسبعمائة) ، واشتغل وبرع فى الفنون فقهًا، وكلامًا، وأُصولًا، ونحوًا، ومنطقًا، وغيرها. وأخذ من البدر محمود الأقصرانى، والبرهان البيجورى، والشمس البساطى، والعلاء البخارى، وغيرهم، وكان علاَّمة آية فى الذكاء والفهم، حتى كان بعض أهل

{فَقَالُوا} أَيْ الْكُفَّار {ابْنُوا عَلَيْهِمْ} أَيْ حَوْلهمْ {بُنْيَانًا} يَسْتُرهُمْ {رَبّهمْ أَعْلَم بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرهمْ} أَمْر الْفِتْيَة وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ} حَوْلهمْ {مَسْجِدًا} يُصَلَّى فِيهِ وَفُعِلَ ذَلِكَ عَلَى بَاب الكهف.

والواضح من كلام الإمام جلال الدين المحلي، أنه أشار علي أن المؤمنون اتخذوا المسجد قربه إلى الله عز وجل وبنوا المسجد فعلًا وَصَلوا فيه، وليس هناك أدل من ذلك ولا أوضح على جواز الصلاة في المساجد التي بها أضرحة.

عصره يقول فيه: إن ذهنه يثقب الماس، توفى – رحمه الله – فى أول يوم من سنة 864 هـ (أربع وستين وثمانمائة من الهجرة) أما وجلال الدين السيوطي: فهو: أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، الحافظ المحدث، اللغوي الأصولي الفقيه المفسر، ولد سنة 849هـ، شب يتيمًا فحفظ القرآن، وطلب العلم، فألح في طلبه، وأغرم منذ نعومة أظافره بالجلوس للشيوخ والعلماء، ولما بلغ سن الأربعين اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس بالقاهرة على نيل مصر، وانهمك في التأليف والتصنيف، له كتب كثيرة؛ منها:جمع الجوامع، الإتقان في علوم القرآن، طبقات المفسرين.، توفي بروضة المقياس، ودفن بالقاهرة في حوش قوصون خارج باب القرافة المعروف الآن ببوابة السيدة عائشة سنة 911هـ.، انظر: : أسرار ترتيب القرآن ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع 36/1. انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، 237 انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: 1430هـ)، 6/59

الفرع الثالث: خلاصة القول في هذه المسألة:

وبعد إتمام هذه المسألة كانت هذه النتائج:

النتيجة الأولى: الشيخ أصَّل لهذه المسألة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، ومن أقوال السلف الصالح، لكن كان الإقتصار في هذه المسألة على الدليل من القرآن الكريم في هذا المبحث.

النتيجة الثانية: أن الشيخ وافق قوله قول السابقين من المفسرين حول هذه المسألة.

النتيجة الثالثة: أن الشيخ حول هذه المسألةفي بعض الأحيان نقل من كلام المفسرينوشرح وبسط القول فيها.

المبحث الثاني
قواعد التصوف المستنبطة من السنة النَبوِيَة
عند الشيخ علي جمعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قواعد التصوف المستنبطة من السنة النَّبوِيَّة عند الشيخ علي جمعه.

القاعدة الأولى:

التصوف ليس مذهبًا فقهيًا ولا عقائديًا، وإنما منهج روحي[1].

إن الشيخ علي جمعة يؤسس في هذه القاعدة أن التصوف منهج تربوي يهتم بالروح والسلوك، وتطهير النفس من كل أمراضها، وساق دليلًا من السنة النبوية على أن هذا المنهج روحي، سلوكي .

أدلة هذه القاعدة:

حديث جبريل عليه السلام عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ

(1) هذه القاعدة: تكلم حول هذا المعنى والمضمون كثير من أهل التصوف، غير أن الشيخ علي جمعة تفرد بهذا اللفظ .

تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(1).

وجه الدلالة من الحديث:

هو مراقبة الله عز وجل في السر والعلانية، وأن نعبد الله تعالي كأننا نراه فهو مطلع علينا ويرانا فنحتاج إلي تزكية النفس وتقواها والتصوف أصل في ذلك.

وحديث جبريل هو أصل بَنَتْ عليه الأمة علم التصوف{التزكية}، وأن هذاالحديث سببًا لتحصيل العلوم الشرعية، وهذه القاعدة اشتملت علي معالم الدين الكبري، والذي أخرجه الأئمة الكبار، واهتموا به وجعلوا هذا الحديث من الأحاديث الجليلة في مقام الإحسان، وقد جعل العلماء هذا الحديث سببًا لتحصيل العلوم الشرعية، فأقاموا علومًا تحفظ الإيمان أسموها:{علم التوحيد}، أو علم الكلام}، أو:{علم أصول الدين(2)}.

شرح القاعدة:

بين الشيخ في هذه القاعدة أنه لايمكن أن نَعُدَّ التصوف مذهب عقائديا،كالمعتزلة، والشيعة، وغيرهم، ولايُعدَّ التصوف مذهبًا فقهيًا، كالحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة،

---

(1)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (1/ 19)، رقم[50]، وأخرجه مسلم في صحيحه(1/ 37)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم [8].

(2) الطريق إلي الله (ص: 8).

إنما التصوف منهج تربوي، ومع أن التصوف ليس مذهبًا عقائديًا إلا أنهم ينتمون لمذهب أهل السنة والجماعة[1].

وهذا ما أكد عليه الشيخ وساق أقوال بعض العلماء ومنهم:

1- تاج الدين السبكي[2] في شرح عقيدة ابن الحاجب فقال:«اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا علي معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك. وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف:

الأولي: أهل الحديث، ومعتقد الأدلة السمعية، الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي وهم الأشعرية والحنفية (الماتريدية).

الثالثة: أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية[3]، ومباديهم أهل النظر والحديث في البداية

---

(1) البيان لما يشغل الأذهان، فتاوي شافية في قضايا عاجلة ص 335.

(2) هو: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، قاضي القضاة، المؤرخ، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها، نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه القضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيدا مغلولًا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون. انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضى شهبة (3/ 104)، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» لمحمد بن علي الشوكاني(1/ 410).

(3) اعتبر الإمام شيخُ المتكلمين فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى الصوفية فرقة خاصة، كما قال هو عن نفسه، وحجته في ذلك أن الصوفية تمتاز بشيء في الأصول تختلف عن بقية الفرق الإسلامية ، فأهل السنة الجماعة يرون أن الطريق لمعرفة الله تعالى هو السمع ، وفرق المعتزلة وبعض الفرق الأخرى ترى أن ذلك الطريق هو العقل ، أما الصوفية فترى أن الطريق لمعرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية للأصول إلى مرتبة الكشف ، وقد أفرد الرازي ف كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) بابًا خاصا للصوفية هو (باب الثامن في أحول الصوفية) يقول فيه : اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية ،

والكشف والإلهام في النهاية[1]».

2- الإمام محمد أحمد السفاريني الحنبلي[2]:فقال(أهل السنة والجماعة ثلاث فرق:

1. الأثرية: وإمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله تعالي[3].

2. الأشعرية: وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالي[4].

3. الماتريدية: وإمامهم أبو منصور الماتريدي[1].

وهذا طريق حسن، وهم فرق ...) وذكر ست فرق . انظر : دراسات في التصوف الإسلامي للدكتور محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة 104 هـ، 1984م ص 29.

(1) إشارات المرام من عبارات الإمام، للشيخ يوسف عبد الرازق في تعليقة ص 298

(2) هو: محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد النابلسي الحنبلي، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف، ونشأ بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها، من كتبه: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ولوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

انظر ترجمته في: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (4/ 31)، لمحمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: 1206ه، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م ، والأعلام للزركلي (6/ 14).

(3) هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي ، فقيه ومحدِّث ، صاحب المذهب الحنبلي ولد في شهر ربيع الأول من سنة 164هـ ، وتوفى من يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة 241هـ ، انظر، الأئمة الأربعة ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني،بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1411هـ ، 991م، ج4 ص 7.

(4) هو: الإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري : مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد في البصرة سنة 260 وقيل 270 هـ ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفى ببغداد سنة 324هـ ، من تصانيفة الكثيرة الردّ على المجسمة ، لردّ على ابن الراوندي في الصفات والقرآن ، التبيين عن أصول الدين، انظر: سير أعلام النبلاء ، ج15/ ص 85، ومعجم المؤلفين ، ج2/ ص 405.

وأغفل السفاريني الصوفية لا لأنه لم يعدهم من أهل السنة والجماعة، وإنما لأنه لم يعدهم مذهبا عقائديا، بل هو مذهب سلوكي[2].

فالتصوف منهج روحي وسلوكي وبرنامج تربوي، يُقَوم النَّفس من كل مافيها من أمراض وانحرافات حتي يستقيم العبد مع الله، ومع الخلق ومع النفس.

والشيخ علي جمعة يتكلم عن هذه القاعدة علي أن التصوف يهتم بالروح والسلوك حتي ترتقي النفس إلي أعلي درجاتها في القرب إلي الله فقال:التصوف هو منهج التربية الروحي والسلوكي الذي يرقي به المسلم إلي مرتبة الإحسان، التي عرفها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[3]».

والطريقة الصوفية هي المدرسة التي يتم فيها ذلك التطهير النفسي والتقويم السلوكي، والشيخ هو القيم أو الأستاذ الذي يقوم بذلك مع الطالب أو المريد[4].

فالنفس البشرية يعتريها الضعف في بعض الأحيان من كبر، وعجب، وبخل، وغضب، وغير ذلك من هذه الأمراض التي بداخل النفس البشرية فتحتاج إلي الخلوة وإلي الذكر حتي

---

(1) هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، ولد بسمرقند يقال لها ما تريد، وهو من أئمة المتكلمين، وإليه تنسب الماتريدية وله مؤلّفات منها (التوحيد) و (أوهام المعتزلة) و (مآخذ الشريعة) وغير ذلك. مات سنة 333هـ، انظر: ترجمته في: (الفوائد البهية 195) و (الأعلام للزركلي 7/ 242).

(2)لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية علي عقائد الفرقة الناجية، ، لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ص73

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 19) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة رقم[50]، وأخرجه مسلم في صحيحه (1/ 37)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم [8].

(4) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص336

يتخلي الإنسان عن هذه الأفكار المريضة والسلوكيات المنحرفة فقال الشيخ: (طريق الله يُبني علي الذكر وعلي التربية وعلي الخلوة التي يعود فيها الإنسان إلي نفسه، فيراقبها ويتوب ويرجع، وينزع نفسه من الأفكار الخاطئة ومن السلوكيات المنحرفة، طريق الله يبدأبالذكر وتتوسطه التربية وينتهي بالمراقبة والخلوة، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلوا بنفسه في غار حراء إلي أن من الله عليه بالنبوة[1].

قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالي في الحكم: (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضي منك عنها، ولئن تصحب جاهلا لا يرضي عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضي عن نفسه، فأيَّ عِلمٍ لِعَالمٍ يرضي عن نفسه! وأي جهل لجاهل لا يرضي عن نفسه!.)

قال الشيخ عبد الرؤف المناوي شارحا لبعض هذه الحكمة قوله: (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس!؛ لأنه يوجب اتباع أمرها وهي أمارة بالسوء، ويغطي عيوبها، ويصير قبيحها حسنا[2].

فالنفس البشرية بطبيعتها يتراكم بداخلها مجموعة من الأمراض مثل: الكبر، والعجب، والغرور، والأنانية، والبخل، والغضب، والرياء، والرغب في المعصية، والخطئية، والرغبة في التشفي والانتقام، والكره، والحقد، والخداع، والطمع، والجشع[3].

قال تعالي حكاية عن امرأة العزيز: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ

(1) التربية والسلوك ص 224، 225.

(2) الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي، محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين ابن علي، 1622.1945.، تحقيق:بدوي فتحي عطية، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 2012.ص 214

(3) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل 336.

رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ (1).

ومن أجل ذلك فطن أسلافنا الأوائل إلي ضرورة تربية النفس، وتخليصها من أمراضها لتتواءم مع المجتمع وتفلح في السير إلي ربها.

قال الإمام الإنماطي (2): أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأحوالها، وأشد منه طلب العوض علي فعلها، فمن خالف نفسه واتبع هواه خسر دنياه وأخراه، ومن خالف ونهي هواها عن بلوغ مناه فالجنة مأواه(3).

وهذا المنهج التربوي الروحي السلوكي لابد أن يتصف بأمور وهي ماذكرها الشيخ:

1- التمسك بالكتاب والسنة؛إذ أن الطريقة الصوفية هي منهج الكتاب والسنة، وكل من خالف الكتاب والسنة فهو ليس من الطريقة ترفضه وتنهي عنه.

2. لا تعد الطريقة تعاليم منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها(4).

وضع الشيخ في هذه القاعدة حتي يصل المريد إلي هذا المنهج التربوي السليم القويم ويعلوا بهذه النفس إلي أقصي درجاتها من الإيمان بعيدا عن أمراضها التي ذكرها الشيخ من الكبر وغير ذلك فلابد من وجود شيخ مربي لهذا المنهج.

«اشترط الصوفية وجود الشيخ في طريق السير إلي الله، لأنه يوجّه المريد أن يعود مرة ثانية

(1) سورة يوسف:{الآية:53}.

(2) علي الجمل الأنماطي، نسبة إلي قرية بقرب قليوب، له القدم الراسخ في التصوف، واليد الطولي في تسليك المريد، قدم مصر من بلدته، وصار يعمل المجالس الحسنة بجامع الحاكم، ويجتمع في مجلسة الجم الغفير، مات في رأس القرن التاسع الهجري، ودفن بزاوية بخط المقسم جهة باب البحر، التراجم الدرية في تراجم السادة الصوفية (طبقات المناوي الكبري) ترجمة رقم 888/151ج4.

(3) الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي ص 214

(4) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل 337.

إلي الطريق، وأسموه بالشيخ المرشد، وجعلوا الشيخ بناءً علي التجربة التي لا تعارض الكتاب والسنة بل تنبع منها، وفيها تأيد من الكتاب والسنة، علي ما كان حال النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مع الصحابة مع التابعين إلي يومنا هذا[1]».

«الشيخ يلقن المريدين الأذكار ويعاونهم علي تطهير نفوسهم من الخبث، وشفاء قلوبهم من الأمراض فهو القيم أو الأستاذ يري منهجا معينا هو الأكثر تناسبا مع هذا المريض[2].

فهذا المنهج (التصوف) منهج روحي سلوكي، ولذلك وضع الشيخ هذه القاعدة ليبين أن التصوف يقوم بتطهير النفس من كل أمراضها وتترقى هذه النفس حتي تصل إلي أعلى مرادها إلي الله تعالي، وبعد أن حفظ الله لنا العلوم من {علم التوحيد}، وغير ذلك من العلوم نحمد الله تعالي علي أن قيض لنا علماء يحفظون لنا مقام الإحسان:« ثم بعد ذلك بقي لنا جوهر الدين وأساسه، وهو التزكية، أو هو مرتبة الإحسان، فالتفت إليها الناس، وكما أن العقيدة حفظت بعلم التوحيد، والشريعة حفظت بعلم الفقه، قام علم السلوك ولتزكية بحفظ مرتبة الإحسان، وبدأ الناس يصنفون، ويراقبون أنفسهم في طريق الله الذي يوصل إليه، وفيه يسير العبد إلي الله، ويعبد الله كأنه يراه.»[3].

«وهذا المقام قد قام السادة الصوفية عبر العصور بحمايته، وبيان هذا الطريق إلى الله[4]، وهو: كيف تعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك».

---

(1) الطريق إلي الله ص15

(2) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل 338.

(3)البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل ص11.

(4) وقال الإمام المباديء العظم ص194.

مسألة تدلل علي هذه القاعدة وانتصار الشيخ فيها بالدليل من السنة النَّبَوِيَّة:

(جواز الترجي بالنبي صلى الله عليه وسلم).

وفيها أربعة فروع:

الفرع الأول:المسألة وتوثيقها.

الفرع الثاني: انتصار الشيخ لهذه المسألة من السنة النَّبَوِيَّة المطهرة.

الفرع الثالث: انتصار الشيخ لهذه المسألة بأقوال أهل العلم من السابقين.

الفرع الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

التصوف هو منهج التربية الروحي والسلوكي الذي يرقي به المسلم إلي مرتبة الإحسان، التي عرفها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1]» وهذا المنهج الروحي والسلوكي يقرب العبد من ربه ومن رسوله، ونحن نتقرب إلي الله برسوله صلى الله عليه وسلم فنترجي به أونؤكد الكلام به أو بأل البيت في الحلف فهذا مِن تعلق الناس برسولهم، ومع أن التصوف سلوك فكان من سلوك بعض الناس من يترجون برسول الله وبمكانته تقربا إلي الله تعالي بالكلام وليس المقصود الحلف فخرج أناس فحرموا كل شئ ونهوا الناس عن ذلك، وهذا بسبب سوء فهمهم وغلق قلوبهم وعقولهم، وأورد الشيخ لهذه المسألة سيلاًمن الأحاديث النبوية المطهرة لتوضيح ما اختلط على عقول الناس في هذا العصر لهذه المسألة الترجى بالنبى صلى الله عليه وسلم وخلطها بالشرك بالله عز وجل وذلك لكلام غير المتفقهين والعارفين بدين الله، وخلطهم بين المعانى وعدم فهمهم للألفاظ، والمراد من السنة ،فقداتهم المتشددون من يترجون بالنبى صلى الله عليه وسلم

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 19) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة رقم[50]، وأخرجه مسلم في صحيحه (1/ 37)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم [8].

بالشرك فأقام الشيخ الحجة والبرهان من السنة االنبوية وغيرها على جواز ذلك.

الفرع الأول: المسألة وتوثيقها.

وقد عالج الشيخ هذه المسألة في كتابه[1] المتشددون منهجهم ومناقشة أهم القضايا.

2- العبارات الدالة على انتصار الشيخ لهذه المسألة قوله: " يتهم المتشددون من يترجون بمكانة النبى صل الله عليه وسلم بالشرك ويبادرونه بقولهم: قل لا إله إلا الله، وفي الحقيقة نتج ذلك عن خلط أمرين، الأمر الأول هو ظنهم أن الترجى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وتأكيد الكلام به من باب الحلف، والأمر الثانى أنهم اعتقدوا أن حكم الحلف بالنبى صلى الله عليه وسلم ، هو نفس حكم الحلف بآلهة المشركين وتوضح فساد فهمهم[2].

الفرع الثاني: انتصر الشيخ لهذه المسألة من السنة النَّبَوِيَّة المطهرة.

وقد انتصر الشيخ لهذه المسألة من السنة النَّبَوِيَّة المطهرة، فأورد فيها سيلًا من الأحاديث النَّبَوِيَّة التى استشهد بها في معرض حديثه لهذه المسألة، ليدحض أمامه الأقوال الزائفة والحجج الباطلة والآراء المتشددة، ويعلى قيمة الحق مستندا على أهم الأصول الشرعية وهى السنة النَّبَوِيَّة المطهرة، وفرقّ الشيخ في البداية في هذه المسألة بين الترجى وتأكيد الكلام، وبين ما هو حلف أصلا، فاستشهد ببعض الأحاديث التى ورد فيها الترجى بالنبى صلى الله عليه وسلم ومن ذلك:

الحديث الأول:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ فَقَالَ: " أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى

---

(1)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم القضايا ص 111 بعنوان (اتهام من ترجى بالنبى بالشرك الأصعر).

(2) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم القضايا ص 111 .

الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ " [1].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

أورد الشيخ هذا الحديث ليدلل به على أن هذا تأكيدُ للكلام وليس حلفًا فلا يدخل في باب الحلف؛ لأن بعض الناس تخلط تأكيد الكلام بالحلف.

الحديث الثاني:

حديث الرجل النجدى الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ...وفي آخره: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفلح وأبيه أن صدق " أو" دخل الجنة وأبيه إن صدق "[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

في هذا الحديث السابق تأكيد للكلام وليس الحلف، وقد أراد الشيخ أن يمنع الخلط بين التأكيد وبين الحلف لأن هذا التأكيد يَرِدُ على ألسنة الناس الخاصة والعامة والمثقفة وغيرها فيأتى أحد المتشددين فيطلب منه الإستغفار والرجوع إلى دينه، وما فعل الرجل شيئًا غير أنه أكد كلامه بكلمة وأبيك أو وأمك أو لمحبتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأورد الشيخ من الأحاديث مايدلل به على أن الحلف بالآباء ليس شركًا، وهذه الأحاديث صحيحة ومنها:

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، رقم [1032]، (2/ 716)، .

(2)أخرجه مسلم فى صحيحه، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام(1/ 41)،(12).

فقال: يا رسول الله نبئنى بأحق الناس منى بحسن الصحبة، فقال "نعم وأبيك لتنبأن، وأمك"[1].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

وفي هذا الحديث تجد أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يخبر الرجل قال نعم وأبيك، وأهون من ذلك ما يجري على ألسنة العامة حينما يقول الرجل "والنبى " أو ورسول الله لتفعل كذا" فهذا الحديث وغيره ينفي أى تهمة بالشرك أو الابتداع حال الترجى بالرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحديث الرابع: ما ثبت في الصحاح أن امرأة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت له:" لا وقرة عينى لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات"[2] تعنى طعام أضيافة.

وجه الدلالة من هذا الحديث:

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن الأمر فيه بحبوحة وسعة، وذلك لاختلاف الألفاظ ما بين حديث وأخر .

وذكر الشيخ أيضا كثيرًا من الأحاديث التى وردت فيها هذه الكلمة " وأبيك " أو كلمات أخرى قريبة من ذلك مثل " وقرة عينى " وكثرة الأحاديث يدلل بها الشيخ وكان يكفيه دليل حتى لا يدع مجالا لشبهة تأتي في النفس أو شك يعترى القلب ومن هذه الأحاديث:

الحديث الأول:

1- عن أبى العشراء عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أما تكون الذكاة إلا في الحلق أو

---

(1)أخرجه ابن ماجه في سننه (4/ 12)، أبواب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت، رقم[2706]، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط:حديث صحيح.

(2)أخرجه أحمد فى مسنده، ج1، ص18 والبخارى فى صحيحه، ج1، ص124، ومسلم فى صحيحه، ج3، ص1627، من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

اللبة ؟ قال: " وأبيك لو طعنت في فخذها لأجزاك "[1].

الحديث الثاني: عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بطعام من خبز ولحم فقال: " ناولني الذراع "، فنوول ذراعا، فأكلها، - قال يحيى: لا أعلمه إلا هكذا ثم - قال: "ناولني الذراع"، فنوول ذراعا، فأكلها، ثم قال: " ناولني الذراع " فقال: يا رسول الله، إنما هما ذراعان فقال: " وأبيك لو سكت ما زلت أناول منها ذراعا ما دعوت به[2].

الحديث الثالث: عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه: أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم، فنزل على أبي بكر الصديق، فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه، فكان يصلي من الليل، فيقول أبو بكر: وأبيك ما ليلك بليل سارق ثم افتقدوا حليا لأسماء بنت عميس امرأة أبي بكر، فجعل الرجل يطوف معهم يقول: اللّهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح، فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به، فاعترف الأقطع، أو شهد عليه، فأمر به أبو بكر، فقطعت يده اليسرى، وقال أبو بكر: والله لدعاؤه على نفسه أشد عليه عندي من سرقته[3].

وجه الدلالة من الأحاديث الثلاثة السابقة:

أن في هذه الأحاديث السابقة نصوص صحيحة موافقة لجواز الحلف بالأباء، وفيبعضها تجد أن سيدنا أبى بكر. رضى الله عنه. وأرضاه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الكلمة "وأبيك " فلو كانت هذه الكلمة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ما نطق بها

---

(1)أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (9/ 413)، كتاب الصيد والذبائح، باب ما جاء في ذكاة ما لا يقدر على ذبحه إلا برمي أو سلاح [18931].

(2) أخرجه أحمد فى مسنده(9/ 107)، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رقم[5089]، وقال الشيخ أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(3)أخرجه مالك فى الموطأ (5/ 1222)، كتاب السرقة، جامع القطع، رقم[3088] .

أكبر الصحابة رضوان الله عليهم وتجد من خلال ما ساقه الشيخ من الإستشهادات والأحاديث النَّبَوِيَّة أن الأمر ليس قاصرًا أو متوقفا على هذه الكلمة بل إن الأمر أوسع من ذلك.

الفرع الثالث: انتصار الشيخ لهذه المسألة بأقوال أهل العلم من السابقين.

توطئة:

ولكى لا يدع الشيخ بابًا لتأول عليه أو لمغالطته في الإستشهاد لهذه الأحاديث كثيرًا ما نراه يعقب على الإستشهاد بهذه الأحاديث بكلام كبار شراح السنة وعلمائها فمن ذلك:

1. الامام النووي[1]: حيث أورد الشيخ كلامه فقال: ليس هذا حلفًا وإنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهى إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه إعظام المحلوف به ومضاهاته بالله سبحانه وتعالى، فهذا هو الجواب

(1) النووي الشيخ الإمام القدوة الحافظ، الزاهد، العابد، الفقيه، المجتهد، الرباني، شيخ الإسلام أحسبه، الإمام: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن حزام بن الحزامي الحوراني النواوي الشافعي صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة (بنوى) وكان أبوه دكانيًا بها، فنشأ الشيخ في ستر وخير وحفظ القرآن، وبقي يتعيش في الدكان لأبيه، ثم نقله أبوه في سنة تسع وأربعين إلى دمشق ليشتغل بها، فنزل بالرواقية يتقوت بالجراية، ويدرس في (التنبيه) فحفظه في أربع أشهر ونصف، وقرأ ربع (المهذب) في تمام السنة على الشيخ: الكمال إسحاق بن أحمد، ومن مؤلفاته: لمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، رياض الصالحين، الأربعين النووية، وفاته سافر وزار بيت المقدس فرد إلى نوى مريضًا وانتقل به إلى الله في الرابع والعشرين من رجب سنة 676هـ، انظر: : جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق: أحمد بن على الدمياطي، الناشر: مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ج 1، ص10 انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ،:لعبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (المتوفى : 1409هـ)، الناشر : مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة : الثانية ج2، ص 737.

المرضى "[1].

2. ونقل الحافظ ابن حجر[2] قول الإمام البيضاوي فقال: " هذا اللفظ من جملة ما يزاد في الكلام لمجرد التقرير والتأكيد ولا يراد به القسم، كما تزاد صيغة النداء المجرد الإختصاص دون القصد إلى النداء "[3].

الفرع الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة:

1. رجوع الشيخ بوفرة وغزارة إلى الأحاديث النَّبويِّة وسدادها على إختلاف أنواعها وكتبها مما يدل على إعتنائه بهذا الركن الأصيل في التأصيل لكل مسألة والتقعيد لها.

2. بناءًا على ما ساقه من الأحاديث النَّبويِّة سالفة الذكر فإن الترجي أو تأكيد الكلام بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بأل بيته الكلام ليس شركا ولا إبتداعا في دين الله بل إنه لا شبهة تعترى القلب فيه .

3. أن الحلف بالنبى صلى الله عليه وسلم ، أو الترجى أو تأكيد الكلام به وبأل بيته صلى الله عليه وسلم ، هو أمر مشروع ترضى به النفس ولا يشك فيه القلب ويرتاح اليه الضمير لوروده على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

4. أن العرف الذى جرى بين الناس على الحلف برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالف

---

(1) شرح صحيح مسلم، للإمام النووى، ج1، ص168.

(2) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بالقاهرة سنة 773هـ، ووفاته بها سنة 852هـ، علت شهرته، وصار حافظ الإسلام، أشهر كتبه "شرح البخاري المسمى: فتح الباري"، و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، و"لسان الميزان"، و"تعجيل المنفعة برجال الأربعة"، وغيرها كثير، انظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، لعبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (المتوفى: 1071هـ)، تحقيق: عصام رواس قلعجي، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، 1407هـ.

(3) فتح البارى شرح صحيح البخارى، للحافظ ابن حجر، ج11، ص534.

الشرع الحنيف وليس حراما أو شركا وإنما هو مبنى على أصول شرعية ثابتة كالجبال الرواسى.

5. لوحظ من خلال عرض هذه المسألة أن الشيخ بإيراده هذه النصوص النَّبَويِّة المطهرة قد انتصر انتصارا واضحا على خصومه بل وبين جهلهم وفضح أمرهم وكشف سوءاتهم في أنهم يتقولون على الله ورسوله بلا علم حيث ختم الشيخ كلامه لهذه المسألة بقوله:

وبناء على ذلك فإن الترجى أو تأكيد الكلام بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو أل البيت أو غير ذلك كما جاء بالسؤال مما لا يقصد به حقيقة الحلف هو أمر مشروع لا حرج على فاعله لوروده في كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة، وجريان عادة الناس عليه بما لا يخالف الشرع الشريف، وليس هو حراما ولا شركا ولا ينبغى للمسلم أن يتقول على الله بغير علم[1] حيث يقول تعالى ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [2] والله تعالى أعلى وأعلم.

القاعدة الثانية: (معايشة السلوك إلي الله إما بالمعرفة وإما بالعمل والتطبيق والتذوق) [3].

بين الشيخ أن هذا الطريق الذي نسير به إلي الله لابد أن يكون بالمعرفة، أو بالعمل حتي نَطَلِعَ علي الكتب ونعرف ما بها ونصل إلي لله تعالى ، والله مقصود الكل، ونصبح أعلم العالمين في التصوف.

(1) المتشددون منهجهم، ومناقشة أهم قضاياهم، ص114.

(2)سورة النحل {الآية:116}.

(3) هذه القاعدة تكلم في هذا المعنى كثير من أهل التصوف وتفرد الشيخ فيها بالفظ.

الدليل علي هذه القاعدة من السنة:

«النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم حينما مر به سيدنا الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، قال له:كيف أصبحت يا حارثة .؟قال أصبحت مؤمنا حقا، فقال: "انظر ما تقول ؟ فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟" فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمات نهاري، وكأني أنظر إلي عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلي أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلي أهل النار يتضاغون فيها، فقال: "ياحارثة عرفت فالزم". ثلاثا[1].

«إذا فإدراك الطريق قد يكون عن طريق العلم، وقد يكون عن طريق التطبيق والممارسة والعمل»[2].

وجه الدلالة من هذه القاعدة:

معرفة الطريق سواء كان بالعلم، أو بالعمل فهذا يبين لنا أنواع النفس، وأنواع الأنوار، وكيف يفتح الله لنا من علمة وفيضه في معرفة التصوف ونكون من أعلم الناس فيه.

شرح القاعدة عند الشيخ:

هذا المنهج السلوكي التربوي الوجداني يعيشه المريد إما بالمعرفة، أو بالعمل والتطبيق والتذوق وكما يقول أهل الله من السادة الصوفية (من ذاق عرف، ومن عرف اغترف).

«والمعرفة علي كل حال لا بأس بها، لأنها تساعد المريد علي فهم الأمور، وتجعله أكثر أدبا مع شيخه، ومع نفسه، ومع الناس، ومع الكون الذي خلقه الله، وتُعلمه كثيرا من الأدب مع الله، فالعلم علم والمعرفة معرفة، إلا أن العمل يجعل المريد يذوق، ومن ذاق عرف، ومن

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (13/ 159، الزهد وقصر الأمل. وقال العراقي: ضعيف. انظر: تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار (ص: 1575).

(2) الطريق إلي الله ص53.

عرف اغترف كما قالوا»[1].

معايشة السلوك إلي الله إما بالمعرفة، وإما بالعمل والتطبيق والتذوق.

فالمعرفة باب الوصول إلي الله كما قال ابن عطاء الله في حكمه.

إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك، فإنه ما فتحها إلا وهو يريد إن يتعرف إليك؛ألم تعلم أن التعرف هو مورود عليك والأعمال أنت مهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك؟![2].

شرح الحكمة عند الشيخ عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالي:"إذا فتح لك من التعرف به بمعرفة أسمائه، أوبما يضاد مرادك، ويمنع أورادك، ويشعر بقدرتك ويعلمك بقهره وقوته، كمرض وبلاء ونحوهما مما يفوت العمل الظاهر.

"فلا تبال معها إن قل" فإنه تعالي يريد تطهرك من دنسك وخلوصك من غثك، فإن المصائب والآلآم مكفرات للذنوب بلا كلام؛كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام.

"وما فتحها عليك" سالكا بك مسلك المقربين، المؤدي إلي حقائق التوحيد واليقين إلا وهو يريد أن يقبل عليك.

"ويتعرف إليك" لنهجه بك منهاج الخواص، وأهل الاختصاص، فإذا فتح لك بابا من المعرفة بجنابه فقد أهّلك لتكون من أحبابه، لأن المعرفة أول المواهب، ونهاية الطالب والمطالب، فعند ذلك لا تبال بقلة العمل، وجُرم الزلل، فإنه ما فتح لك ذلك الباب إلاوقد أرادك للقرب من ذلك الجناب، وهناك يتعرف إليك بأنواع التكريم ويهدي لجنابك ما تكن به عليم "ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك" ؟ وما منه لا يدخله الخلل ، ولا يبطله الزلل "والأعمال أنت مهديها له". وما منك محل كل عيب، ومعدن كل ريب، وأين ما تهديه إليه من

(1) الطريق إلي الله ص52 .

(2) الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي ص 141.

عملك المعلول، وحابلك المدخول " مما هو مورده عليك" من المعارف والعلوم، والمواهب والفهوم؟ فالأعمال " أنت مهديها"والتعرف وإرادته التي يبديها " وأين ما تريده من المواهب إليك " من أعمالك العائده عليك؟ فشتان ما بينهما كيف وبينهما في الحكم ما بينكما في الوصف ربٌّ وعبد؟ كيف يتشابهان؟! فالعمل الذي تهديه إليه وإن علا لا يقاوم نتيجة ما يهديه إليك من البلاء، ومن ثمِّ كان فرحهم به أعظم منه بالنعمة[1].

قال التونسي[2]:"شأن أهل الطريق كثرة الأعمال في الابتداء، فإذا فتح الحق لهم بابا من أبواب التعرف به شغلهم عند أكثر العمل فيظن السالك تخلفه عن السير، مع أنه عروج[3].

فالمعرفة بداية الطريق في السير إلي الله لأنه تبين للمريد أمورًا منها:

1. تجعله أكثر أدبًا مع شيخه ومع نفسه، ومع الناس.
2. المعرفة تعلم المريد الأدب مع الله، ومع الكون الذي خلقه الله تعالي.

الأولى: الأدب مع الشيخ، ومع نفسه، ومع الناس.

وهذه الثلاثية تحتاج إلي معرفة أولا حتي يكون هناك عمل والأدب معهما لابد أن يكون هناك شيخ يعلم المريد كيف يتأدب فهذا منهج قويم يحتاج إلي المربي ولكن هناك سؤال؟.

هل يمكن أن يتعلم الإنسان هذه الآداب دون شيخ أويتعلمها عن طريق القران، والسنة المطهرة مباشرة؟

---

(1) الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي ص 142.

(2) التونسي: يُكني أبا لحسن، وأصله من العجم، ولد بطربلس، ثم سكن تونس، روي عن مالك وغيره توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة ،وهو علي بن زياد أبو الحسن التونسي العبسي، قيل : أصله من العجم ولد بطربلس، ثم انتقل إلي تونس فسكنها، وقال ابن شعبان وغيره هو من عبس، وقال أبو العرب: علي بن زياد من أهل تونس، ثقه مأمون، خيار، متعبد، بارع في الفقه، ممن يخشي الله تعالي مع علومه في الفقه، الدررالجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي ص 142.

(3) الدررالجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي ص 142.

أجاب الشيخ عن هذا السؤال فقال: فهذا كلام ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب؛ لأننا ماتعلمنا أركان الصلاة، وسننها، ومكروهاتها، بقراءة القرآن والسنة، وإنها تعلمنا ذلك من علم يقال له الفقه، صنفه الفقهاء واستنبطوا كل تلك الأحكام من القرآن والسنة، فإذا لو خرج علينا من يقول نتعلم الفقه وأحكام الدين من الكتاب والسنة مباشرة ولن تجد عالما واحدًا تعلم الفقه من الكتاب والسنة مباشرة.

وكذلك هناك أشياء لم تذكر في القرآن والسنة، ولابد من تعلمها علي الشيخ ومشافهته، ولا يصلح فيها بالإكتفاء بالكتاب كعلم التجويد، بل والالتزام بالمصطلحات الخاصة به، فيقولون مثلا: المد الازم ست حركات، فمن الذي جعل ذلك المد لازما؟ وما دليل ذلك ومن ألزمه الناس؟ إنهم علماء هذا الفن. كذلك علم وضعه علماء التصوف من أيام الجنيد رضي الله عنه من القرن الرابع إلي يومنا هذا، ولما فسد الزمان، وفسدت الأخلاق، فسدت بعض الطرق الصوفية، وتعلقوا بالمظاهر المخالفة لدين الله، فتوهم الناس أن هذا التصوف، والله عز وجل سيدافع عن التصوف وأهله وسيحميهم بقدرته[1]، قال تعالي: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [2].

2. المعرفة تعلم المريد الأدب مع الله، ومع الكون الذي خلقه الله تعالي فيعمل.

المعرفة تعلم الأنوار التي تأتي من الذكر والفكر فكل إنسان له تركيبه شخصية مختلفة عن غيرة فلو ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

ذاق حلاوة الذكر والفكر، فمن ذاقها ليس كمن علم ذلك من الكتب والصحف.

ومن عاين الأنوار، وكشف له الأسرار، وعاش مع الله تعالي في مقامات التوبة والتوكل

---

(1) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص 338.

(2) سورة الحج: {الآية :38}.

والرضا والتسليم ليس كمن سمع بهذه الأمور فصدقها، ولكنه لم يمارسها، ولم يتقبلها قلبه[1].

فنري هناك أمورًا من السنة النَّبويِّة المطهرة حثنا عليها النَّبِيّ وفعلها الصحابة تساعد علي الذكر وعلي تحرك الجوارح كلها بداية من الأيدي إلي اللسان والقلب حتي نصل إلي درجة التذوق وهذه الحلاوة وهو ذكر الله منفردا، أوذكره في جماعة، ومن المعينات علي ذلك حمل المسبحة التي تعين علي الذكر، لكن البعض تعلم وعرف من الصحف والكتب فلم يذوقوا هذه اللذه وهذه الحلاوة.

ولهذا أدلل علي ذلك بمسألة، وهو جواز حمل المسبحة المساعدة علي الذكر لله تعالي حتي نطبق هذه المعرفة بالعمل والتطبيق والتذوق وكيف نتأدب مع الله ويتأدب بعض من ينكرون حمل المسبحة المُعينة علي الذكر والأوراد.

(1) الطريق إلي الله ص 53.

مسألة تدلل على هذه القاعدة:

(جواز حمل المسبحة في الذكر والأوراد) [1].

وفيها ثلاثة فروع:

توطئة.

هذه المسألة من المسائل التي انتصر فيها الشيخ بالسنة النَّبويِّة المطهرة، حيث أن هناك فكرًا سطحيًا من بعض الناس، هؤلاء ينظرون بلا تأمل وبلا علم، وتراهم يجمعون المعلومات فقط دون فكر عميق لذلك يتبن في هذه المسألة كلامًا للمتشددين، ورد عليهم الشيخ بالدليل القاطع من السنة النَّبويِّة المطهرة، وهذه المسألة أثيرت في العصر الحديث على أيدي المتشددين وهي مسألة استخدام المسبحة في الذكر والأوراد وتمسك المتشددون بأنَّها بدعة منكرة، وبذلك شككوا الناس في معظم عبادتهم التى يتقربون بها إلى الله عز وجل، وحاصروا المسلمين في أغلب حياتهم.

الفرع الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ وفيها فقرتان:

الفقرة الأولى: المسألة وتوثيقها من كتب الشيخ.

وقد عالج الشيخ هذه المسألة في كتبه[2] المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم .

ومن العبارات التى تدل على انتصار الشيخ لهذه المسألة قوله:

"لم يتوقف المتشددون عن صد الناس عن الذكر بنهيهم عن ذكر الله كثيرا وبنهيهم عن الأوراد والإحزاب، وإنما بحثوا عن الوسائل التي تمكن الناس من ذكر الله كثيرا وحكموا عليها بالبدعة والضلالة ونهوا عن ذلك وشنعوا عليه، ومن ذلك نهيهم عن السبحة التى

---

(1) أصَّل الشيخ علي جمعة لهذه المسألة وتكلم فيها الكثير من أهل العلم ومن هؤلاء، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ، بعنوان(زينة الفكر في سبحة الذكر)، الناشر: دار الرشاد، المغرب، سنة 2016.

(2) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم . ص130، بعنوان عد السبحة بدعة عند أكثر المتشددون.

نراها في أيدى الذاكرين[1].

الفقرة الثانية: تعريف المسبحة.

وقد وضح الشيخ ماهية المسبحة وتعريفها وفائدتها قبل أن يستدل لها بالأحاديث النَّبَوِيَّة المطهرة؛ وذلك حتى تضح الصورة فقال: "فالمسبحة: هي الخرزات التي يُعد بها المسبح تسبيحه، وهى كلمة مولدة، فالمسبحة أداة يجوز للمسلم استخدامها في العد في الأوراد، وهى أولى من اليد إذا أمن الإنسان الخطأ، لأنَّها أجمع للقلب على الذكر.

الفرع الثاني: تأصيل المسبحة من السنة النَّبَوِيَّة المطهرة.

وقد استدل الشيخ في انتصاراته لهذه المسألة بوابل طيب من الأحاديث حتى لا يدع ريبة في قلب من يحملون المسبحة، أو هاجسًا في عقولهم بعد التأصيل العلمي لهذه المسألة من السنة النَّبَوِيَّة المطهرة حتي يذوق حلاوة الذكر لله عز وجل، وفيما يلي النصوص التي استشهد بها الشيخ:

الحديث الأول: عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها، أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى - أو حصى - تسبح به، فقال: «أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا - أو أفضل »، فقال: «سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك»[2].

---

(1)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم . ص 129

(2)أخرجه أبو داود فى سننه (ج2، ص80)، أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصى، رقم[1500]، والترمذى، (ج5، ص 562)، قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن.

وجه الدلالة من هذا الحديث:

في هذا الحديث تجد أن دلالته صريحة وواضحة على عدم التقيد بشيء معين في الأوراد والأذكار، ولو لم يكن الأمر فيه سعة لنهاها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وعدم الإنكار دليل على الإباحة، لأن كل شيء محرم فيه تفصيل وتوضيح دائما جاء التفصيل والتصريح على خلاف ذلك وقد أورد الشيخ كلاما ليوضح بيان هذا الحديث فقال:" فلم ينهها عن ذلك، وإنما أرشدها إلى ما هو أيسر وأفضل، ولو كان مكروها لبين لها ذلك"[1].

الحديث الثاني: من الأدلة التي تعضد انتصار الشيخ لهذه المسألة من السنة النَّبَوِيَّة المطهرة ما روى عن القاسم بن عبد الرحمن قال " كان لأبى الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس، فكان إذا صلى الغداة أخرجهن وأخذ يسبح بهن حتى ينفذن[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

أن النَّوى الذي كان يسبح به أبو الدرداء هو عدد معين لكى يعرف ورده اليومي وينتهي منه وهذا الصاحبى الجليل رضى الله عنه وهو من كبا الصحابة وعلمائهم ولن يفعل ذلك إلا إذا كان موافقا لهدى النبى صلى الله عليه وسلم وما المسبحة في عصرنا تزيد عن ذلك إلا أنها النوى ولكنه جمع في خيط فلذلك أورد الشيخ هذا الحديث السابق الذى هو موقوف على قول الصحابى أبي الدرداء رضى الله عنه وأرضاه "لأن قول الصحابى حجة في نفسه، وهذا يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متساهلين في هذا الأمر غيرما نراه في عصرنا هذا من تشدد وتشرذم وتنطع.

الحديث الثالث: ومن الأدلة التى انتصر بها الشيخ في هذه المسألة "جواز استخدام المسبحة في الذكر والأوراد في السنة النَّبَوِيَّة المطهرة:

(1)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص131.

(2)أخرجه ابن ابى عاصم فى كتابه (الزهد) ج1، ص141.

عن أبى نصرة الغفارى قال: حدثنى شيخ من طفاوة قال: "تثويت أبا هريرة بالمدينة، فلم أرى رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أشد تشميرًا ولا أقوم على ضيف منه، فبينما أنا عنده يوما وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية له سوداء وهو يسبح بها، حتى إذا أنفد ما في الكيس ألقاه إليها فجمعته فأعادته في الكيس فدفعته إليه"(1).

وجه الدلالة من هذا الحديث:

هو جواز استخدام المسبحة، ولعل ذلك واضح في فعل الصحابي الجليل الذي هو أكثر الناس ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هو أكثر الناس رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك أورده الشيخ عند استدلاله بالسنة النَّبَوِيَّة المطهرة لكى لا يدع مجالا للشك أو الريب في استخدام المسبحة وأورد لهذه المسألة أكثر من حديث ليؤكد على جوازها. وفعل سيدنا أبو هريرة مثلما فعل سيدنا أبو الدرداء في الحديث السابق، وقد استشهد " أبو هريرة" هذا الصحابى بكثرة تسبيحه وذكره لله عز وجل وقد استعان بهذا الكيس من الحصى ليحافظ على ورده ولا يقصر فيه فكان يعد ورده أكثر من مرة بدليل أن الجارية كانت تجمعه له مرة بعد مرة بعد ما ينتهى من عده.

الحديث الرابع: من هذه الأحاديث التى وردت عن أبى هريرة واستشهد بها الشيخ على جواز هذه المسألة:

عن نعيم بن المحرر بن أبى هريرة عن جده أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان له خيط فيه ألف عقدة، فلا ينام حتى يسبح به(2).

---

(1) أخرجه أحمد فى مسنده، (16/ 573)، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ، رقم [10977]، وأبو داود فى سننه(2/ 253)كتاب النكاح، باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج1، ص383. ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن

وجه الدلالة من هذا الحديث:

أنه ليس هناك فارق في استخدام المسبحة وهذا الخيط الذى فيه ألف عقدة، وربما لو حمل أحد الناس في عصرنا خيطا أو مسبحة فيها ألف عقدة في يده لقال الناس عنه أنه مجنون ولذلك أورد الشيخ هذا الحديث ولم يعلق عليه بل ترك القارئ ليعلم الحقيقة وحده؛ لأن الحديث جلي واضح في هذا الأمر ولم يكتفي الشيخ بذكر فعل واحد من الصحابة بل ذكر الكثير من الصحابة ليدلل على أن هذا الأمر متواتر عنهم، معلوم لديهم، وليس فيه شك ولا مراء، ولذلك أشار إشارة سريعة إلى أن هذا فعل الكثير من الصحابة فقال الشيخ:

وروى مثل ذلك عن سيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، وأبى صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، والسيدة فاطمة أم الحسين بن على أبى طالب عليهم السلام وغيرهم من الصحابة والتابعين "[1].

الحديث السادس: ما صح عن صفية: رضى الله عنها: "دخل على رسول الله صل الله عليه وسلم وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بهن، فقال: "ما هذا يا بنت حيي ؟!" قلت: أسبح بهن، قال:" قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا"، قلت: علمنى يا رسول الله قال:" قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء[2]".

موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر ، 1394هـ - 1974م

(1) المتشددون منهجهم، ومناقشة أهم قضاياهم ص 132.

(2) المستدرك على الصحيحين ، 732/1، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ الْمِصْرِيِّينَ بِإِسْنَادٍ أَصَحَّ مِنْ هَذَا»

وجه الدلالة:

أن النَّبِيّ أقر السيدة صفية رضي الله عنها على التسبيح بل دلها على أفضل الذكر ولم ينهها عن استخدام النواه في عدها واتخاذ أربعة الأف نواة، ولم ينكر عليها في شيء من ذلك وهذا اقرار منه صلى الله عليه وسلم بالتوسع في هذا الأمر، إذ كل كان يعد على النوى أو الحصى على إختلاف العدد حسب ما تيسر له.

الحديث السابع:ما ذكره الشيخ في معرض حديثه قال:أخرج ابن أبى شيبة، وأبو داود، والترمذى:" عليكن بالتسبيح والتهليل، والتقديس ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤلات ومستنطقات[1]".

وجه الدلالة من هذا الحديث:

أمر من النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم على أن يسبح العبد ويهلل ويكبر ولوكان هذا بعقد الأنامل فليس في هذا الحديث ما يدل علي منع استخدام النواه في العد، ولوكان هناك منع لقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستوي الذكر سواء كان بالأنامل أم غيره.

هناك الكثير من الكتب التي ألفها الكثير من العلماء ليدللوا على جواز حمل المسبحة وأشار الشيخ إليهم بقوله:

وقد صنف في مشروعية الذكر بالمسبحة جماعة من العلماء منهم الحافظ جلال الدين

(1) أخرجه الترمذي في سننه، (5/ 571)، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (3583) وقال: غريب. وابن حبان ، وأحمد في مسندة، (45/ 35)، باب الْمُلْحَقُ الْمُسْتَدْرَكُ مِنْ مُسْنَدِ الْأَنْصَارِ بَقِيَّةُ خَامِسَ عَشَرَ الْأَنْصَارِ، فصل حَدِيثُ يُسَيْرَةَ، رقم(27089). أخرجه ابن أبى شيبة (2/ 160، رقم 7656) ، والحاكم (1/ 732، رقم 2007) . وأخرجه أيضًا: أحمد (6/ 370، رقم 27134) ، وإسحاق بن راهويه (1/ 198، رقم 2) ، وعبد بن حميد (ص 454، رقم 1570) ، والطبرانى فى الأوسط (5/ 182، رقم 5016).

السيوطى في رسالته سماها" المنحة في السبحة ".

والشيخ محمد بن علان الصديقي وسماها، "إيقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ المسابيح"

والعلامة أبو الحسنات اللكنوي في رسالة بعنوان "نزهة الفكر في سبحة الذكر ".

وقد استشهد الشيخ من شراح السنة على جواز استخدام المسبحة في الذكر، لأن هؤلاء هم أهل التخصص في ذلك وحملة هذا العلم فاستشهد بهم على جواز استخدام المسبحة في الأوراد والذكر، ومن هؤلاء الذين استشهد بهم الشيخ في هذا المضمار ابن حجر الهيثمى حينما سئل بشأن استخدام المسبحة هل للمسبحة أصل في السنة أولا ؟.. فأجاب، بقوله: نعم.

وهذه الأحاديث والآثار التى وردت في التدليل على مسألة الذكر جلية واضحة في أن استعمال السبحة مستحبة، وهو أولى إن خشي الإنسان الخطأ في العد حتى يستجمع قلبه على الذكر دون تثبيت، ومن جملة هذه الأحاديث التى وردت لا تستطيع إلا أن نقول ما قاله الشوكانى في مجموع الفتاوى لندلل على أن بعض المتشددين كثيرًا ما يستدلوا بالإمام الشوكاني حيث قال" ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها، ولا يرون ذلك مكروها(1).

الفرع الرابع: خلاصة المسألة:

وتتلخص المسألة فيما يلي:

أولًا: انتصار الشيخ بأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم والتأصيل لها من السنة الفعلية والتقريرية ومن أفعال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

ثانيا: إيراد العديد من الشواهد في التأصيل لهذه المسألة فلم يكتف بنص أو نصين وهذا يدل على سعة أفقه وغزارة علمه مما ساعده على قوة حجته في هذه المسألة.

---

(1)نيل الأوطار، للشوكانى، ج2، ص366، نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر.

ثالثا: حمل المسبحة يعين الإنسان علي الذكر والفكر مما يحرك الإنسان جوارحه لله، وهي من المعينات التي تعين العبد.

رابعا: إيراد الشيخ لبعض تعليقات شراح السنة على بعض الأحاديث، وذلك ليدلل على أنها أصول ثابتة عند السلف والخلف .

خامسًا: احتواء الشيخ للمسألة بكل تفريعاتها وإلمامه بالرسائل والأبواب التى ألفت فيها على إختلاف العصور والأزمان .

المبحث الثالث
انتصارات الشيخ علي جمعة للتصوف
بآراء السلف والسيرة العملية للسلف.

توطئه:

الشيخ علي جمعة ما تكلم في مسألة من مسائل التصوف إلا وتراه في كلامه وفي كتاباته يستشهد دائما بالسَّلف الصالح رضوان الله عليهم وأثارهم، والسير العملية لهم، وفي هذا المبحث توضيح لبعض المسائل التي انتصر فيها الشيخ بآراء السلف في كتاباته، والسير العملية لهم حتي يتين للناس الصواب، وكيف أن هؤلاء العلماء مُنَسَّبين في العلم حتي تجد الشيخ يسير علي نهجهم ومنوالهم فكان من ذلك مسائل أثارها بعض المتشددين وتنازعوا فيها بل وأنكرها البعض وإن كانت مسائل عقائديه لكن شاعها بعضهم أنها مسائل صوفية فمن هذه المسائل:

المسألة الأولي: إدراك الميت وشعوره بمن يزروه[1].

المسألة الثانية: إثبات الكرامة للأولياء في حياتهم واستمرارها بعد موتهم[2].

---

(1)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص120{ بعنوان نفي أي إدراك للميت وشعوره بمن يزوره}

(2)فتاوى النساء فتاوى وأحكام المرأة المسلمة بعنوان (كرامات الأولياء) ص89، البيان لما يشغل الأزهان مائة فنون لرد أهم شبة الخارج ولم شمل الداخل ص328 بعنوان (هل هناك كرمات تحدث بعض الصالحين فى حياتهم وهل تستمر بعد انتقالهم من الحياة الدنيا إلى الحياه البرزحية) ص328، عقيدة أهل السنة والجماعة ص 167

المسألة الأولى: (إدراك الميت وشعوره بمن يزروه)[1].

توطئة:

هذه المسألة من المسائل التى دار حولها جدل كبير في عصرنا؛ إذ إن المتشددين لا يعرفون حقيقة الموت الذى هو حياة أخرى لا يعلم كُنهها إلا واهب الحياة، وذلك لأنهم بعيدون كل البعد عن الروح ومتمسكون بالمادية البحتة، لذلك يصعب عليهم فَهم هذه المسألة، وإدراك حقيقتها، ولذلك ترى الشيخ الجليل ساق لهم الكثير والكثير من أراء السَّلف والسير العملية لهم؛ ليوضح بالدليل القاطع كيف يدرك الميت ويشعر بمن يزوره ويدحض هذه الشبهه التى تتهم الناس بالجفاء بل وتقطع العلاقات الروحية بينهم وبين موتاهم وهذه بعض إنتصارات الشيخ للمسألة، "إدراك الميت وشعوره بمن يزروه".

1- انتصار الشيخ علي جمعة لآراء السلف، والسير العملية لهم في هذه المسألة.

2. هذه المسألة من مسائل التصوف.

3. عالج الشيخ هذه المسألة في كتبه[2] المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم

(1) أصَّل الشيخ علي جمعة لهذه المسألة بأن الميت يشعر بمن يزورة، وتكلم في هذه المسألة الكثير من أهل العلم الذين يقولون بذلك ، ومن هؤلاء الإمام النووي في(المجموع شرح المهذب ، 310/5) طبعة دار الفكر، ولإمام السيوطي في كتابه، (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور)، (والمناوي في فيض القدير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356.

(2) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص120 (نفى أى إدراك للميت وشعوره بمن يزروه)،البيان لما يشغل الأذهان مائه فتوى لرد أهم شبة الخارج ولم شمل الداخل ص 341 بعنوان (هل يشعر الميت بعد موته بسلام الحى عليه وغير ذلك أم لا يشعر بذلك).

المطلب الأول

من هم السلف

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى السلفية في اللغة.

كلمة السَّلفية في اللغة: تطلق على معنى نسبي، يمكن أن تتعاوره الأزمنة المتوالية كلها، فإن كل زمن من الأزمان سلف بالنسبة إلى الأزمنة الآتية في أعقابه، وخلف بالنسبة إلى الأزمنةالتي سبقته ومرت من قبله[1].

الفرع الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح.

السلفية في الاصطلاح: اكتسب لفظ (السلف) هذا المعني واستقر في الثقافة الإسلامية، ويعني به القرون الثلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية، ومصدر هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه شهادتهم"[2].

السلفية الحقيقية: تعني التزام أهلها بمنهج السلف في تعاملهم مع نصوص القرآن والسنة، هذا المنهج الذي كان متجسدًا ومتجليًا في سلوك السلف الصالح. رضوان الله عليهم. فكل من التزم بهذا المنهج فقد دخل في دائرة الوحدة التي عنون لها بأهل السنة والجماعة وإن عاش في القرون الأخيرة من عمر الدنيا، وكل من لم يلتزم به فقد خرج عن دائرة تلك الوحدة

---

(1) المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم ص 5.

(2)متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا استبد، حديث 2509 واللفظ له، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة. رضي الله عنهم. الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث 2533. من حديث عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الجامعة، وإن عاش في أول قرن من عمر الإسلام.

وما اتباع السلف إلا الصبغة العامة لسائر المسلمين، وما معناه إلا الاستضاءة بسلوكهم وعلومهم في فهم هذا المنهج والتمرس على تطبيقه بشكل سليم، وكما صح للسلف الصالح أن يختلفوا تحت مظلة ذلك المنهج المتبع، فلا ريب أنه يصح لمن جاء بعدهم متبعًا لهم ومقتديًا بهم أن يختلفوا تحت تلك المظلة ذاتها كما اختلفوا، وكما أن الاختلاف لم يمزق وحدتهم الإسلامية إلى شطرين: ولم يجعل منهم شطرين: سلفيًا وبدعيًا[1].

المطلب الثاني: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

أصَّل الشيخ لهذه المسألة بالأدلة النقيلة والعقلية، وأورد بعض العبارات الدالة على انتصاره في هذه المسألة ومنها:

وهناك بعض العبارات الدالة على انتصار الشيخ لهذه المسألة منها قول الشيخ:« ويسلك المتشددون مسلكًا خطيرًا يميل للمادية البغيضة، فينكرون أى إدراك للميت وينفون شعوره بمن يزوره، ظنًا منهم بأنهم يحمون جناب التوحيد بذلك الإفكار والنفي، وذلك لعدم فهمهم لحقيقة الموت، ولعدم اطلاعهم على نصوص الشَّرع الشَّريف، وكلام العلماء في ذلك)[2].

1- ومن نصوص الشرع: مارواه أبو هريرة . رضي الله عنه . أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قال:" ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام "[3]

---

(1) المتشددون ... مهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص9.

(2) المتشددون ... مهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص121.

(3) ذكره البغدادي، في تاريخ بغداد، 137/6، : تاريخ بغداد وذيوله، لأبي بكر أحمد بن علي بْن ثابت بْن أَحْمَد بْن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق:

2- علَّم النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، أصحابه . رضي الله عنهم . إذا زاروا القبور أن يقولوا: " **عَن عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا قَالَت كَيفَ أَقُول لَهُم يَا رَسُول الله قَالَ قولي السَّلَام على أهل الديار من الْمُسلمين وَيرْحَم الله الْمُسْتَقْدِمِينَ منا والمستأخرين وَإِنَّا إِن شَاءَ الله بكم لاحقون** "(1)

وجه الدلالة من الحدثين السابقين:

يدلان على إدراك الميت وشعوره بمن يزوره، ولولم يشعروا ما طلب النبي . صل الله عليه وسلم من الصحابة إلقاء السلام.

المطلب الثالث: آراء السلف حول هذه المسألة من كتابات الشيخ.

استشهد الشيخ علي جمعة حول هذه المسألة بآراء بعض العلماء من السلف والخلف فذكر مجموعة من هولاء الصالحين من السلف ليدلل علي مسألته بقولهم وانتصارهم وَسَار الشيخ علي نهجهم، ولم يكن وحده بدعا من الرسل.

1- استدلال الشيخ بآراء الإمام النووي - رحمه الله تعالى - لهذه المسألة:

الشيخ لانتصاره لهذه المسألة بآراء السلف لم يكتفي بما سبق من كلام الحافظ العراقى والمناوي، وإنما نقل قول الإمام النووي ليؤكد على انتصاره في هذه المسألة بأراء السلف.

قال الإمام النووى: "ويستحب للزائر أن يدنو من قبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه

مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، 1417 هـ ، وذكره الحافظ المناوي في فيض القدير، ج5، 487، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356، وأخرجه الصيداوي في معجم الشيوخ، 351/1.

(1)أخرجه مسلم (671/2 أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور رقم 974. من حديث عائش ،وأخرجه النسائي 91/1 كِتَابُ الْجَنَائِزِ الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُؤْمِنِينَ، حديث رقم 2037.

لو كان حيًا وزاره"[1].

التعليق على قول الإمام النووي:

الإمام النووي يؤكد على أن الميت يشعر بالحي لذلك يستحب للزائر أن يدنو من قبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه في الدنيا.

2. وهذا قول آخر للإمام ابن القيم[2]. رحمه الله تعالى -:

من آراء السلف والخلف ساق الشيخ قول الإمام ابن القيم ليؤكد على انتصاره، ويبين أن الميت يدرك ويشعر بمن يزوره فقال: "وقد شرع النبى صلى الله عليه وسلم لامته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين"، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الأثار عنهم بان الميت يعرف زيارة

---

(1) المجموع شرح المهذب ، ج5، ص282، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار الفكر.

(2) هو: العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بابن القيم الجوزية، ولد الشيخ سنة إحدى وتسعين وستمائة ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية، وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الإسلام وكان عارفًا في التفسير لا يجاري فيه وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه ودقائق الاستنباط فيه لا يلحق في ذلك. وبالفقه والأصول والعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والتصوف، فمن تصانيفه: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته وسفر الهجرتين ومراحل السائرين والكلم الطيب وزاد المسافرين وزاد المعاد - أربع مجلدات، وهو كتاب جليل وكتاب نقد المنقول وكتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين - ثلاث مجلدات كتاب بدائع الفوائد - مجلدان، النونية الشهيرة بالشافعية الكافية. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، توفي ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة الباب، انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، 1/ 45، لنعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: 1317هـ)، الناشر: مطبعة المدني، عام النشر: 1401 هـ - 1981 م.

الحيَّ له ويستبشر به"(1).

التعليق:

والإمام ابن القيم. رضى الله عنه. في القول السابق جعل قيمة الوفاء في الحياة كالموت؛ فهى لاتتجزأ فكان من المندوب عنده أن يقترب الزائر من قبر صاحبه كأنه يكلمه ويناجيه حيًا، والإمام ابن القيم نص على أن من الشرع الحنيف أن يُسلم الزائر على الأموات كالاحياء لأن النبى صلى الله عليه وسلم هو الموصى بذلك وقد خاطبهم، وقد استفاد من هذا الخطاب أنهم يسمعون ويعقلون وليسوا كالجماد.

من آراء السلف والخلف: **الحافظ العراقى**(2):

3. فيما ذكره المناوي عن الحافظ العراقى رحمهم الله تعالي حول هذه لمسألة فقال: "المعرفة، ورد السلام فرع الحياة ورد الروح، ولا مانع من خلق هذا الإدراك برد الروح في بعض جسدهوإن لم يكن ذلك في جميعه(3).

التعليق علي قول الحافظ العراقى:

يرى أن المعرفة ورد السلام هى فرع عن الحياة وفي نفس المسألة يرى أن الموت ليس عدم وإنما هو حياة أخرى لا يعلمها إلا الله، إذًا فلا مانع من إدراك المعرفة ورد السلام بالروح في هذه الحياة الأخرى وهذا الكلام يؤيده كل أراء السلف.

---

(1) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ص 5.الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

(2) العراقي: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، أبو الفضل الحافظ من كبار حفاظ الحديث، تجول في الأمصار طلبًا للعلم، مؤلف مكثر، ت سنة 806هـ.،انظر في ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد 55/7، البدر الطالع للشوكاني 352/1.

(3)فيض القدير (5/ 487).

4- من أراء السلف حول هذه المسألة {المناوي رحمه الله تعالي}[1]:

أورده الشيخ علي جمعةأراء بعض السلف ومنهم قول المناوي رحمه الله تعالي فقال:« تعلق النفس بالبدن تعلق ببشبه العشق الشديد، والحب اللازم، فإذا فارقت النفس البدن فذلك العشق لايزول إلا بعد حين، فتصير تلك النفس شديدة الميل لذلك البدن، ولهذا ينهى عن كسر عظمة ووطء قبرة»[2].

التعليق علي ذلك:

الإمام المناوي ربط النفس بالبدن ربطًا شديدًا حتى إنه ليرى أن الحب والعشق والإرتباط بين البدن والنفس لايزول بالموت إنما يستمر لما بعد الموت، ولعل في ذلك الحكمة من نص كسر العظام ووطء القبر وما أجل كلام المناوي وما أجمله إذ يسموا بالعلاقة الروحية إلى أعظم حد وأبعد منتهى وهذا لا يفهمه إلا من غرق في بحار الحب، واستدلال الشيخ بقول المناوي هو انتصار على من فهموا الموت فهمًا ماديًا بحتًا وقطع بين الميت ومن يزروه.

(1) هو: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي الشافعي، كان عالما زاهدا عابدا قانتا لله، أخذ علمه عن بعض المتصوفة، وأخذ عن مشايخ الصوفية طرق الخلوتية والشاذلية والنقشبندية وتلقن الذكر من قطب زمانه عبد الوهاب الشعراني، من كتبه كتاب جمع فيه أصول الدين، وأصول الفقه وأحكام النجوم والتصوف وغيرها من العلوم، ولد سنة 952 هـ، وتوفي سنة 1031 هـ. انظر ترجمته في:"معجم المؤلفين": (5/ 220- 221)، انظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، 510/2، لعبد الهادي [هادي] بن محمد بن عبد الهادي [هادي] بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل (العجيلي) (المتوفى: ق 13هـ) تحقيق: حسن بن علي العواجي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/ 1999م

(2) فيض القدير (5/ 487).

المطلب الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

أولًا:سير الشيخ علي نهج من سبق من العلماء والسلف الصالح وترقب أثارهم والسير العملية لهم.

ثانيا:حول المسألة وفيها:

1. أن الموت ليس عدمًا ولافناءً بالكلية وإنما هو إنتقال من دار إلى دار وهذه الدار الأخرى هي حياة بالروح تشعر وتحس.

2: أن الميت موجود بروحه وهذه الروح لها شئ من التعلق بالجسد كما نص على ذلك المناوي وغيره.

3: أن الميت يفرح بمن يزوره ويستبشر بهم ويسمع دعاءهم وتسليمهم وكلامهم بل ويستأنس بهم.

4: انتصار الشيخ في هذه المسألة بإيراد أقوال السلف والسير العملية لهم على إختلاف مذاهبهم وتمدد عصورهم.

5: (أقوال المبطلين والمبتدعين حول هذه المسألة خطأ، وإثبات أن كلامهم يخالف منهج العلماء والسلف وسِيَرِهم، ولأنهم أيضًا قد انصرفوا عن نصوص الشرع الحنيف وكلام العلماء في ذلك فوقف الشيخ يتصدى لهم بكل ما أعطاه الله من علم، وحَمْل هذه الأمانة، ليوضح المسأله، ويثبت إدراك الميت وشعوره بمن يزوره وهو في هذا المضمار ينتصر بأراء السلف والسيرة العملية لهم ليقول لهم بهذه الحجج أنكم تنسبون أنفسكم للسلف ولكن أقوال السلف وأفعالهم منكم براء.

المسألة الثانية

(إثبات الكرامة لأولياء الله الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم)[1].

توطئة:

ثبتت كرامات الأولياء بالأدلة النقلية والعقلية، وفي آثار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منذ زمنهم إلى يومنا هذا، وأقرها جُل العلماء من أهل السنة والجماعة، من الأصوليين، والفقهاء، والمحدثين، وأهل الله من المتصوفين، ولم ينكرها إلا متشدد أوضعيف الإيمان، وصنف علماء كُثر حول هذه المسألة، ومن العلماء المعاصرين ، الشيخ يوسف النبهاني[2]، في كتابه، جامع كرامات الأولياء حيث قال:« فهذا كتاب سميته جامع كرامات الأولياء، لأني جمعت فيه كراماتهم ـ رضي الله عنهم ـ مالم يجتمع قبله في كتاب فيما أعلم، وأسندت كل كرامة إلى صاحبها إن كان معلومًا وهو الغالب »[3]

(1) تكلم عن هذه المسألة الكثير من أهل التصوف ومنهم: صاحب كتاب جامع كرامات الأولياء، للشيخ: يوسف بن اسماعيل النبهاني ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،1417هـ، 1996م. وقد تقدم فيها بعض الباحثين لنيل درجة علمية منهم: عبد الله بن عبد العزيز العنقري، بعنوان، كرامات الأولياء ـ دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، دار التوحيد للنشر ، الرياض، الطبعة الأولى، سنة، 1433، عدد صفحات البحث، 600.

(2)الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي، العلامة الراسخ الحجة التقي العابد المتفاني في حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، سمي نبهاني نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية وهي قرية واقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين، ولد بها سنة 1265.

(3)جامع كرامات الأولياء، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي،دار صادر بيروت، ج1ص 9.

المطلب الأول:تأصيل المسألة.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

المسألة من مسائل التصوف، ويثبتون فيها استمرار الكرامة للصالحين في حياتهم وبعد مماتهم.

انتصر الشيخ لهذه المسألة في بعض كتبه[1]فتاوى النساء فتاوى وأحكام المرأة المسلمة.

بعض العبارات التى تدل على انتصار الشيخ لهذه المسألة:

1- قول الشيخ (فالإيمان بكرامات الأولياء مما أجمعت عليه الامة الإسلامية واعتبره علماء العقيدة أصلًا من أصول الإعتقاد، وإنكارها قد يُخرج المسلم من دينه، كما أن إثباتها للأولياء بعد انتقالهم يُقِره صحيح المنقول وصريح المعقول، والموت يطرأ على الجسد لا الروح، فلا يجوز إنكار كرامات أولياء الله الصالحين لا في حياتهم ولا بعد انتقالهم[2].

2. وقوله أيضا:(فإنكار كرامات الأولياء قد يُخرج المسلم من الإسلام بالكلية، والإيمان بها من أصول عقيدة الإسلام[3].

تعرض الشيخ لهذه المسألة منتصرًا فيها لبعض الصالحين لما يحدث لهم من كرامات سواءًا كانت في حياتهم أو بعض مماتهم وانتصار الشيخ لهذه المسأله بآراء السلف.

---

(1)فتاوى النساء فتاوى وأحكام المرأة المسلمة بعنوان (كرامات الأولياء) ص98، البيان لما يشغل الأزهان مائة فنون لرد أهم شبة الخارج ولم شمل الداخل ص328 بعنوان (هل هناك كرمات تحدث بعض الصالحين فى حياتهم وهل تستمر بعد انتقالهم من الحياة الدنيا إلى الحياه البرزحية) ص328، عقيدة أهل السنة والجماعة ص 167.

(2) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد شبة الخارج ولم شمل الداخل ص 331.

(3) فتاوي النساء فتاوى وأحكام المرآة المسلمة، ص 98.

الفرع الثاني: تعريف الكرامة.

الكرامة:

1- هي ما يمتن الله به على أحد أوليائه من إكرام معنوي، أوخرق حسي للعادة، لوجود سبب يقتضيه[1].

2- هى أمر خارق للعادة غير مقترن بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهره الله جل وعلا على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم بالشريعة، حريص على متابعة نبيه صلى الله عليه وسلم مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح عَلِم بها أولم يَعلَم[2].

شرح التعريف:

علق الشيخ على هذا التعريف بقوله:« وضع العلماء قيود حتى يغلق الباب على المدعين، وحتى لاتتنسب مسأله الكرامة في الخروج من الدين، فأغلقوا باب دعوى الكرامة، إذا اشترطوا أن يكون ملتزمًا بالشريعة متابعًا لنبِيّه صلى الله عليه وسلم والملتزم بالشريعة لا يدعى الكرامة، وأغلقوا باب الخروج من الدين، حيث اشترطوا أنها غير مقترنه بدعوى النبوة... والإيمان بكرامات الأولياء من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.»[3].

---

(1) كرامات الأولياء.دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ص52.

(2) فتاوي النساء فتاوى وأحكام المرآة المسلمة، ص 98.

(3)البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد شبة الخارج ولم شمل الداخل ص 328.

المطلب الثاني

ذَكَرَ الشيخ بعض أراء السلف حول هذه المسألة

وموافقة السلف قوله

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أراء السلف حول هذه المسألة.

ذكر الشيخ عدد من السلف الذين تكلموا وأصّلوا لهذه المسألة ومن هؤلاء:

1. الإمام الطحاوى (1) – رضي الله عنه. فقال عن هذه المسألة: "نؤمن بما جاء من كرامات وصح عن الثقات من رواياتهم"(2).

نقل الشيخ علي جمعة عن الإمام الطحاوى، فقد أوجز وأجمع على أننا نؤمن بما جاء من كرامات، وصح عن من شهد لهم بالفضل والإحسان واتباع منهج الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتكلم بعض المتصوفة أن الكرامة لا تكون إلا لغرض صحيح، كنصرة شريعة، أو إبطال سحر الكافرين والمشعوذين والدجالين(3). أما إظهارها

(1) هو: أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامَةَ الأزدي المصري الحنفي، وهو إمام ثقة جليل. وهو ابن أخت المزني صاحب الإمام الشافعي، قال ابن يونس: كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلًا، لم يخلِّف مثله، ولد بمصر سنة 239هـ. ومات بها في مستهل ذو القعدة سنة 321هـ. انظر: الأعلام للزركلي 206/1.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص494 صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

(3) ومن ذلك ما ذكره العلامة ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية من أن صوفيًا ناظر برهميًا والبراهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات، فطار البرهمي في الجو، فارتفعت إليه نعل الشيخ ولم تزل تضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكوسًا على رأسه بين يدي الشيخ والناس ينظرون. انظر: الفتاوى الحديثية ص 222. لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ

بدون سبب فهذا أمر مذموم، حتي لا يأتي للنفس شيء من التكبر والعجب والرياء وغير ذلك.

2. من آراء السلف حول هذه المسألة:(الإمام الجلال المحلى):

قال الإمام الجلال المحلى: (وكرامات الأولياء) وهم العارفون بالله تعالى حسبما يمكن المواظبون على الطاعات، المجتنبون للمعاصى المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات (حق) أي جائزة وواقعة: كجريان النيل بكتاب عمر، ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند، حتى قال لأمير الجيش: ياسارية، الجبل الجبل، محذرًا له من وراء الجبل لكون العدو هناك، وسماع سارية كلامة مع بعد المسافة، وكشرب خالد السم من غير تضرربه، وغير ذلك مما وقع للصحابة وغيرهم (قال القشيرى: ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد) وقلب جماد بهيمة: قال المصنف: وهذا حق يخصص قول غيره: ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى، لا فارق بينهما إلا التحدى، ومنع أكثر المعتزلة الخوارق من الأولياء، وكذلك الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، قال: كل ما جاز تقديره معجزة النَّبِيّ لايجوز ظهور مثله كرامة لوالي، وإنما مبالغ الكرامات إجابة دعوة، أو موافاة ماء في بادية من غير توقع المياة، أو نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات (1).

التعليق:

أن الكرامة ثابتة وواقعة بما حدث لبعض الصحابة، وهي دلالة على وقوعها لأن ماحدث لبعض الصحابة ثابت ومنقول إلينا بتأييد العقل السليم والمنطق الصحيح والحجة الدامغة، ولكن التعصب والعناد يدعوان إلى أن تخرق العادات بالكرامات كما اقتضت حكمة الله أن

الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ)، الناشر: دار الفكر .

(1)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج2، ص481، لحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات إظهارًا لصدقهم، وتأييدًا لهم في دعواتهم، وحملًا للعقول المتحجرة والقلوب المقفلة أن تخرج من جمودها، وتتحرر من تعصبها فتفكر تفكيرًا سليمًا مستقيمًا، يوصلها إلى الإيمان الراسخ، واليقين الجازم، ومن هنا يظهر أن الكرامة والمعجزة تلتقيان في بعض الحِكَم والمقاصد، إلا أن الفارق بينهما أن المعجزة لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام، والكرامة لا تكون إلا للأولياء، وكل كرامة لولي معجزة النَّبِيّ[1].

وساق الشيخ قول ابن مفلح قوله:"من سمعتموه ينشد ضالة في المسجد، فقولوا: لا ردها الله عليه، وقول ابن عمر رضي الله عنه للقائل في الجنازة استغفروا له: (لا غفر الله لك) وقيل في قوله: لا هنيئًا، إنما هو خير أى لم يتهنوا به في وقته، وفيه إثبات كرامات الأولياء خلافًا للمعتزلة[2].

الفرع الثاني:ردَّ الشيخ علي جمعة على المنكرين للكرامة.

رد الشيخ علي جمعة على المنكرين للكرامة بأقوال بعض السلف ليبين ضعف هؤلاء في أدلتهم الذين يخلطون الآدلة بعضها ببعض ومن هؤلاء وعلى رأسهم المعتزلة.

فأورد الشيخ علي جمعة قول الإمام العلامة ابن عابدين ليبين ضعف ما استندوا عليه هؤلاء المنكرينبسوء فهمهم للنص القرآني واستشهادهم ببعض هذه الآيات القرآنية التي تنفي الكرامة، ومنها قوله تعالي: **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)** [3].

قال ابن عابدين رحمه الله تعالي: "قلت بل ذكروا في كتب العقائد أن من جملة كرامات

(1) بتصرف.. حقائق عن التصوف ص 295.

(2)الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 188)، لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(3) سورة الجن: {الآيتان :26، 27}.

الأولياء الإطلاع على بعض المغيبات، وردوا على المعتزلة المستدلين بهذه الأية على نفيها بأن المراد، الإظهار بلا واسطة، والمراد من الرسول الملك أى لا يظهر على غيبه بلا واسطة إلا الملك[1].

والملاحظ في منكري الكرامات على مر العصور أنهم يتميزون بألوان من الغلظة وقساوة القلب فلا تجد فيهم رقة شعور ولا صفاء البصيرة ولا ملائكية الروح وهم. ان لم يكونوا من الملاحدة . من الصنف الذي لم يخالط الإيمان شغاف قلبه وإنما بقى صورة عائمة على السطح[2].

المطلب الثالث: الكرامة للأولياء تكون في حياتهم وتستمر بعد مماتهم.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: من هو الولي؟

الولي: هو العارف بالله تعالي الذي يواظب علي الطاعة ويجتنب كل معصية، فإن فعل المعصية تاب وأناب إلي ربه.

الولي: القريب، والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والتقرب، والمراد بأولياء الله، خلّص المؤمنين[3].

الفرع الثاني: الأدلة علي وقوع الكرامة للأولياء في حياتهم وبعد مماتهم.

الأدلة على إثبات الكرامة للأولياء كثيرة؛ ولذلك من أنكر هذه الكرامات خسر خسرانًا

---

(1)رد المحتار على الدر المختار المسمى بحاشية ابن عابدين، ج3، ص29.لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.

(2) سلطان العارفين، أبو يزيد البسطامي، للإمام عبد الحليم محمود، دار المعارف، 261هـ، 164.

(3) حقيقة التصوف، للشيخ محمد حامد الناصر، 2005م ص 43.

مبينًا: «ومن أنكر كرامات أولياء الله فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه، ويُخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة[1]».

«وذهب جمهور أهل السنة إلي جواز الكرامة للأولياء ووقوعها لهم في الحياة وبعد المهات»[2].

ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة منها:

1- القرآن الكريم :

1- في قصة السيدة مريم هناك كرامة حدثت لها في حياتها وخلدها القرآن فقال تعالى:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [3].

2- قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [4].

3. ومن الكرامات أيضًا تكلم الغلام في المهد (عيسى عليه السلام) فقال الله تعالى:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [5].

4. ومما ذكره الله في القرآن الكريم من مجيء الرزق لمريم قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ

---

(1) رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م ص 71.

(2)، عقيدة أهل السنة والجماعة ص 167.

(3) سورة آل عمران :{الآية:37}

(4) سورة الكهف :{الآيتان:12.11}

(5) سورة مريم:{ الأيات:33.32.31.30.29)

ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾[1].

5. ما وقع لسارة رضى الله عنها من حملها بإسحاق في سن اليأس قال تعالى:﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾[2].

2. السنة النبوية المطهرة:

أثبتت السنة أن أولياء الله في كنف الله وأن لهم منزلة عالية ومن هذه الأحاديث:

1. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال: من عاد لي وليا فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه[3].

وجه الدلالة على هذا الحديث:

أن أولياء الله لهم منزلة كبيرة عنده سبحانه وتعالى، لأنه رفع مكانتهم وأعطاهم وأسبغ عليهم من فضله وكرمه مالم يعطي غيرهم، فمن آذاهم أوعاداهم عاداه الله وهي مفهوم موافق علي وقوع الكرامة لهم.

2. نجاة أصحاب الغار من الصخرة التى أنطبقت عليهم فدعا كل واحد بدعاء فانفرجت الصخرة وخرجوا ونجوا جميعًا وهذه كرامة قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ

---

(1) سورة مريم:{ الإية: 25، 26}.

(2)سورة هود:{الآية :73، 72، 71}.

(3) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق، باب التواضع ح 6502، ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم 6021.

وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾[1].

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قال: "خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللّٰهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وإمرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللّٰهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم، وقال الآخر: اللّٰهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، وقال الآخر: اللّٰهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللّٰهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فكشف عنهم"[2].

---

(1)سوره الكهف:{الآية: 9}.

(2)أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 80)، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي، رقم {2215}.

الفرع الثالث: الكرامة لا تنتهي بموت الأولياء.

من الأدلة على أن الكرامة لاتنتهي للأولياء بعد المات ما أثبته الشيخ علي جمعة من بعض الأدلة التي ساقها وأكد عليها من أقول بعض السلف ومنها قوله:

1. «وتلك الكرامات الثابتة للصالحين لايوجد أى دليل على انتهائها بإنتهاء حياة الولي في الحياة الدنيا، بل وجد الدليل على عكس ذلك، فيما ثبت أن الله عصم جسد عاصم بن ثابت بعد موته فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدَّبر[1] فحمته من رسلهم، فلم يقدرو أن يقطعوا منا شيئًا وهى صريحة في كرامة الله له بعد موته»[2].

فهي كرامات وليس شيء منها معجز؛ لفقده شرط التحدي ومقارنته للدعوي»[3]

2. بعض آراء السلف التي استشهد بها الشيخ حول هذه المسألة قول العلامة البيجرمي وهو ما نصه: «وقع السؤال في الدرس عما لو قرأ الميت أية سجدة كرامة فهل يسجد السامع له أم لا ؟ قال: ويمكن الجواب بأن الظاهر الأول؛ لأن كرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، فلا مانع أن يقرأ الميت قراءة حسنة يلتذ بها، فحينئذ يشرع لسامعه السجود، وإن لم يكن الميت مكلفًا، إذ هى من المميز كذلك، فليس الميت كالساهي والجماد ونحوها»[4].

---

(1) الدَّبر: النحل والزنابير. انظر: لسان العرب، ج4، ص274.

(2)البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لردشية الخارج ولم شمل الداخل ص330.

(3)عقيدة أهل السنة والجماعة ص 167

(4) تحفة الحبيب على شرح الخطيب المعروفة بحاشية البيجرمى، ج1، ص433،لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: 1221هـ)، الناشر: دار الفكر

المطلب الرابع: خلاصة هذه المسألة:

أولًا:«فالإيمان، بكرامات الأولياء مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، واعتبره علماء العقيدة أصلًا من أصول الإعتقاد، وإنكارها قد يخرج المسلم من دينه، كما أن إثباتها للأولياء بعد انتقالهم يقره صريح المعقول، وصحيح المنقول، والموت يطرأ على الجسد لا الروح، فلا يجوز إنكار كرمات أولياء الله الصالحين لا في حياتهم، ولا بعد إنتقالهم والله تعالى أعلى وأعلم»[1]

ثانيًا: أن إثبات الكرامات لأولياء الله الصالحين فيما ساقه الشيخ من أدلة ساطعة من أقوال السلف الصالح والسير العملية لهم تدحض أقوال بعض الفرية الكاذبه الخاطئة التى تنكر الكرامات وخصوصًا بعد موت الولى، وأرى أن الله عز وجل ساق في قرانه كثيرًا من الأيات التى تدل على إثبات الكرامه للصالحين حينما قال ربنا سبحانه: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[2].

وجه الدلالة من هذه الآية:

في هذه الآية إثبات كرامات الأولياء، وهي حفظ هذا الغلام في البر والبحر ، وكرامات الأولياء حق عند أهل السنة والجماعة لأن أولياء الله الصالحين لهم خصوصية ومنزلة عالية عند الله عز وجل فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[3].

---

(1)فتاوي النساء فتاوى وأحكام المرآة المسلمة، ص101.

(2)سوة االقصص :{الآية:7}.

(3)سورة يونس: {الآيات: 65.64.62}

ثالثًا: هناك كرمات وقعت لبعض الصحابه والصالحين وأصبحت سير عملية لهم:

عن أنس بن مالك «أن رجلين من أصحاب النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم خرجًا من عند النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد، منهما واحد حتى أتى أهله»(1).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر الدرة على الأرض وقال: اسكن بإذن الله فضرب أمير المؤمنين رضي الله عنه برحمه قائلا: يا أرض اسكنى، ألم أعدل عليك ؟ فسكنت (2).

رابعًا: الناظر يري من الكرامات من سلف الأمة وخلفِها، ما أكرم الله به سلف هذه الأمة وعلماءها المجددين والمصلحين فبارك الله لهم في أعمالهم وأوقاتهم ، فكتب بعضهم ما يعجز غيره على نسخه في عدد وسنين محدودة وعد بعض العلماء وقوع هذه الأشياء أنها من الكرامات، ومنهم الإمام السبكى رحمه الله (3) وكان لعلوم هؤلاء الصالحين والأولياء والعارفين بالله ماله من الأثر إلى يومنا هذا وكتب الله لهم البقاء والهناء والإنعام والإحسان، وكم كان لهم من مواقف حميدة من كراماتهم ظلت طيلة سنين أو قرون ونتأمل قوله تعالى في فضل من أثارهم العلم: فقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾(4).

فنسأل الله عزه وجل أن يحشرنا مع أوليائه الصالحين.

---

(1)أخرجه البخارى في صحيحه (1/ 100)، كتاب الصلاة، باب إدخال البعير في المسجد للعلة، رقم[465].

(2) جامع كرامات الأولياء للنبهانى، ج1، ص157

(3)انظر: طبقات الشافعية، ج2، ص333، 334.

(4) سورة البقرة:{الآية :269}

الفصل الثانى

انتصارات الشيخ علي جمعة
لآراء السابقين من أهل التصوف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول

انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين من أهل التصوف بالكتاب والسنة.

المبحث الثاني

انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين بالحجج العقلية.

المبحث الأول:
انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين من أهل التصوف بالكتاب والسنة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين من أهل التصوف بالقرآن الكريم.

توطئة:

النَّاظر في كتب الشيخ علي جمعة وكيفية انتصاره لآراء السابقين من أهل التصوف يرى أنه سار على منهج واضح وطريقة علمية؛ حيث تمثل انتصاره في النقاط الآتية:

أولًا: شرح آراء السابقين من أهل التصوف.

ثانيًا: تأصيل الشيخ لآراء السَّابقين من أهل التصوف ببيان أدلتها من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ثالثًا: بيان صلة آراء السابقين من أهل التصوف للقواعد الشَّرعية والأصولية والدعوية.

والقرآن الكريم مصدر من مصادر الشريعة الإسلامية، وقد اعتمد الشيخ في بيان صحة ماذهب إليه في انتصاره للمتصوفة الأوائل الذين سلكوا المنهج النبوي في تمسكهم بالقرآن الكريم، وهؤلاء جميعا يطلبون من أتباعهم العمل بكتاب الله تعالي كمصدر أصيل، وكل من خالف ذلك فهو ليس منهم وليس علي طريقتهم لذلك نبين بعض المسائل التي تعرض لها المتصوفة الأوائل وأتى البعض من المتشددين وأنكروها فبين الشيخ علي جمعة الصواب وانتصر للسابقين من أهل التصوف، وهي أمور كثيرة لا نستطيع حصرها في رسالة واحدة؛ لأن انتصار الشيخ لآراء السابقين كثيرة فاكتفيتُ بعرض بعض المسائل وهي:

المسألة الأولى:

انتصار الشيخ علي جمعة للإمام البوصيري في المدائح النَّبَوِيَّة ومنها:

قصيدة البردة " الكواكب الدرية في مدح خير البرية "[1]

توطئة:

بعض الناس يرون أن المدائح النَّبَوِيَّة فيها مغالاة وهي بدعة تخالف شرع الله تعالي، وكيف بنا أن نمدح النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، وهل كان الصحابة والسلف يفعلون هذا فهم ينكرون المدائح جملة وتفصيلًا، ورأوا أن الإمام البوصيري في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغاليًا في مدحه، وعلي هذا انتصر الشيخ علي جمعة علي هؤلاء وأصَّل للمسألة من القرآن الكريم والسنة النَّبَوِيَّة .

المطلب الأول: تأصيل المسألة.

وفيه ثلاث فروع:

الفرع الأول: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

أورد الشيخ هذه المسألة في كتاب البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة[2].

معالجة هذه المسألة، هناك كثير من العبارات التى تدل دلالة واضحة على انتصاره في هذه المسألة ومنها قوله:

1- والحق أن المديح النبوي ظهر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم على يد حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، وقد أقره النبي صلى الله عليه

---

(1) البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات (1 / 3)،لمحمد يحيى حلو، تحقيق، محمد علي حميد الله، دار البيروتي – دمشق، الطبعة الثالثة – 1426 هـ.

(2) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة ص334

وسلم ، بدليل أن كعب بن زهير بن أبي سلمى أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، قصيدته المشهورة التى مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم [1].

2. ومن العبارات التى انتصر بها الشيخ قوله:" فأقر النبي صلى الله عليه وسلم مدح كعب بن زهير له ولم ينهه عن مدحه ولا على إنشاده في المسجد، بل كساه بردة[2].

ومن العبارات التى انتصر بها الشيخ أيضاً قوله:" فتجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر أن يمدحه ولم يعترض عليه، فهذا دليل على مشروعيته مدحه صلى الله عليه وسلم [3].

وقد وردت عبارة أخرى تدل على انتصاره لهذه المسألة قوله:" وقد وجه البعض انتقادات كثيرة، يرمون فيها قصيدة البردة، وغيرها من قصائد المديح النبوي بالغلو، ولكننا نقول: أن الأصل في الألفاظ التى تجرى على ألسنة الموحدين أن تحمل على المعانى التى لا تتعارض مع أصل التوحيد، ولا ينبغى أن نبادر برمي الناس بالكفر والفسق والضلال والابتداع، فإن إسلامه قرينة قوية توجب علينا ألا نحمل ألفاظه على معناها الظاهر إن اقتضت كفراً أو فسقاً"[4].

وقد أورد الشيخ أيضاً كلمات في آخر حديثه عن هذه المسألة تدل على ما ذهب إليه من نصرة المدائح وخصوصاً نهج البردة وذلك في قوله:

" وعلى هذا فمدح النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات، وإنشاده في المسجد له فضل كبير، وأن الأبيات التى اتهمت بالغلو عند مراجعتها ومراجعة شروحها نجد أنها تهم

---

(1) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص338

(2) فتاوى النساء فتاوى ةأحكام للمرأة المسلمة ص132.

(3)البيان لما يشغل الأذهان، فتاوى شافية فى قضايا عاجلة ص.339

(4)فتاوى النساء فتاوى ةأحكام للمرأة المسلمة ص 133.

باطلة إذا فهم المقصود منها على أساس إحسان الظن، والله تعالى أعلى وأعلم"(1).

ومن خلال هذه العبارات السابقة ودلالاتها نجدُ أن معظم هذه الألفاظ التى ذكرها الشيخ في هذه المسألة تدل على انتصاره للمدائح النَّبَوِيِّة، بل تدل على ذم المتشددين وإتهامهم بالمغالاة وإبطال ما زعموه من أن ألفاظ البرده مليئة بالبدع والشركيات، وأكَّدَ أنَّها من أعظم القربات إلى الله تعالى بل جعل المدح هو إجماع الأمة والسلف والخلف على مدحه وتكريمه وإجلال منزلته صلى الله عليه وسلم في جميع نفوس المسلمين.

الفرع الثاني: تعريف المديح النبوي.

عرَّف العلماء المديح النبوي بأنه: هو الشعرُ الذي ينصبُّ على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعرا، والإشادة بغزواته وصفاته المُثلى، والصلاة عليه تقديرًا وتعظيمًا، فهو شعر صادق بعيد عن التزلُّف والتكسُّب، ويرجى به التقرب إلى الله عز وجل، ومهما وصفه الواصفون فلن يُوَفُّوه حقه صلى الله عليه وسلم (2).

قال الشيخ الباجوري . رحمه الله (3). في مقدمة شرحه للبردة: إن كمالاته صلى الله عليه

(1) البيان لما يشغل الأذهان، فتاوى شافية فى قضايا عاجلة، ص. 343

(2) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة ص 336.

(3) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر. من فقهاء الشافعية. نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية، بمصر) ولد ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة منها (حاشية على مختصر السنوسي) في المنطق، حاشية على الشنشورية في الفرائض، حاشية على كفاية العوام للفضالي، في علم الكلام، (الدرر الحسان) فيما يحصل به الإسلام والإيمان، و (تحفة البشر على مولد ابن حجر) وغير ذلك. تقلد مشيخة الأزهر سنة 1263هـ واستمر إلى أن توفي بالقاهرة.

انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (1 / 30)، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني

وسلم لا تُحْصَى، وشمائله لا تُسْتَقصى، فالمادحون لجنابه العلي والواصفون لكماله الجلي مقصِّرون عمَّا هنالك قاصرون عن أداء ذلك، كيف وقد وصفه الله في كتابه بما يُبهر العقول ولا يُستطاع إليه الوصول، فلو بالغ الأوَّلون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه[1].

الفرع الثالث: تأصيل المسألة من القرآن الكريم.

وقد انتصر الشيخ للإمام البوصيري في مسألة المدائح النَّبَويِّة، وخاصة قصيدة البردة بكثير من نصوص القرآن الكريم، ومن هذه الآيات التى استشهد بها الشيخ علي مدح النبي صلى الله عليه وسلم فإن مدحه من أصول الإيمان ودليل الحب منه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

وجه الدلالة من هذه الآية:

هو تقديم حب الله ورسوله على كل شيء في الدنيا، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم هي مظهر حبنا لله عز وجل .

وهذه الآية التى استشهد بها الشيخ الجليل أراد أن يضعها في هذا الموضع لأن الآية تشير إلينا بمدى ما ينبغى أن نكون عليه من حب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كنا نحب الدنيا بكل ما فيها فينبغى أن يكون حبه صلى الله عليه وسلم – أشد من ذلك – أشد من

الدمشقي (المتوفى: 1335هـ)تحقيق وتنسيق وتعليق: محمد بهجة البيطار، من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، طبعة الثانية، 1413هـ 1993م.

(1) شرح الباجوري على البردة ص 5، 6.

(2)سورة التوبة:{ الآية: 24}.

النفس والأموال والآباء والأبناء وإذا كانت هذه العاطفة بمثل هذه القوة تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغى أن تنساب هذه العاطفة على لسان الشعراء مدحا ووجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أبلغ عبارة وأجمل إشارة وألطف معنى ولعل هذه الآية الوحيدة التى استشهد بها الشيخ في هذا الموضع لأنها جامعة مانعة تدل على الكثير من لطائف هذه المعانى التى يريد أن يصل إليها.

الفرع الرابع: تأصَّيل المسألة من السنة النبوية المطهرة.

كما اعتمد الشيخ في انتصاره بالأدلة القرآنية علي هذه المسألة، كذلك نهج واستدل بالسُّنَّة النَّبَوِيِّة المطهرة:

وقد ذكر الشيخ علي جمعة الكثير من الأحاديث النبوية المطهرة التي تدل دلالة واضحة على مدحه بأجمل الأوصاف، ولكن في البداية ذكر حديثًا يدل على حب؛ لأن القلب حينما يمتلئ بعاطفة الحب تجاه رسولا لله صلى الله عليه وسلم تتحرك له المشاعر وتناسب له الألسنة وتتناغم له الألفاظ فاستشهد في البداية بقول النبي صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "[1].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

هو استشاهد الشيخ بالكثير من نصوص السنة النَّبَوِيِّة المطهرة التى تدل على موقف الشعراء ودفاعهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ليدلل علي أن المدح الهادف مباح.

روى البراء بن عازب – رضي الله عنه أن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قال لحسان: "اهجهم

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان – حديث رقم (178) النسائي كتاب الإيمان وشرائعه حديث، رقم (5030) ابن ماجه، المقدمة، حديث رقم (70)

– أو قال هاجهم – وجبريل معك"[1].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

هذا الحديث لهو من الأصول الثابتة التى بَنى عليها الشيخ دفاعه فيها من البردة، ومن هذا الحديث تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يحض سيدنا حسان على مدحه، والدفاع عنه بشعره بل يقول له أن جبريل عليه السلام معك ويؤيدك، فكل مديح يأتى بعد ذلك هو امتداد لمديح ودفاع سيدنا حسان – رضى الله عنه – ومن ذلك البوصيري في قصيدته البردة.

ومن هذه الأحاديث التى ورد فيها مدح النبي صلى الله عليه وسلم ونُقل إلي هذه الأمة هو مدح أم معبد للنبي صلى الله عليه وسلم حينما قالت لزوجها بقولها: (مر بنا رجل ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، في أشفاره وَطَفٌ، وفي عينيه دَعَجَ[2]، وفي صوته صَحَلٌ[3]، غصن بين غصنين، لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه من قصر، لم تعلوه ثَجْلة[4] ولم تزر به صَعْلة[5]، كأن عنقه إبريق فضة، إذا نطق فعليه البهاء، وإذا صمت فعليه الوقار كلامه كخرز النظم، أزين أصحابه منظراً، وأحسنهم وجهاً، محشود غير مفند له أصحاب يحفون به، إذا أمر تبادروا أمره، وإذا نهى انتهوا عند نهيه، قال: هذه صفة صاحب قريش، ولو رأيته لاتبعته، ولأجهدن أن أفعل ".[6]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، حديث رقم (6223) وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (6542)

(2) يقال : " دَعِجَت العين دعجًا " : اشتد سوادها وبياضها واتَّسعت، فهى دعجاء .

(3) يقال : صحل فلان : كان فى صوته بُحة .

(4) ثَجِل فلان : عظُمَ بطنه واسترخى .

(5) الصعلة : الدقة والنحول والخفة فى البدن .

(6) المعجم الكبير للطبرانى 105/7، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

وجه الدلالة من هذا الحديث:

في هذه العبارات التى وردت على لسان أم معبد لمديح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجمل الألفاظ وأبلغها؛ إذا أنها وصفت صفاته الخَلقية والخُلقية فوصفت وجهه بالملاحة والوضاءة، ووصفت عينه صلى الله عليه وسلم باشتداد السواد والبياض واتساعها ووصفت صوته بأنه صحل، ومن جميل ما قالت في وصفه ككل هو غصن بين غصنين ووصفت عنقه صلى الله عليه وسلم كأنه إبريق منفضة، بل وصفت نطقه بالبهاء وصمته بالوقار كما يقول الأدباء: بلغة العصر رسمت أجمل صورة فنية في لوحة معبرة أجمل تعبير بأبلغ لفظ لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعل من هذه الأحاديث التى أوردها الشيخ ليدلل بها على انتصاره لمديح النبي صلى الله عليه وسلم هو ما رواه خزيم بن أوس بن حارثة بن لَامٍ قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له العباس بن عبد المطلب رحمه الله: يا رسول الله إنى أريد أن أمدحك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " هات لا يفضض الله فاك "(1).

أورد الشيخ هذا الحديث لأنه يريأنه إقرار منه صلى الله عليه وسلم وعدم الاعتراض على تناول الصحابة لمديحه صلى الله عليه وسلم وبذلك يكون أدل دليل على حبه صلى الله عليه وسلم لمدحه وحثه عليه، بل دعا له فقال " **لا يفضض الله فاك** " وبعد ذلك وضع الشيخ علي جمعة لهذه الأحاديث أصولاً ثابتة وقواعد يَنبنِّي عليها فن المديح تجدُه بعد ذلك يؤيد معانى بعض أبيات البردة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضرب أمثله على ذلك ومن ذلك قوله:

---

(1)المعجم الكبير للطبراني (4 / 213)، بَابُ الْخَاءِ حديث خُرَيْمُ بْنُ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ الطَّائِيُّ، حديث رقم 4167.

محمدُ سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم[1]

ثم علق علي هذا البيت بأنه لا خلاف بين عامة المسلمين في أن النبي صلى الله عليه وسلم سيد أهل الدنيا وسيد الإنس والجن وسيد العرب والعجم واستشهد لذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا سيد الناس يوم القيامة"[2].

ومن الأحاديث التي استشهد بها الشيخ هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

"يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك – وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك – فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا – قال – فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم ، فيقولون: أنت أدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول: لست هناكم – فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحي ربه منها – ولكن أئتوا نوحاً أو رسول بعثه الله – قال – فيأتون نوحا صلى الله عليه وسلم ، فيقول: لست هناكم – فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها – ولكن ائتوا إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذى اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فيقول: لست هناكم – ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها – ولكن ائتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذى كلمه الله وأعطاه التوراه قال فيأتون موسي عليه السلام فيقول لست هناكم – ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها – ولكن ائتوا عيسي روح الله وكلمته . فيأتون عيسي روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال: قال رسول الله

---

(1)العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري (1 / 40)، تحقيق: عبد الله أحمد جاجة، دار اليمامة للطباعة والنشر – دمشق، الطبعة: الأولى – 1423 هـ.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3375)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم (502)، من حديث أبو هريرة [رضي الله عنه].

صلى الله عليه وسلم : " فيأتونى فأستأذن على ربي فيؤذن لى، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعنى ما شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك ! قل تسمع – سل تعطه، اشفع تشفع . فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فَيَحُدُّ لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعُنى ما شاء الله أن يدعنى، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم اشفع فيحُد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة – قال: فلا أدرى في الثالثة أو في الرابعة قال – فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أى: وجب عليه الخلود"(1).

وجه الدلالة من هذا الحديث:

هذا الحديث، يدل دلالة واضحة على ملاذ كل الخلائق برسول الله صلى الله عليه وسلم، واستجابته لهم صلى الله عليه وسلم واستجابة ربه تبارك وتعالى له يوم القيامة، فهو ملاذنا الآمن وعلى ذلك أجمعت الأمة والسابقين من أهل التصوف والسلف والخلف علي جواز مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عبر بمن شذ عن إجماع الأمة.

المطلب الثاني: رَبَطَ الشيخ هذه المسالة من الناحية الشرعية، الدعوية.

البعض يرى أن شعر المديح النبوي فنٌّ مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد(2).

---

(1)أخرجه مسلم في صحيحه،(180/1)، كتاب الإيمان ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا حديث رقم (193)

(2)هو ابن دقيق العيد الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي والشافعي، صاحب التصانيف: ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بقرب ينبع من الحجاز، صنف "شرح العمدة" وكتاب "الإلمام"،

فردَّ الشيخ عليهم بقوله:

والحق أن المديح النبوي ظهر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم علي يد حسان بن ثابت، وكعب ابن مالك، وكعب بت زهير، وعبد الله بن رواحة، وقد أقرَّه النبي صلى الله عليه وسلم ، بدليل أن كعب بن زهير بن أبب سلمى أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، قصيدته المشهورة التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، واالتي مطلعها:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ متبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لم يُفْدَ مَكبولُ[1].

فأقر النبي صلى الله عليه وسلم مدح كعب بن زهير له ولم ينهه عن مدحه ولا على إنشاده في المسجد، بل كساه بردةً.

وذهب بعض المتشددين إلى حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ليدللوا به على حرمة هذه المدائح وهذا الحديث:

قول صلى الله عليه وسلم : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله[2]"

رد الشيخ علي هؤلاء المتشددين بعدم فهمهم لهذا الحديث ووضح معناه وهو:

أولًا: الإطراء، المدح بالباطل، تقول: أطريت فلانًا مدحته فأطريت في مدحه.

وعمل "كتاب الإمام في الأحكام" وعمل كتابًا في علوم الحديث، ولي قضاء الديار المصرية سنوات إلى أن مات، وكان في أمر الطهارة والمياه في نهاية الوسوسة، رضي الله عنه، انظر: طبقات الحفاظ للذهبي (4 / 182)، فوات الوفيات (3 / 443).

(1) ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (1 / 29)، حسن حسين (المتوفى: معاصر)، دار الكتب القطرية – الدوحة الطبعة: الأولى – 1400 ه.

(2) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: {واذكر في الكتاب مريم} (الفتح 6/ 551) وأصله في كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت وليس هذا اللفظ عند مسلم، وإن كان أصل الحديث عنده في الحدود باب حد الزنا (شرح النووي 11/ 191) . حديث رقم 03484

ثانيًا: أطرت النصارى ابن مريم: أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك[1]، فهو نهاهم عن المدح بالباطل فقط، ولم ينههم عن المدح مطلقًا، فالإطراء الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغلو في مدحه صلى الله عليه وسلم، وذلك بأن يُمدح بما هو من خصائص الله كأن يُرفع إلى مقام الأولهية أو يعطى بعض صفات الله، كما قالت امرأة في زمنه وهي تمدحه:

" وفينا نبي يعلمُ ما في غد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين[2]"

فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها، وذلك لأن علم الغيب من خصائص وصفات الله، وقد أمر الله رسوله أن يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[3]، فلا يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الغيب إلا ما علَّمه الله.

ومن الأبيات التى وردت في البردة واعترض عليها البعض وقالوا أن فيها مغالاة وإطراء لكن الشيخ انتصر واستشهد لهذه الأبيات بنصوص سابقة صريحة صحيحة من السنة النَّبويِّة المطهرة وهذه النصوص توافق معانيها وتؤيد مبانيها ومن ذلك قول الإمام البوصيري:

يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم[4].

فإنَّ الناظر من أصحاب الجهل باللغة أو قاصر الفهم لمقاصد الشريعة ومقاصد البيان يقولو إن هناك غلوًا مغالطة؛ إذ كيف يلوذ المرء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا

(1) فتح الباري لابن حجر 490/6.

(2) أجرجه البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم (4051)، وأبو داود، كتاب الأدب، حديث رقم (4924)، والترمذي، كتاب النكاح، حديث رقم(1113) وقال: حديث حسن صحيح.

(3) سورة الأعراف: {من الآية:188}

(4) ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ص. 82/1.

طالعنا الحديث الذى استشهد به الشيخ لذلك تجدُ أن على كل مسلم أن يلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يوم القيامة؛ لأنه شفيعنا صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

ويتضح في هذه المسألة أن المدائح النبوية مستوحاة من عدة أشياء منها :

أولًا: من القرآن الكريم

ثانيًا: السنة النبوية الشريفة

ثالثًا: اعتمدوا لهذه المدائح على الكتب المعتمدة في السيرة النبوية ومنها قال الشيخ:

«فيتضح بعد قراءة قصائد ودواوين المديح النبوي عبر تعاقبه التاريخي والفني أنه كان يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولًا، فالسنة النبوية الشريفة ثانيًا، اعتمادًا على الكتب المعتمدة في السيرة النبوية مثل {السيرة النبوية لابن هشام[1]}، .. وغيره.

وعلى هذا فمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، من أعظم القربات، وإنشاده في المسجد له فضل كبير، وإن الأبيات التي اتهمت بالغلو عند مراجعتها ومراجعة شروحها نجد أنها تهم باطلة إذا فهم المقصود منها على أساس إحسان الظن، والله تعالى أعلى وأعلم»[2].

---

(1) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد الذهلي وقيل الحميري المعافري البصري النحوي، نزيل مصر، ومهذب السيرة النبوية لابن اسحاق،ولد ونشأ بالبصرة وتوفي بمصر.

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي 387/5.، والأعلام للزركلي166/4.

(2)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة ص 3342.

المسألة الثانية

انتصار الشيخ علي جمعة لابن عطاء الله السكندري في شرحه للحكم العطائية

ومنها حكمة:

(رب معصية أورثت ذلّا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا)

وفيها أربعة مطالب:

المطلب الأول: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

المطلب الثاني: انتصار الشيخ لهذه المسألة بنصوص من القرآن الكريم.

المطلب الثالث: انتصار الشيخ لهذه المسألة من السنة النَّبويَّة المطهرة.

المطلب الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

توطئة:

قام الشيخ علي جمعة بشرح الحكم العطائية كاملة في الجامع الأزهر الشريف فأجاد واستفاض في تأييده للإمام ابن عطاء الله السكندري حول حِكَمِه، والشيخ قام بشرح هذه الحكم كاملة، ولو وقفت على شرحها لحتاجت إلي رسالة كاملة لكن أكتفي بهذه الحكمه التي تكلم فيها بعض المتشددون ولم يفهموا معناها، فانتصر الشيخ وبين الصواب لهذه الحكمة وغيرها وأنها موافقة لأصول الشرع والدين.

المطلب الأول: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

المسألة من مسائل التصوف:

وقد عالج الشيخ هذه المسألة في كتبه التالية[1] البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة.

العبارات الدالة على انتصاره قول الشيخ:

(وعليه فإن حكمة الإمام ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه موافقة لأصول الدين، ومقاصد الشرع الشريف، ودقائق السلوك القويم، فهى حكمة لا يتعارض معناها، وليس بها ثناء على المعصية وذم للطاعة من قريب أو بعيد.

المطلب الثاني: انتصار الشيخ لهذه المسألة بنصوص من القرآن الكريم.

في البداية تجد أن الشيخ أراد أن يؤصل للمسألة على عادته ويوضح مقصد ابن عطاء الله السكندري في أن المعصية مذمومة وأن الطاعة ممدوحة وليس كما فهم البعض من قلة إدراكهم للغة المتصوفة؛ حيث فهموا أنه في هذه الحكمة ذم الطاعة وامتدح المعصية ولكن العكس هو الصحيح، ولذلك رأينا الشيخ في بداية انتصاره لهذه المسألة أورد الآيات التى تدل على وجوب الطاعة لله عز وجل، وأنها سبب للفوز برضا الله ومحبته وسببا في مرافقة الأنبياء عليهم السلام والصديقين والشهداء، ومن هذه الآيات التى استدل بها على وجوب طاعته سبحانه وتعالى - قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾.[2]

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(1) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة ص 310، المسألة رقم سبع وعشرين فى هذا الكتاب .

(2) سورةالنساء:{ الآية: 13}.

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

وجه الدلالة من الآيات:

في هذه الآيات السالفة الذكر التى أوردها الشيخ ليؤصل للمسألة على أننا مطالبون بالطاعة ومنهيون عن معصية الله عز وجل، ومن الآيات التى أوردها ليدلل بها على أننا منهيون عن المعصية، وأن المعصية توقع في غضب الله وسخطه وتعرض للعذاب في الآخرة، وهى علامة على الضلال المبين قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا﴾[5].

ثم نراه بعد أن أرسى هذه الدعائم المتينة في أن الطاعة طاعة وقُرب وأن المعصية معصية وبُعد نراه بعد ذلك بوضوح المقصد من الحكمة ويفتح ما استغلق على كثير من الناس، ويبين لنا المبهم منها والغاية من وراء كلام بن عطاء الله السكندري في حكمة.

فيقول: (وجعل ربنا سبحانه وتعالى القلب هو الأساس وعليه التعويل في القرب إليه سبحانه وتعالى)

---

(1)سورة النساء:{الآية: 69}.

(2) سورة النور{الآية : 52}.

(3)سورة الأحزاب:{الآية: 71}.

(4)سورة النساء:{الآية: 14}.

(5)سورة الأحزاب:{الآية: 36}.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[2].

فهذه الآيات التى أوردها ليدلل بها على أن مداد الأعمال هو في خضوع القلب لربنا سبحانه وتعالى وفي إنكسار النفس وعدم العجب بالطاعة، فربما يكثر العمل ويكون صاحبه صاحب قلب ميت لا يتحرك بعاطفة وإنما يفعل أفعالاً جامدة، ومنبع الإيمان إنما هو من القلوب متفاضل الأعمال عند ربنا سبحانه على قدر ما في داخل القلوب من تفاوت أو بعد أو قرب من ربنا سبحانه وتعالى، ولعل ماذكره الشيخ باستشهاده بالآيات تجد أنه أورد هذه الآيات دون أن يعلق عليها، لأن الآيات صريحة وواضحة تقول إن معاصي القلب أكثر خطوره من معاصى الجوارح.

المطلب الثالث: انتصار الشيخ لهذه المسألة من السنة النَّبويَّة المطهرة.

استشهد الشيخ بحديث جليل من جوامع كلمة صلى الله عليه وسلم يدل على أن مدار الأعمال على ما في داخل قلب الإنسان عن قرب لله عز وجل.

قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "[3].

وقال صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا

---

(1)سورة الحج:{الآية: 32}.

(2)سورة آل عمران:{الآية: 154}.

(3) أخرجه مسلم فى صحيحه (4 / 1987)، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ حديث رقم (2564)

فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب"[1].

فاستدل بهذا الحديث على أن" معاصى القلب أكثر خطورة من معاصى الجوارح، كما أن معاصى الجوارح مُظْهِرة لأمراض في القلب يجب علاجها، لذا فبسلامة القلب تسلم الجوارح وقد تحدث الطاعة الظاهرة من الجوارح معاصى شديدة الخطورة في القلب إذا لم يتنبه الإنسان، في حين أن المعصية قد يعقبها طاعات نافعة إذا فطن الإنسان فأناب إلى ربه"[2].

ونبه الشيخ في شرحه للحديث إلى أن الحكمة منه عظيمة والفائدة جليلة ولا تُفهم إلا على الوجه الصحيح الأكمل حينما نضمها للحكمة السابقة التى يقول فيها ابن عطاء الله السكندري" {ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول}.

ويرى الشيخ أن الذى يقدح في الطاعة ليس هو الطاعة بنفسها وإنما هو عدم الإخلاص فيها والإعجاب بها، والاعتماد عليها واحتقار ما لم يفعلها، وهذا هو الذى يمنع من القبول، وأما الذى يمتدح في الذنوب فليس الذنب بذاته وإنما الذنب الذى يقارنه الالتجاء إلى الله والاعتذار إليه ويقارنه احتقار النفس وتعظيم ما لم يفعله فيكون سبباً في مغفرة الله تعالى لعبده ووصلوه إليه، فينبغى ألا ينظر العبد إلى صور الأشياء بل ينظر إلى دقائق حكمتها فالذل والافتقار من أوصاف العبودية والتحقق بها يقتضى الوصول إلى حضرة الرب والعز والاستكبار من أوصاف الربوبية والتحقق بها يقتضى الخذلان وعدم القبول"[3].

في هذه المسألة بجملتها تجد أن الشيخ قد أصل لها من الكتاب والسنة ثم عاد وفصَّل

(1)أخرجه البخاري فى صحيحه (1 / 20)، كتاب الإيمان، باب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، صحيح مسلم (3 / 1219)، كتاب الطلاق، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حديث (رقم1599)

(2)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 312

(3)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة، ص 313 بتصرف

المسألة وشرحها وبين ما استغلق فيها وانتصر لابن عطاء الله السكندري أيضاً بالكتاب والسنة.

المطلب الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

1. من خلال ما سبق علل الشيخ علي جمعة أن حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه موافقة لأصول الدين، ومقاصد الشرع الشريف، ودقائق السلوك القويم، فهى حكمة لا يتعارض معناها ، وليس بها ثناء على المعصية وذم للطاعة من قريب أو بعيد.

2. انتصر الشيخ علي جمعة لهذه المسألة بنصوص كثيرة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المطهرة مما يدل هلى أن لها أصل في الشرع الحنيف.

3. سار الشيخ على نهج السابقين في انتصارة وشرحة للحكم ورأ في هذه الحكمة أن الذى يقدح في الطاعة ليس هو الطاعة بنفسها وإنما هو عدم الإخلاص فيها والإعجاب بها، والاعتماد عليها واحتقار ما لم يفعلها، وهذا هو الذى يمنع من القبول، وأما الذى يمتدح في الذنوب فليس الذنب بذاته وإنما الذنب الذى يقارنه الالتجاء إلى الله والاعتذار إليه ويقارنه احتقار النفس وتعظيم ما لم يفعله فيكون سبباً في مغفرة الله تعالى لعبده ووصلوه إليه

4. بشرح الشيخ لهذه الحكمه وغيرها يَعُدُ انتصارًا للسابقين من أهل التصوف.

المبحث الثاني:
انتصارات الشيخ علي جمعة لآراء السابقين بالحجج العقلية

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى:

(جواز الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم)

المطلب الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ وفيه فرعان.

الفرع الأول: تأصيل المسألة وتوثيقها

توطئة:

ثبتت الأدلة النقلية والعقلية، على جواز الاحتفال بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منذ زمن بعيد إلى يومنا هذا، وأقرها جُل العلماء من أهل السنة والجماعة، من الأصوليين،والفقهاء، والمحدثين، وأهل الله من المتصوفين، ولم ينكرها إلا متشدد أوضعيف الإيمان.

المطلب الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تأصيل المسألة وتوثيقها من كتب الشيخ.

لقد عالج الشيخ هذه المسألة وانتصر لها في كتبه(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم.

العبارات الدالة على انتصار الشيخ في هذه المسألة:

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم صفحة 101 بعنوان (تحريم الاحتفال بمولد النبى صل الله عليه وسلم وعده بدعة وضلالة، البيان لما يشغل الأذهان (مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل) صفحة 169 .

لقد تعددت العبارات الدالة على انتصارالشيخ في هذه المسألة وهي كثيرة منها قوله: "يخالف المتشددون أغلب المسلمين في فرحهم بذكرى ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ويتهمون أنهم على بدعة وضلالة على الرغم من احتفال هؤلاء المتشددون بذكرى بعض علمائهم وأئمتهم وهذى مصيبة أخرى من مصائبهم ونحاول فيما يلي بيان صواب ما عليه المسلمون من الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم [(1)].

2- ومن العبارات لهذه المسألة: "فلاشك أن مولد النبى صلى الله عليه وسلم من أيام الله فيكون الاحتفال به ما هو إلا تطبيقا لأمر الله وما كان كذلك فلا يكون بدعة بل يكون سنة حسنة حتى ولو لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم "[(2)].

فكل هذه العبارات السابقة تدل على انتصار الشيخ "على جمعة "في هذه المسألة، وإثباته لها على أنها ليست بدعة وأن الأمة اجتمعت على ذلك، وانتصاره في هذه المسألة بأراء السابقين من أهل التصوف بالحجج العقلية ليؤكد في كلامه أنه لا ينبغي أن يجادل في هذا الكلام عاقل ومن يفعل ذلك فهو متشدد بعيد كل البعد عن الدين، إذ أن ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم لهو يوم من أيام الله كما نص على ذلك الشيخ في كتاباته.

لقد كان المولد النبوي الشريف إطلالة للرحمة الإلهية بالنسبة للتاريخ البشري جميعه، وَعَبَر القرآن عن وجود النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين، وهذه الرحمة لم تكن محدودة؛ فهي تشمل تربية البشر، وتزكيتهم، وهدايتهم نحو الصراط المستقيم، وتقدمهم علي صعيد حياتهم المادية والمعنوية، كما أنها لاتقتصر علي أهل الزمان، بل تمتد علي امتداد التاريخ بأسره **(وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[(3)].

(1) المتشددون ...منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص101.

(2) المتشددون ...منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 103.

(3) سورة الجمعة:{الآية:3}.

الاحتفال بذكري مولده صلى الله عليه وسلم من أفضل الأعمال وأعظم القربات؛ لأنه تعبير عن الفرح والحب له صلى الله عليه وسلم ومحبته صلى الله عليه وسلم من أصل الإيمان.[(1)]

الفرع الثاني: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

1.تأصيل الشيخ لآراء السَّابقين من أهل التصوف لهذه المسألة ببيان أدلتها من القرآن الكريم

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[(2)].

وجه الدلالة من هذه الأية.

هذه الآية يمكن الاستدلال منها بعموم قوله تعالي **(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ)**، فلاشك أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم من أيام الله فيكون الاحتفال بها هو إلاتطبيقا لأمر الله، وما كان كذلك فلا يكون بدعة، بل يكون سنة حسنة حتي ولو لم يكن علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحتفل بمولده صلى الله عليه وسلم لأننا نحبه، ولم لا نحبه وقد عرفته وأحبته كل الكائنات صلى الله عليه وسلم.

2- تأصيل الشيخ لآراء السَّابقين من أهل التصوف وببيان أدلة هذه المسألة من السنة النبوية المطهرة.

لقد أورد الشيخ الكثير من الأحاديث النَّبَوِيَّة الصحيحة التى تدل دلالة واضحة على ما ذهب إليه علي جواز الاحتفال بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذه الأدلة ما يلي:

(1) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص 169.

(2) سورةإبراهيم:{الآية:5}.

الحديث الأول:

1- عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال:" سئل (أي النبي صلى الله عليه وسلم) عن صوم يوم الاثنين؟ قال:"ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت (أو أنزل على فيه)"[1].

الحديث الثاني: وهذا الحديث الأول الذي أورده الشيخ أورد له روايات أخرى في نفس المعنى تعضد الرأي الذي ذهب إليه الشيخ بل نجد فيها تفصيلا أكثر:

عن أبى قتادة الأنصاري – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه ؟ قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وبيعتنا بيعة، قال: فسئل عن صيام الدهر ؟ فقال:"لها صام ولها أفطر " أو " ما صام وما أفطر " قال: فسئل عن صوم يومين وإفطار يوم: فقال: "ومن يطيق ذلك"؟ قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يومين ؟ قال: وليت أن الله أقواما.

قال: وسئل عن صوم وإفطار يوم ؟ قال: ذلك صوم أخي داود عليه السلام "

قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين ؟ قال:"ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت "أو أنزل على فيه"، قال: فقال:" صوم ثلاثة من كل شهر ورمضان إلى رمضان، صوم الدهر، قال وسئل عن صوم يوم عرفة ؟ فقال:" يكفر السنة الماضية والباقية، قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء ؟ فقال:"يكفر السنة الماضية"[2].

الحديث الثالث:

---

(1)أخرجه مسلم في صحيحه(ج2، ص 820) ، كتاب الصيام، باب استجاب ثلاثة أيام من كل شهر، رقم الحديث 1162.

(2)أخرجه أحمد فى مسنده ج 7، ص 228، مسند الأنصار، حديث أبى قتادة الانصارى رقم الحديث 22541، وابن ماجه فى سننه أبواب الصيام، باب الصيام فى يوم الأثنين والخميس ج2، ص628 رقم الحديث 1740 وقال شعيب الأرنؤط اسناده صحيح على شرط مسلم وأصل الحديث فى مسلم.

هذا وقد أورد الشيخ (على جمعة) روايات أخرى تدل على نفس المعنى وتؤيده ولكن بلفظ مختلف ومن ذلك:

فعن أبى قتادة – رضي الله عنه – أن أعرابيًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صومه فغضب حتى عرف ذلك في وجهه فقام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبك نبيا، أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فلم يزل عمر يردد ذلك حتى سكن، فقال: يا رسول الله . ما تقول عن رجل يصوم الدهر كله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :" لها صام ولها أفطر " أو قال " ما صام وما أفطر " فقال: يا رسول الله كيف بمن يصوم يومين ويفطر يوما ؟ فقال:" ومن يطبق ذلك ؟ فقال: يا رسول الله .فما تقول في صوم يوم الاثنين .

قال: ذلك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه، قالوا: يا رسول الله فما تقول في رجل يصوم يوما ويفطر يوما ؟ فقال: ذاك صوم أخى داود قالوا: يا رسول الله فيما تقول في صوم يوم عاشوراء؟ قال " إنى لأحتسب على الله أن يكفر السنة، قال: يا رسول الله فما تقوم في صوم يوم عرفة؟ قال: إني لأحتسب على الله عز وجل أن يكفر السنة التى قبلها والسنة التى بعدها".

الحديث الرابع:

فهذا الحديث السابق الذي أورده الشيخ بالرواية السالفة الذكر ليثبت به أن هناك روايات كثيرة تدل على نفس المعنى وتعضده حتى إذا قال وأجمعت الأمة على ذلك لا يستطيع أن يمارى أحد في ذلك وقد أورد الشيخ رواية أخرى لابن حبان تدل على نفس المقصد وتؤدى إلى نفس الغرض الذي يستدل عليه.

عن أبى قتادة – رضى الله عنه – أن أعرابيًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم الدهر فقال صلى الله عليه وسلم : لها صام ولها أفطر أو قال: لا أفطر ولا صام، فقال غيره: يا

رسول الله: أرأيت رجلا يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قال: ذلك صوم الدهر، قال: أرايت رجلا يصوم الإثنين ؟ قال: ذلك يوم ولدت فيه ويوم أنزل على . قال: أرأيت رجلا يصوم يوما ويفطر يوما ؟ قال: ذاك صوم أخي داود.

ولعل ما أورده الشيخ من الأحاديث سالفة الذكر برواياتها المتعددة ونصوصها التى تدل عل نفس المراد ترجح انتصار الشيخ وهي واضحة المعالم مكتملة الأركان حيث أقام الشيخ الحجة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وهو المرجع الثابت الذي لا شك فيه ولا مراء ويعلق الشيخ علي هذه الأحاديث النَّبَوِيَّة إلى ما فيها من إشارة واضحة للاحتفال بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «والاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم هو الاحتفاء به، والاحتفاء به صلى الله عليه وسلم أمر مقطوع بمشروعيته؛ لأنه أصل الأصول ودعامتها الأولي، فقد علم الله سبحانه وتعالي قدر نبيه، فعرف الوجود بأسره باسمه، وبمبعثه، وبمقامه، وبمكانته، فالكون كله في سرور دائم وفرح مطلق بنور الله، وفرجه، ونعمته علي العالمين، وحجته»(1).

السلف الصالح رضوان الله عليهم يتقربون إلى الله عز وجل بإطعام الطعام، وتلاوة القرآن والذكر في يوم مولده احتفاءًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قال الشيخ: «وقد درج سلفنا الصالح منذ القرن الرابع على الاحتفال بمولد الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه بإحياء ليلة المولد بشتى أنواع القربات من إطعام الطعام، وتلاوة القرآن والأذكار وإنشاد الأشعار والمدائح في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك غير واحد من المؤرخين مثل الحافظين ابن الجوزي وابن كثير والحافظ ابن دحية الأندلسي والحافظ ابن حجر وخاتمة الحافظ جلال الدين السيوطي رحمهم الله تعالى»(2).

---

(1) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص170

(2)المتشددون ...منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص101.

المطلب الثاني

انتصار الشيخ لهذه المسألة بآراء السابقين من المتصوفة بالحجج العقلية

وفيه أربع فروع:

الفرع الأول: ذكر آراء بعض المتصوفة السابقين بجواز الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم .

انتصر الشيخ في هذه المسألة { جواز الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم } بآراء المتصوفة السابقين بالحجج العقلية التي تؤكد علي جواز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أورد الشيخ عددا من هؤلاء المتصوفة ليدللوا علي هذه المسالة بالحجج العقلية.

«حيث ألف في استحباب الاحتفال بذكري المولد النبوي الشريف جماعة من العلماء والفقهاء، بينوا بالأدلة الصحيحة استحباب هذا العمل؛ بحيث لا يبقي لمن له عقل وفهم وفكر سليم إنكار ما سلكه سلفنا الصالح من الاحتفال بذكري المولد النبوي الشريف[1]».

1.الحافظ ابن حجر العسقلاني:

أولًا: شرح آراء السابقين من أهل التصوف وبيان ذلك عند الشيخ علي جمعة.

«حيث يقول الشيخ علي جمعة مستدلًا بآراء قول الحافظ ابن حجر العسقلاني

« والأصل الذي خرج عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني عمل المولد النبوي هو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هنا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجي موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى».

(1) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص170

ومن كلام ابن حجر في جواز الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم في عمل المولد فهذا رآي أحد شراح السنة النَّبَوِيَّة المطهرة وهو الذي شرح أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ألا وهو صحيح البخاري فالاستشهاد بأعلام السنة النَّبَوِيَّة المطهرة وشارحيها هو انتصار لهذه المسألة وهذا ما ذهب إليه الشيخ لجواز الاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو القول الذي أورده الشيخ بأدلة الحافظ ابن حجر علي هذه المسألة بالحجة والبيان.

حيث قال:« فيستفاد منه فعل شكر الله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود، والصيام، والصدقة، والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم »(1).

الفرع الثاني: دليل الشيخ في انتصاره على المانعين للإحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

المخالفون يرفضون الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرون أنها بدعة.

وقد نظر المخالفون " لمسألة الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم أنها بدعة مذمومه لم ترد علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

أورد الشيخ بعض الأدلة في رده علي المخالفين.

الدليل الأول:ما أورده الشيخ من أحاديث فهي أصول ثابتة لهذه المسألة مسألة جوازالاحتفال بميلاد النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وبذلك دحض الشيخ قول المخالفين في هذه المسألة.

الدليل الثاني: «إن كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا به في

(1)المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم ص102.

الذكرى السنوية يوم الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام فإنَّ هذا لايجعل الاحتفال به بدعة مذمومة؛ لأن البدعة المذمومة هي التي لا تدخل تحت دليل شرعي في مدحها، أما إذا تناولها دليل المدح فليست مذمومة(1)».

الدليل الثالث: استدل الشيخ بأراء السابقين بالحجج العقلية علي قول المخالف بأنها بدعة، فساق الشيخ قول البيهقي عن الشافعي ليبين صلة آراء السابقين من أهل التصوف للقواعد الشَّرعية والأصولية لهذه المسألة فقال: «المحدثان من الأمور ضربان، أحدهما: ما أحدث مما يخالف كتابا، أو سنة، أو أثر، أو إجماعًا فهذه البدعة الضلالة، والثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضي. هذا آخر كلام الشافعي»(2).

الفرع الثالث: شرح آراء السابقين من أهل التصوف لهذه المسألة.

وقد نَقَلَ الشيخ في هذه المسألة رأى الكثير من أعلام الأمة المشهود لهم بالفضل والإحسان كالإمام السيوطي فهو إمام حافظ شارح السنة وقد ألف الكثير من المؤلفات في الفقه والشريعة الإسلامية والتصوف وغيرها، ليستدل الشيخ بأراء السابقين من المتصوفة بالحجج العقلية علي هذه المسألة.

1. الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالي راية عن هذه المسألة بالحجج العقلية.

ألف الامام كتابًا أسماه{حسن المقصد في عمل المولد}، وأجاب علي سؤال رفع إليه عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ؟ما حكمه من حيث الشرع، وهل هو محمود أو

(1)المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم ص 101

(2) أخرجه البيهقي في " مناقب الشافعي "، (1/469).

مذموم، وهل يثاب فاعله؟

«الجواب عندي أن أصل عمل المولد الذي هواجتماع الناس، وقرأءة ما تيس من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وماوقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة علي ذلك؛ لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.

وذكر الشيخ في كتبه[1] ردَّ الامام السيوطي علي من قال:{لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولاسنة، فكان الرد بالحجة القوية من الإمام السيوطي بقوله:

نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود، مبينًا أن إمام الحافظ أبا الفضل ابن حجر رحمه الله تعالي قد استخرج له أصلا من السنة، واستخرج له هو .يعني السيوطي . أصلا ثانيا موضحًا أن البدعة المذمومة هي التي لا تدخل تحت دليل شرعي في مدحها أما إذا تناولها دليل المدح فليست مذمومة.

وقال السيوطي أيضًا حول هذه المسألة فيما استدل به الشيخ علي جمعة ليقوي الحجج العقلية في ذلك ماذكره في كلامه.[2]

وعمل المولد ليس فيه مخالفة لكتاب، ولا سنة، ولا أثر، ولا إجماع، فهي غير مذمومة وهو من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول، فإن إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان فهو إذن من البدع المندوبة كما عبر عنه بذلك سلطان العلماء العز بن عبد السلام[3].

2- من الأئمة السابقين الذين استشهد بهم الشيخ إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتابه (عرف التعريف بالمولد الشريف) قوله:«إنه صح أن أبا لهب يخفف منه

---

(1) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوي لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص.171.

(2) المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم ص101.

(3) المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم ص101.

العذاب في النار كل ليلة اثنين لإعتاقه ثويبة عندما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمة جوزي في النار بفرحة ليلةمولد النبى صلى الله عليه وسلم حال المسلم الموحد من أمة النبى صلى الله عليه وسلم يسر بمولده ويبذل ما اتصل إليه قدرته في محبته؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنة النعيم وأنشد الحافظ شمس الدين الدمشقى في كتابه المسمى (مورد الهادى في مولد الهادى):

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الإثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذى كان عمره بأحمد مسرورا ومات موحدا[1].

الفرع الرابع: بَيَّنَ الشيخ صلة الفقهاء السابقين من أهل التصوف وغيرهم للقواعد الشَّرعية والأصولية مستندا لهذه المسألة بكلامهم.

وقد أورد الشيخ كلام الفقهاء حينما علقوا على هذه المسألة "مسألة جواز الاحتفال بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فنقل كلامهم ليقوى حجته بأن، الفقهاء القدامى ذهبوا إلى نفس ما يميل إليه واستشهدوا كما استشهد الشيخ ومن هؤلاء الذى أورده كلامهم:

1. العلامة أبو عبد الله بن الحاج المالكى[2]، حينما قال في كتابه المدخل على عمل المولد:

---

(1) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: 1122هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م، ج1ص 261.

(2) هو: الإمام العالم، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج، كان فاضلا عارفا يقتدى به، له التاليف النافعة من أجلها هذا الكتاب المسمى «بمدخل الشرع الشريف على المذاهب» ، ذكر فيه بدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل، توفى بالقاهرة سنة 737 هـ، انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة-

"فمدح ما كان فيه من إظهار الشكر لله تعالى وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات فمن ذلك قوله " فانظر رحمنا الله وإياك إلى ما خص الله تعالى به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين ألا تري أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه صلى الله عليه وسلم ، ولد فيه فعلى هذا ينبغى إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به وذلك بالإتباع له صلى الله عليه وسلم في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات فتعظم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه ويكره له: تعظيما لهذا الشهر الشريف وإن كان ذلك مطلوبا في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراما كما في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم فيترك الحديث في الدين ويجتنب مواضع البدع وما ينبغى.

ومن العلماء المتأخرون الذين قالوا بجواز الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم علماء كُثر ومن هؤلاء:

2. الإمام الشعراوي[1] رحمه الله يقول:"إذا كان بنوا البشر فرحون بمجيئه لهذا العالم

مصر،ج3، ص50.

(1) هو: الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي.، ولد الامام الشعراوي في 15-4-1911 بقرية دقادوس احدي مدن الدقهلية بجمهورية مصر العربية وكان والده يعمل بالزراعة.. وحفظ القرآن الكريم في العاشرة وجوده في الخامسة عشرة من عمره ودخل معهد الزقازيق الإبتدائي الأزهري ثم المعهد الثانوي.، وتخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر عام 1941 وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام 1943م،

عمل بالتدريس في معاهد: طنطا - الزقازيق - الإسكندرية ثم أعير إلى المملكة العربية السعودية وعمل بالمملكة العربية السعودية مدرسًا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة.، عُين وكيلًا لمعهد طنطا الديني ثم مديرًا للدعوة بوزارة الأوقاف عُين مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر وعُين مديرًا لمكتب شيخ الأزهر حسن مأمون ثم رئيسًا لبعثة الأزهر بالجزائر وعُين أستاذًا زائرًا بجامعة الملك عبد العزيز

وكذلك المخلوقات الجامدة فرحة لمولده وكل النباتات فرحه لمولده وكل الجن فرحه لمولده فلماذا تمنعونا عن الفرح بمولده ".يا أهل الإسلام، يا أمة النبى صلى الله عليه وسلم احتفلوا بنبيكم بكل فخر ومدح ويا أهل الفتن لا تمنعوا أحدا من الاحتفال واتركوا الناس تفعل ما تمليه قلوبها".

والناظر في هذه المسألة يرى أن الشيخ قد انتصر انتصارا واضحاَ في كل ما سبق لهذه المسألة {جواز الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم } وانتصر على مخالفيه، ولعل حجته كانت قوية حينما أتى باستدلالات من السنة النَّبَوِيِّة المطهرة ليدلل على جواز الاحتفال بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد عضدد هذه الأحاديث التى ذكرها بأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين قالوا " بجواز " مسألة الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فكان منهم أعلام كثيرون وعلى رأسهم الإمام السيوطى، وحافظ الدنيا في الحديث ابن حجر العسقلانى، والإمام النووى، والإمام ابن كثير وإمام القراء والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، الحافظ العراقي، الحافظ السخاوي، والكمال الأدفوى، والحافظ ابن حجر الهيثمي.

- بكلية الشريعة - بمكة المكرمة..، في يوليو عام 1975م. عُين مديرًا عامًا لمكتب وزير شئون الأزهر وعُين بعد ذلك وكيلًا لوزارة شئون الأزهر للشئون الثقافية وأحيل للتقاعد في 15 أبريل عام ، وله مؤلفات عدة منها: القرآن الكريم معجزة ومنهج- محمد ، لله والكون، خواطري حول القران، توفى يوم 17 من أبريل عام 1998/ انظر: : المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، لأعضاء ملتقى أهل الحديث،أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، ج1، ص 325، انظر: كتاب أهل السنة الأشاعرة، فصل: الأشاعرة والماتردية هم غالب الأمة، تأليف: حمد السنان وفوزي العنجري، دار الضياء، الطبعة الأولى 2006، الكويت.

المطلب الثالث: خلاصة المسألة.

1- شرح الشيخ آراء السابقين من أهل التصوف لهذه المسألة.

2- أصل الشيخ لآراء السَّابقين من أهل التصوف لهذه المسألة ببيان أدلتها من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

3- بين الشيخ صلة الفقهاء السابقين من أهل التصوف فأصَّلوا لهذه المسألة بالقواعد الشَّرعية والأصولية.

4- اعتماد الشيخ علي أقوال العلماء السابقين واللاحقين من أعلام الأمة في تعضيد رأيه وفي تعضيد استدلاله فساق أقوالهم في معرض كلامه عن المسألة ومن هؤلاء أعلام كثيرون وعلى رأسهم الإمام السيوطى، وحافظ الدنيا في الحديث ابن حجر العسقلانى، والإمام النووى، والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، الحافظ العراقي.

5- توصل الشيخ في النهاية إلى أن هذا الرأي في هذه المسألة {جواز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم } هو رأى مسّلم به مؤيد بالكتاب والسنة وأقوال العلماء وإجماع الأمة حيث قال الشيخ: (نرى استحباب الاحتفال بالمولد الشريف موافقة للأمة والعلماء وأن يكون الاحتفال بما ذكر من تلاوة القرآن والذكر وإطعام الطعام ولا يتطرق إليه مظاهر مذمومة كالرقص والطبل وما إلى ذلك ولا عبرة بمن شذ عن هذا الإجماع العلمي للأمة وأقوال هؤلاء الأئمة وليس ذلك الاحتفال بكثير على النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة، بالعالمين)[1].

(1) المتشددون، منهجهم – ومناقشة أهم قضاياهم ص 104.

المسألة الثانية: مسألة مصير أبوي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، هل هما في الجنة أم في النار؟[1]

المطلب الأول: تأصيل المسألة.

وفيها أربع فروع:

الفرع الأول: تأصيل المسألة وتوثيقها.

هذه قضية من أهم القضايا الّتى تكلم فيها المتشددون، وهم يرددون الكلام الذى يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤذي مشاعر المسلمين أن أبوي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، في النَّار.

1. ولقد تعرض الشيخ لهذه المسألة في كتبه[2]كتاب المتشددون منهجهم ومناقشة أهم

(1) تكلم في هذه المسألة غير واحد من أهل العلم وأصَّلوا لها بأن أبوي النبي صل الله عليه وسلم ناجيان وأنهما من أهل الجنة ومن هؤلاء صاحب كتاب: محاسن التأويل،ج10 ص312، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق، محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، وتعتبر هذه القضية من أشهر القضايا التى أثارها الإمام السيوطى وجال فيها جولات ناجحة ، وأثرت على الجماعة العلمية بعد الإمام السيوطى ، كما أنها أحد القضايا التى عبرت بشكل قوى عن مدى تعلق الإمام السيوطى بجناب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والتى نضج فيها منهج السيوطى العلمى ، واكتملت فيها شخصيته العلمية بكل أبعادها الأصولية والحديثية والفقهية ، وقد ألف فى ذلك عدة رسائل هى ، مسالك الحنفا فى أبوى المصطفى .، التعظيم والمنة فى أن أبوى الرسول فى الجنة ، الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة ، نشر العلمين المنيفين فى إحياء الأبوين الشريفين ، المقامة السندسية فى النسبة المصطفوية، السبل الجلية فى الآباء العلية.

(2) كتاب المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 114 بعنوان (الحكم على والدي المصطفي بالنار يوم القيامة)

ب- البيان لما يشغل الأذهان مائة فتاوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص 175، وكان السؤال رقم 43 (هناك من يقول: إنَّ أبوى النَّبىّ – صلى الله عليه وسلم) من المشركين، وهما في النار فهل هذا الكلام صحيح؟

قضاياهم، وهذه المسألة من مسائل العقيدة غير أن بعض المنكرين، والمتشددين، تكلموا عنها وجعلوها وكأنها خاصة بالمتصوفين لما قام به السادة الصوفية السابقين والمعاصرين مدافعيين عنها بأن مصير أبوي النبي. صل الله عليه وسلم في الجنة.

وظهر في الأونة الأخيرة من يقولون إن والدى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم من أهل النار وينشرون ذلك على الإنترنت وفي الملصقات والكتب، فهل يعقل هذا الكلام؟

2. هذه المسألة من مسائل العقيدة، وتصدى للمتشددين والمنكرين لهذه المسألة السادة الصوفية، والرأي عندهم بالإجماع أن أبوي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم من أهل الجنة.

المخالفون:- يرفضون ذلك ويرون أن مصير أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم في النار.

رأي الشيخ علي جمعة لهذه المسألة رَفَضَ كلام المخالفين وانتصر لهذه المسألة بالكتاب والسنة وآراء السابقين من أهل التصوف الحجج العقلية الدامغة على أن أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ومصيرهما في الجنة؟.

العبارات الدالة على انتصار الشيخ لهذه المسألة قوله:

1. فالرد عليهم أولًا: أن الحديث الأول[1] فيه تصريح بأن أم النبي صلى الله عليه وسلم في النار، وإنما عدم الإذن في الاستغفار لا يدل على أنها مشركة، وإلّا ما جاز أن يأذن له ربه عز وجل أن يزور قبرها، فلا يجوز زيارة قبور المشركين وبرهم.[2]

ج- كتاب فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص48 بعنوان (مصير أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم.

(1) الحديث الأول، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: زار النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لى، فزوروا القبور تذكركم بالموت" الحديث الثاني، عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبى؟ قال: "في النار" فلما مضى دعاه فقال: "إن أبى وأباك في النار".

(2)) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضياهم ص117.

2. فإن ذلك يجعلنا نرد الحديثين لتعارضهما مع الأيات القاطعة الصريحة التى تثبت عكس ذلك مما مر[1].

ولقد تعرض الشيخ علي جمعة لهذه المسألة في كتبه وتصدى لهؤلاء المخالفين لهذه المسألة بالرد عليهم بالقرآن والسنة وآراء السابقين من أهل التصوف بالحجج العقلية الّتى تُبطل كلامهم وزعمهم ودحض شبههم وأقوالهم.

الفرع الثاني: من محبة النبي عدم ايذائه في أبويه.

أورد الشيخ علي جمعة عددًا من الآيات القرآنية التي تدلل على عدم ايذائه صلى الله عليه وسلم في أبويه، لأن ايذائه الشريف في أبويه يؤذي مشاعر المسلمين ومما أورده الشيخ حول ذلك: "لا شك أن الحب يتنافي مع رغبة الإيذاء لمن يحب، ولا شك كذلك أن الحديث بسوء عن أبويه صلى الله عليه وسلم يؤذي النّبىّ"[2] صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[3].

2. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾[4].

أورد الشيخ أن الله عز وجل نهانا صراحة عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشابهة اليهود – لعنهم الله – في ذلك:

استشهد الشيخ في هذه الفقرة بقول، القاضي رحمه الله فقال:

قال القاضى: فنحن لانقول إلا ما يرضى ربنا، ويرضى رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا

((1))المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم ص 118.

(2) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 115.

(3) سورة التوبة: { من الآية: 61}

(4) سورة الأحزاب: {الآية: 69}.

تتجرأ على مقامة الشريف ونؤذيه صلى الله عليه وسلم بالكلام بما لا يرضى صلى الله عليه وسلم [1]

فكيف لنا الأن في هذه العصور والأونة الأخيرة ترى من يتجرأ على حضرته صلى الله عليه وسلم وهو يثبت أن هؤلاء يفعلون كما يفعل اليهود الذين ليس لهم مشاعر مع أنبيائهم فهل نقتدى بهؤلاء بإيذاء رسولنا أن أبوي النّبىّ صلى الله عليه وسلم في النار والنّبىّ صلى الله عليه وسلم في دعوته كفاه ربه ونجاه فقال له: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [2] فهذا سوء للأدب وانعدام الحياء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب علينا أن نلتمس سنته وشريعتة وأن نفهم مراد الله من كلامه ومن وحيه لنبية صلى الله عليه وسلم .

وذكر الشيخ علي جمعة أنه يجب على هؤلاء الذين خالفوا السابقين والحاليين من أهل التصوف وغيرهم في هذه المسألة التي تؤذي مشاعر المسلمين بل تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغير من أنفسنا في بأن نعودإلى حظيرة الله، وإلى حظيرة النّبىّ المصطفي صلى الله عليه وسلم .

فقال الشيخ " رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب علينا أن نلتمس سنته وشريعته، وأن نفهم مراد ربنا من كلامه ومن وحيه لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى نطبقه، إلا أن كثيرًا من المسلمين لم يرودا أن يعودو إلى حظيرة الله، وإلى حظيرة الدين، وإلى حظيرة النّبىّ المصطفي صلى الله عليه وسلم وكأنه يسعى لمخالفة سنة النّبىّ صلى الله عليه وسلم في نفسه وأهل بيتة، في جوارحه وأفكاره ونفسه، يقول بلسانه، إنه مسلم، وقد يقتنع بعقله، إلا أنه لا يتحرك في إطار ذلك الإسلام، ولم يغير فيه الإسلام ما يجعله عبدًا ربانيًا كا لأوائل، خرجوا للعالم

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 114.

(2) سورة الحجر:{الآية: 95}

فأخرجوه من الظلمات إلى النور، وكانوا مثلًا صالحًا "للعبد الصالح "[1].

الفرع الثالث: الأدلة من القرآن على نجاة أبوي النبي صلى الله عليه وسلم .

"واعلم أن آباء النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وأجداده إن ثبت وقوع بعضهم فيما يظهر أنه شرك فإنهم غير مشركين، وذلك لأنهم لم يرسل إليهم رسول، فأهل السنة والجماعة قاطبة يعتقدون أن من وقع في شرك وبدل شرائع التوحيد في الفترة ما بين النَّبىّ والنَّبىّ لايعذب، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى:

1- ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾[2].

2- وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُون﴾[3].

3- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُون﴾[4].

وجه الدلالة على هذه الآية من كلام الشيخ:

"لا تقوم الحجة على الخلق إلا بإرسال الرسل، وبغير إرسال الرسل فالبشر غير محجوبين برحمة الله وفضلة هذه الآيات تدل على ما يعتقده أهل الحق أهل السنة والجماعة، أن الله برحمته وفضله لا يعذب أحدًا حتى يُرسل إليه نذيرًا "[5].

---

(1)خطب الجمعة السلسة النورانية فى الشريعة الربانية (النبى صلى الله عليه وسلم) دار الوابل الصيب ط. 1430هـ - 2009م ص62 .

(2) سورةالإسراء:{ من الآية:15}.

(3) سورةالأنعام:{الآية:131 }.

(4) سورة الشعراء:{ 208}.

(5)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 116.

الفرع الرابع: القائلين بأن أبواي النبي صلى الله عليه وسلم مشركين لأنه بُعث إليهم رُسل وماتوا على الكفر.

أورد الشيخ عددًا من الأدلة على بطلان القائلين بأن أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم نذير، وهم أشركوا بعد بلوغ الحجة فقال الشيخ:

"وقد يقول قائل لعل أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم نذير، وهم أشركوا بعد بلوغ الحجة، فهذا لايسعفة نقل، بل جاءت النصوص تنقية، وتؤكد عكس ذلك منها:

1. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[1]

2. وقال سبحانه: ﴿وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[3].

شرح الشيخ لهذه الآيات:

"فدلت النصوص السابقة على أن أبوي النَّبىّ وأجداده صلى الله عليه وسلم غير معذبين، لا لأنهما أبواه صلى الله عليه وسلم ؛ بل لأنهما من جملة أهل الفترة التى علمنا من هم، وحكمهم بما استقر عند المسلمين.

---

(1) سورة سبأ: {الآية: 44} .

(2) سورة القصص: {الآية: 4}.

(3) سورة القصص: {الآية: 59}. .

المطلب الثاني: انتصار الشيخ علي جمعة لهذه لمسألة بآراء السابقين من أهل التصوف.

انتصر الشيخ علي جمعة بآراء بعض المتصوفة لهذه المسألة ليؤكد أن هذه المسألة محسومة قديمة غير أن بعض هؤلاء المتشددين والمخالفين مايريدونه هو إيذاء المسلمين بهذه الأقوال بأن أبواي النبي صلى الله عليه وسلم في النار فذهب الشيخ إلى عدد كبير من العلماء ليؤكد بطلان زعمهم فربط الشيخ هذه الآراء بالقواعد الأصولية والدعوية ليبن انتصار هؤلاء السابقين والمعاصرين من أهل التصوف وغيرهم على هؤلاء المنكرين لهذه المسألة، وانتصر الشيخ ببعض الأدلة العامه على هذه المسألة.

الفرع الأول: انتصار الشيخ بالآدلة العامة لأهل الفترة لهذه المسألة بآراء السابقين.

من العلماء الذين انتصر بهم الشيخ لهذه المسألة على وجه العموم بأقوال السابقين:

1.الإمام الشاطبي[1]:

(1) هو: هو القاسم بن فِيرُّه الحديد - ابن خلف بن أحمد أبو القاسم، وأبو محمد الشاطبي الرعيني، الضرير، وليُّ الله الإمام العلاَّمة، أحد الأعلام الكبار المشتهرين في الأقطار.، ولد في آخر سنة / 538 / هجرية، بشاطبة، من الأندلس، وقرأ ببلده القراءات، ولما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس، توجه فزاره سنة /589 هـ/، ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يُقرئ حتى تُوفي، وكان إمامًا كبيرًا، أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظًا للحديث، بصيرًا بالعربية، إمامًا في اللغة، رأسًا في الأدب، مع الزهد والولاية، والعبادة، والانقطاع والكشف، شافعي المذهب، مواظبًا على السُّنَّة،توفي الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - يوم الأحد، بعد صلاة العصر، وهو اليوم الثامن والعشرون من جمادى الآخرة، سنة: /590 هـ/، ودفن يوم الإثنين بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، بالقرافة الصغرى، بالقرب من سفح الجبل المقطم بمصر، وقبره مشهور معروف؛ رحمه الله تعالى، انظر: متن الشاطبية = حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع ، للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: 590هـ)، تحقيق، محمد تميم الزعبي، الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، 1426 هـ - 2005 م، انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: 665هـ)،

قال الشاطبى :"جرت سنته سبحانه في خلقه: أنه لا يؤخذ بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل، فإذا قامت الحجة عليهم ؛ فمن فيؤمن، ومن شاء فليكفر، ولكل جزاء مثلة"(1)

2. قال القاسمى(2): قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾(3)" وما صح، وما استقام منا، بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة، أن نعذب قومًا حتى نبعث إليهم رسولًا يهديهم إلى الحق، ويردعهم عن الضلال؛ لإقامة الحجة، وقطعًا للعذر(4).

3. قال ابن تيمية(5): "إن الكتاب والسنة قد دلت على أن الله لايعذب أحدًا إلا بعد إبلاغ

الناشر: دار الكتب العلمية ج1، ص 766.

(1)الموافقات، للشاطبى، ج3 ص377 .

(2) هو: الشيخ جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسن السبط، المعروف بـ "جمال الدين القاسمي " إمام الشام في عصره، علمًا بالدين، وتضلعًا من فنون الأدب. ولد بدمشق سنة 1283 هـ، أفاد الناس في قُرى دمشق، وقد رحل إلى مصر، وزار المدينة، انقطع للتعليم والتأليف في بيته، فصنَّف كُتبًا كثيرة، منها: "المطبوع والمخطوط "، من أعظمها: "تفسير القرآن المسمى "محاسن التأويل " في 17 مجلدًا. ، و"قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث " وهو مطبوع، و "إصلاح المساجد من البدع والعوائد" مطبوع، و "تعطير المشام في مآثر دمشق والشام) مخطوط في أربع مجلدات، توفي- رحمه الله- في سنة 1332 هـ. انظر: ترجمته في "الأعلام" للزركلي (135/2) ، وانظر ترجمته في: الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، تكملة «الصّارم المنكي» 1/ 30، لمحمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه (المتوفى: 1355هـ)، دراسة وتحقيق: د/ صالح بن علي المحسن، د/ أبو بكر بن سالم شهال، الناشر: دار الفضيلة – الرياض، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م.

(3) سورة {الإسراء: الآية:16}.

(4) محاسن التأويل،ج10 ص312، لمحمدجمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق، محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت

(5) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي علم الأعلام الإمام الصبار الشكور. يقول عنه خصمه تقي الدين السبكي -وقد عاتبه الحافظ الذهبي على ما نال به من قدر ابن تيمية: "المملوك "يعني نفسه" يتحقق كبير قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم النقلية

الرسالة، فمن لم تبلغة جملة، لم يعذبه رأسًا، ومن بلغتة جملة دون بعض التفصيل، لم يعذبه إلا على إنكار ماقامت عليه الحجة الرسالية"(1)

وجه الدلالة من كلامه:

أن الله لايعذب أحدًا إلا بعد إبلاغ الرسالة، وهذا يدل على أنهما ناجيان من النار.

الفرع الثاني: انتصار الشيخ علي جمعة بالأدلة الخاصة على نجاة أبوي النَّبيّ صلى الله عليه وسلم لهذه المسألة بآراء السابقين.

ما أورده الشيخ من الأدلة القرآنية وأقوال بعض العلماء السابقين لهذه المسألة عن أهل الفترة بالعموم، دون الدليل الخاص.

أما الدليل الخاص على نجاة أبوي النَّبيّ صلى الله عليه وسلم فذكر الشيخ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ما يدل على أن أصول النَّبيّ صلى الله عليه وسلم طاهرة وأنه صلى

والعقلية "يعني بكل هذا ابن تيمية" وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به، لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان" انتهى نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر. ولد ابن تيمية سنة 661هـ، مؤلفاته كثيرة منها: الفتاوى، واقتضاء الصراط المستقيم، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، والسياسة الشرعية، وغيرها.ومات سجين البغي بقلعة دمشق سنة 728هـ.انظر: مصرع التصوف ، 152/1، وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، الناشر: عباس أحمد الباز – مكة المكرمة، وانظر ترجمته : الوصف المناسب لشرع الحكم، لأحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي، 1/ 59، الناشر: عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

(1) مجموع الفتاوى، ج13 ص493، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة.

الله عليه وسلم خيار من خيار، فقال: "أما ما يدل على نجاة أبوية بخصوصهما دون الدليل العام الخاص بأهل الفترة [1] من الآيات القرآنية:

1- قول الله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [2].

استشهد الشيخ بتفسير الطبرى، وتفسير القرطبى:

فعن ابن عباس رضى الله عنهما – في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في السجدين﴾ – قال: أى في أصلاب الأباء أدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه منيًا [3].

2الأدلة من الأحاديث النبوية:

1. عن واثلة بن الأسقع؛ أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله، اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفي من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بني هاشم". [4]

2. عن عمه العباس. رضى الله عنه. أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم، من خير قرنهم، ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا" [5].

---

(1) البيان لما يشكل الاذهان مائة فتوى لرد أهم شبة الخارج ولم شمل الداخل ص 177.

(2) سورة الشعراء: الآية:219.

(3) تفسير الطبرى، ج7 ص 287، وتفسير القرطبى، ج13 ص 144.

(4) أخرجه الترمذي في سننه،(5/583)، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من حديث وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، رقم 3605، وقال هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

(5) أخرجه أحمد فى مسنده (29/ 58)مسند الشاميين، حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، رقم (17517)، والترمذي في سننه (6/ 7) أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم(3607)، وقال الترمذي: حديث حسن.

وجه الدلالة من هذه الأحاديث من كلام الشيخ:

علق الشيخ على هذا الحديث بقوله: فوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصوله بالطاهرة والطيبة وهما صفتان منافيتان للكفر والشرك[1]، قال تعالى يصف المشركين: (إنما المشركون نجس) [2].

الفرع الثالث: انتصار الشيخ بآراء السابقين بالأدلة والحجج على بطلان ما استدل به المخالفين من أدلة على أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في النار.

ثار المخالفيين لهذه المسألة عدد من ألأحاديث يستدلوا بها على أن أبواي النبي صلى الله عليه وسلم في النار، فردَّ الشيخ عليهم بأراء السابقين بالحجج العقلية ليبطل إدعاءتهم، ومن هذه الأحاديث.

الحديث الأول:

1- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: زار النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: "استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لى، فزوروا القبور تذكركم بالموت" [3].

وجه الدلالة من الحديث:

أن المخالفون أخذوا بظاهر الحديث، ولم يفهموا المعني المراد على حقيقته.

وقد استدل الشيخ بآراء السَّابقين على أن هؤلاء المخالفين أخذوابظاهر النص فمن العلماء الذين استدل بهم الشيخ:

---

(1) البيان لما يشغل الاذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج، ولم شمل الداخل ص178.

(2) سورة التوبة {من الآية: 28}.

(3) أخرجه مسلم فى صحيحه (2/ 671) كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم (976).

1- ابن عبد البر[1]:

نص ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العالم وفضله [2]عن الإمام ابن أبى ليلى رحمه الله أنَّه قال (لايفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع).

وجه الدلالة من هذا الكلام:

وعلى ذلك ما ذُكر من هذا الحديث قياسًا علية فإن حديث عدم نجاة أبوي النَّبىّ من أحاديث الأحاد، مخالف لنص القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ**﴾[4] وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**﴾[5].

شَرَحَ الشيخ علي جمعة هذا الحديث بقوله:

فالرد عليهم أولًا: أن الحديث الأول ليس فيه تصريح بأن أمه صلى الله عليه وسلم في النار، وإنما عدم الإذن في الاستغفار لايدل على أنَّها مُشركة، وإلا ماجاز أن يأذن له ربه عز وجل أن يزور قبرها فلا يجوز زيارة قبور المشركين وبرهم[6].

---

(1) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، أبو عمر النمري القرطبي، الإمام العلامة، صاحب التصانيف السائرة كالتمهيد والاستذكار وغيرها، كان فقيها محدثا، من أئمة المالكية، ت سنة 463هـ. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان 64/6.

(2) جامع بيان العلم وفضلة 2/ 130، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية

(3) سورةالأنعام:{الآية:131}.

(4) سورة الشعراء: {الآية: 208}

(5) سورة الأنعام:{الآية:131}.

(6 البيان لما يشغل الاذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج، ولم شمل الداخل 179.

الحديث الثاني: حديث أنس أن رجلًا قال يارسول الله، أين أبى؟ قال: "في النار" فلما مضى دعاه فقال: "إن أبى وأباك في النار".[1]

وجه الدلالة من هذا الحديث من كلام الشيخ:

"يمكن حمله على أنه كان يقصد عمه، فإن أبا طالب مات بعد بعثته، ولم يعلن إسلامه، والعرب يطلقون الأب على العم، كما في قوله تعالى عن إبراهيم: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة إنى أراك وقومك في ضلال مبين)[2].

وأبو إبراهيم هو تارح، أو تارخ كما ذكر ذلك ابن كثير وغيره المفسرين[3].

عضدد الشيخ كلامة بكلام المفسرين إذا لم يقتنع هذا المخالف بهذا التاريل واستمسك بظاهر النص فقال الشيخ: "أما إذا رفض المخالف ذلك التأويل وأردا الاستمساك بظاهر النص في الحديث الثانى،[4]حيث لم يسعفه ظاهر النص في الحديث الأول[5]، فنقول نزولًا على كلامكم وإذا اعتبرنا أن الحديثين دلا على أن أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم غير ناجيين، فإنَّ ذلك يجعلنا نرد الحديثين لتعارضهما مع الآيات القاطعة الصريحة التى تثبت

---

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه، ج1، ص191، أخرجه مسلم فى صحيحة، (1/191)، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ، من حديث أنس، برقم (203).

(2) سورةالانعام: { الآية:74}.

((3)) فتاوى النساء، فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص51.

((4))حديث الذى أخرجه مسلم من حديث أنس "أن رجلًا قال يارسول الله، أين أبى؟ قال : "فى النار" فلما مضى دعاه فقال: "إن أبى وأبالك فى النار" أخرجه مسلم فى صحيحة، ج1، ص191 .

((5)) روى الإمام مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: زار النبى صلى الله عليه وسلم قبراحه فبكى وابكى من حوله ثم قال: استأنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى، واستأذنته فى الأستغفار لها فلم يأذن لى، فزوو القبور تذكركم بالموت" – اخرجه مسلم فى صحيحه (ج2، ص 671).

عكس ذلك مما مر، وهذا هو مذهب الأئمة والعلماء عبر القرون، [1] وقد نص على هذه القاعدة .

1. الحافظ الخطيب البغدادي[2].

حيث قال:" وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الإسناد رد بأمر: أن يخالف نص الكتاب أو السُّنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ "[3].

2. البخارى، وابن المدينى:

ورد المحدثون كالبخارى والمدينى حديث:خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الأثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) [4].

وقد ردوه لأنه يعارض القرآن كما ذكر ذلك ابن كثير [5]، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ

((1)) البيان لما يشغل الاذهان مائة فتوى لرو أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص179 .

(2) أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي، المعروف بأبي بكر الخطيب، صاحب التاريخ، والتصانيف الكثيرة، إمام أوحد، ثقة، علامة، حافظ متقن، وصاحب التواليف المنتشرة في بلاد الإسلام. من أشهر مصنفاته تاريخ بغداد. ولد سنة (395) . وتوفي سنة (463) ، (انظر: سير أعلام النبلاء 270/18 ، وفيات الأعيان (92/1).

(3) الفقيه والمتفقة، للبغدادى، ص132، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية.

(4) أخرجه مسلم فى صحيحة، ج4، ص 2149، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ،بَابُ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ وَخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ،رقم 2789.

(5)تفسير ابن كثير، ج2، ص230.

﴿رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ﴾[1].

3. الإمام النووي رحمه الله تعالى:

"وكذلك فعل الإمام النووى رضى الله عنه عندما رد ظاهر حديث عائشة رضى الله عنها حيث قالت: "فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر[2].

التعليق[3]:

ورغم أنه متفق عليه لم يتهاون الإمام النووى في رد ظاهره حيث ذكر: "أن ظاهره أن الركعتين في السفر أصلاً لا مقصورة، وأنها صلاة الحضر زائدة، وهذا مخالف لنص القرآن وإجماع المسلمين في تسميتها مقصورة، ومتى خالف خبر الآحاد نص القرآن أو إجماعًا وجب ترك ظاهره"[4].

ورد الشيخ الأحاديث التى ساقها المخالفون على أن أبوي النَّبىّ في النار على عدم فهما لنص الحديث بل يأخذونها على ظاهرها، تحدى الشيخ هؤلاء المخالفين ووضعهم في حيرة من أمرهم، فجعل الأمرإما التأويل وهو الأولى لعدم رد النصوص، وإما رد هذه الأخبار والاحاد لمعاضتها للقطعى الصريح، فقال الشيخ مانصه في ذلك" فليختر المخالف أيًا من المسلكين، إما التأويل وهو الأولى لعدم رد النصوص، وإما هذه الأخبار الآحاد لمعارضتها

---

(1) سورة الأعراف:{ من الآية4}.

(2)أخرجه البخارى فى صحيحه، (79/1)، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابٌ: كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلاَةُ فِي الإِسْرَاءِ؟ رقم 350 ومسلم فى صحيحه، ج1، ص 478 كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا ، بَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا رقم (685) من حديث السيدة عَائِشَةَ أم المؤمنين

(3)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 118.

(4) المجموع، للنووى، ج4، ص 222.

للقطعى الصريح من القرآن الكريم، وهو من كلام الأئمة الأعلام، وعلى أية حال فلعله قد ثبت أن أبوى النَّبىّ صلى الله علية وسلم ناجيان، بل جميع آبائه صلى الله عليه وسلم ، رزقنا الله حبه، ومعرفة قدره صلى الله عليه وسلم [1]

المطلب الثالث: النتائج المترتبة علي هذه المسألة.

مما سبق يتضح أن أدلة الشيخ علي جمعة أقوى وأوضح للعدة أسباب منها:

1. بيان ضعف دلالة ما استدل به المخالف من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، فمن ذلك الحديث الذى رواه مسلم من حديث أنس رضى الله عنه "أن رجلًا قال: يارسول الله أين أبى؟ قال: (في النار) فلما قفا دعاه فقال: (إن أبى وأباك في النار) فأقوال أهل العلم عن ذلك أن هذا الحديث من الأحاد، ولا يقف أمام قرآن الله المتواتر فهو من أخبار الأحاد وأخبار الأحاد متى خالفت القرآن أو المتواتر أو المقطوع به عقلًا أو القواعد الشرعية المتفق عليها أو الإجماع القطعى، فإنها يترك ظاهرها ولا يحتج بها في العقائد، والحديث الصحيح إن عارضته أدلة أخرى هى أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول.

2. هناك حديث أخر يوضح ذلك الأمر وهو حديث الذى رواه أبو داود وغيره "الوائدة والموءودة في النار". فكيف يكون ذلك مع هذه الآية الكريمة (وإذا المؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)[2]، فتجدأن ظاهر الحديث يخالف القرآن الكريم ويخالف هذا النَّص، لذلك لا يأتى مخالف ويدعى أن هؤلاء في النَّار بنص الحديث.

3. حديث أنس رضى الله عنه أن رجلًا قال: يارسول الله أين أبى ؟ قال: (في النار) فلما مضى دعاه فقال: "إن أبى وأباك في النار". [3]

(1) فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص 52.

(2) التكوير: الآية 8-9.

(3) أخرجه مسلم فى صحيحة، (191/1)، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ،

علق الشيخ على هذا الحديث أن الأب يطلق على العم في لغة العرب؟ ألم يقل الله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

فهل سيدنا إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أباء يعقوب؟ ماذا يصنع المخالف الآن وهو أمام آيه صريحة واضحة قاطعة وليس حديث نبويًا فإذا قلتم في ذلك المقصود عمه أو خاله أو جده أو كذا وكذا، فإذًا هنا لماذا قبلتم بالكناية في آية قرأنية ولم تقبلوا الكناية في حديث، وتبين أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك للأعرابى إلا من باب الكناية والتورية وأن مراده بذلك أنه الذى مات بعد بعثته الشريفه صلى الله عليه وسلم ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول حينما كان يجهر بالدعوة فكان يقول (أنا النَّبىّ لاكذب أن ابن عبد المطلب)[2] إذا والد النَّبىّ هو عبد المطلب وليس عبد الله على حد زعم المخالف في الأخذ بالقول الصريح الصحيح من كلام رسول الله.

4. من الآدلة التي وجدت في قول المخالف، وقول الشيخ علي جمعة ما يؤكد انتصار الشيخ على المخالف ما قاله بعض العلماء ومن هؤلاء:

وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ، من حديث أنس، برقم (203).

(1) سورة البقرة: {الآية:133}.

(2)أخرجه البخاري (4 / 31)، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ قَادَ دَابَّةَ غَيْرِهِ فِي الحَرْبِ، رقم 2864.

الإمام فخر الدين الرازى[1] حيث قال في تفسيره:

"مما يدل على أن آباء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[2].

فوجب الإيمان أن لايكون أحد أجداده مشركًا، قال: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[3].

2. الحافظ القرطبى[4]:

ويقول الحافظ القرطبى في كتابه: "إن فضل النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزال تتوالى وتتابع إلى حين مماته صلى الله عليه وسلم فيكون هذا مما فضله الله تعالى واكرمه،

---

(1) هو: أبو عبد الله، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي، ويعرف بابن الخطيب، وبابن خطيب الري، ولد سنة (544هـ) وتوفي سنة (606هـ) ، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال. قال فيه صاحب وفيات الأعيان: إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلم الأوائل وله تصانيف كثيرة ومفيدة في فنون عدة، منها:، كتابه في المعقولات (كفاية العقول) وكتاب (البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان) . ومما يقال: إنه يحفظ (الشامل) لإمام الحرمين في علم الكلام، هذا، وذكر صاحب وفيات الأعيان أن له في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والعجمي، إلى أن قال: ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة.، انظر ترجمته في وفيات الأعيان (3/381-385).

(2) سورةالتوبة: {من الاية رقم: 28}.

(3)الدرج المنيفة فى الأباء الشريفة 92.

(4) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي، المالكي -أبو عبد الله- القرطبي، صاحب كتاب ((الجامع لأحكام القرآن)) في التفسير، والذي يحكي مذاهب السلف كما ذكره ابن العماد، وصاحب كتاب ((التذكرة في أمور الآخرة)) ، مات سنة 671هـ. انظر ترجمته في: ((الأعلام)) (5/ 322).

وليس إحياؤهما وإيمانهما به بممتنع عقلًا، ولا شرعًا)[1].

5. انتصارًا للشيخ علي جمعة للسابقين، هناك من العلماء الكثُر من ألفوا هذه المسأله فيها أن أبوي رسول الله ، في الجنة وليسوا في النار ومن هؤلاء الأعلام:

1. الإمام السيوطى الشافعى (ت 911) ألف ست رسائل طبعت بالهند سنه 1334هـ في هذا الباب وهى :

1. (مسالك الحنفاء في والده المصطفي)
2. (الدرج المنيفة في الأباء الشريفة)
3. (المقامة السندسية في السنة المصطفوية)
4. (التعظيم والمنة في أن أبوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة)
5. (نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين)
6. (السبل الجلية في الأباء العلية)

الإمام مرتضى الزبيدى (ت 1205) له (الانتصار لوالدى النَّبىّ المختار).

الامام ابن الجزار المصرى (كان حيا سنة 984) له (تحقيق امال الداجين في أن والدى المصطفي بفضل الله في الدارين من الناجين) - بدار الكتب المصرية - ثلاث نسخ برقم 489، 528، 530.

عبد القادر بن محمد الطبرى المكى (ت 133) له (رسالة في أبوى النَّبىّ)

محمد بن يوسف بن يعقوب الإسرى الحلى (ت 1194) له (رسالة في نجاة الوالدين المكرمين لسيد البشر)

أحمد فايز بن محمود البرزنجى الحسينى المدنى (ت 1103) له (السيف المسلول في القطع

(1)التذكره فى أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص 14.

بنجاة أصول الرسول) وغير ذلك من هذه الكتب والرسائل التى تدل على نجاة أبواي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير من المؤلفات فالعلماءالسابقين والحاليين قد اتبعوا هذه المسألة بالتفصيل.

6. وعليه فإن الشيخ علي جمعة بأدلته القوية وحجته الكبيرة الدامغة قد انتصر بأن مصير أبوي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم في الجنة ويؤيد ذلك للشيخ علي جمعة في القول بنجاة والدى المصطفي صلى الله عليه وسلم ما هو عليه جماهير علماء الأمة السابقين

7. دار الإفتاء المصرية تؤكد أن أبواي النبي صلى الله عليه وسلم ناجيان وأنهما من أهل الجنة، وهذه الفتوى لفضيلة مفتى الديار المصرية الشيخ بخيت المطيعى[1]حينما سُئل حول مصير أبوي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم فكان السؤال المقيد برقم 2179 لسنة 2004م والمتضمن:أن السائل يطلب القول الفصل في حكم أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم هل هما ناجيان من النار؟ رفعًا لخلاف وقع بين خطيب الجمعة بأحد المساجد حول هذه المسألة مما أثار الجدل بين رواد هذا المسجد[2].

الجواب مختصرًا ومن أراد المذيد فعلية أن يراجع الفتوى المقيدة برقم 2179 لسنة 2004م ملخص الفتوى كما جاء في سلسلة عقيدة أهل السنة والجماعة التوحيد الخالص

---

(1) هو الشيخ محمد بخيت بن حسن المطيعى الحنفى، المولد سنة 1271هـ، 1854 م الصعيدى ثم القاهرى الفقيه المفسر الأصولى المنطقى الفيلسوف المحقق المدقق ولد فى القطعية من أعمال أسيوط بصعيد مصر وعائلته على المذهب المالكى وهو أول من تجنف منهم توظيف وظائف القضاء ثم عضوًا فى المحكمة الشرعية ثم عين بمنصب مفتى الديار المصرية وتوفى سنة 1354هـ - 1935م ، انظر الأعلام للزركلي (50/6).

(2) سلسلة عقيدة أهل السنة والجماعة التوحيد الخالص (5) الكلام على أبوى النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ إبراهيم عبد السلام من علماء الأزهر الشريف إشراف د./ وحيد عبد الجواد بدار الكتب ص7.

(5) الكلام على أبوى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم[1]

ملخص الفتوى أن والدي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ناجيان وليس من أهل النار، صرح بذلك جمع من العلماء وصنفوا المصنفات في بيان ذلك وسلكوا في إثباته والاستدلال عليه مسالك قوية مؤيدة بالدليل والبرهان، منها أنهما من أهل الفترة، ومنها : أنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كان على الحنيفية ومنها : أن الله تعالى أحياهما له صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به، واحتجوا لذلك بأحاديث ضعيفة، ولكنها ترقى إلى الحسن بمجموع طرقها وما ورد في السنة بخلاف ذلك فلم يتفق الرواة على لفظة وليس في الرواية الأثبت ما يفهم منه عدم نجاة الوالدين الكريمين، ولوثبت بلفظة لوجب أن يفهم فهمًا صحيحًا لايتعارض مع النصوص الدالة على نجاتهما، وقد أجاب بعض العلماء بأن هذه الأحاديث وغيرها منسوخة بحديث الإحياء المتأخر فلا يصح الاحتجاج بها.

ومما ذكر يؤكد أن هؤلاء المخالفين أثاروا مشاعر عموم المسلمين ،وهم يقرون بأن مصير والدي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم في النار، وكيف ذلك؟ وأين محبتنا لرسول الله حتى لا نؤذية ونختم بقول الشاعر انتصارًا لأبوي النَّبىّ صلى الله عليه وسلم بأنهما في الجنة

حفظ الإله كرامة لمحمد أباءه الأمجاد صولًا لاسمه

تركوا السفاح فلم يصيبهم عاره من آدم وإلى أبيه وأمه[2]

(1)سلسلة عقيدة أهل السنة والجماعة التوحيد الخالص ص5، 6 .

(2) الحاوي للفتاوي، (113/2)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، كِتَابُ الْبَعْثِ،باب [مَسَالِكُ الْحُنَفَا فِي وَالِدَيِ الْمُصْطَفَى] الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: 1424 هـ - 2004 م

الفصل الثالث

انتصارات الشيخ علي جمعة في الرد على المخالفين

المبحث الأول
انتصارات الشيخ علي جمعة في الرد على المخالفين بالأدلة النقلية.

توطئة:

المطَلِع على ما انتصر به الشيخ علي جمعة في مسائل التصوف يلحظ أن له منهجًا واضحًا في رده على المخالفين؛ ويتمثل ذلك في عدة محاور:

أولًا: الاعتماد على بيان ضعف ما استدل به المخالفون من الأحاديث النبوية والأثار عن الصحابة والتابعين.

ثانيًا: بيان خطأ المخالف بسوء فهمه للنُّصوص الشَّرعية وإهماله للقواعد المرعية في الاستنباط من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ثالثًا: بيان المعنى الصحيح لما استدل به المخالفون من أقوال العلماء السَّابقين، وتصويب فهمهم لهذه الأقوال.

المسألة الأولى

(جواز التبرك بآثار النبيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين)[1]

المسألة الثانية: (العهد عند الصوفية وأدلته من القرآن والسنة والآثار).

وفي هذا المبحث عدة مسائل، وهذه المسائل من مسائل التصوف تكلم الشيخ فيها وأصَّل لها بالآدلة القرآنية ومن السنة النبوية وبفعل السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

المطلب الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ.

وفيها فرعان:

الفرع الأول: كلام الشيخ حول هذه المسألة في كتبه.

أولًا: تعرض الشيخ لهذه المسألة في كتبه ومنها: كتاب المتشدون... منهجمهم ومناقشة أهم قضاياهم[2]، وهذه المسألة من مسائل التي تكلم فيها الفقهاء، وتعد من مسائل الفقه، غير أن هذه المسألة عُدت عند الكثر أنها من مسائل التصوف، والرأي عندهم جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، والصالحين.

ثانيًا: المخالفون: يرفضون هذه المسألة ويصفون من يتبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، والصالحين بالشرك، رأى الشيخ الانتصار بغير هذا، أي رفض كلام المخالفين وانتصر الشيخ

---

(1) هذه المسألة تكلم فيها الكثير من أهل العلم في كتبهم ومن هذه الكتب: التبرك بالصالحين بين المُجيزينَ والما نعينَ،(دراسة مقارنة) تأليف، عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي، تقديم فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى الخن، وفضيلة الشيخ الدكتور مُصطفى البُغا، وفضيلة الشيخ الدكتور حسن الأهدل، وفضيلة الدكتور محمد الحسن البُغا، دار الرسالة، دمشق سوريا،الطبعة الأولى 1431هـ، 2010م.

(2)كتاب المنشدون منهجمهم ومناقشة أهم قضاياهم (ص 88) بعنوان [اعتبار التبرك بآثار النبي صل الله عليه وسلم والصالحين شركاً]،وذكرها في عدة كتب منها: البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 231 بعنوان [كتاب التبرك بالنبي صل الله عليه وسلم والصالحين]، كتاب فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص 119 بعنوان التبرك بالنبي صل الله عليه وسلم والصالحَين].

عليهم من الكتاب والسنة النبوية والآثار.

ثالثًا: العبارات الدالة على انتصار الشيخ في هذه المسألة قول الشيخ:

1- «من قضايا المتشددين التي فرقوا بها الأمة وخرجوا عليها عدَّهم للتبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين من الشرك، وما يترتب على عدم انتساب هؤلاء للإسلام من شق لجماعة المسلمين وفتن الله أعلم بها [(1)]».

2- «وقد ثبت التبرك من صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة، ولم ينكر عليهم بل ورد عنه صلى الله عليه وسلم إجابته بالتبريك لهم وعليهم»[(2)].

ولقد تعرض الشيخ في كلامه حول هذه المسألة بالتحليل والدراسة المستفيضة وبيان حقيقة هذه المسألة وجواز التبرك بالنَّبِيّ وآثار صلى الله عليه وسلم والصالحين فانتصر الشيخ في هذه المسألة من الدليل القرآني، والسنة النبوية الشريفة، وبأقوال بعض أهل العلم من المتصوفة حولها.

الفرع الثاني: تعريف التبرك في اللغة والاصطلاح.

عرف الشيخ التبرك في كتبه[(3)] فقال : هو طلب البركة، والبركة هي النماء والزيادة، وتبركت به تيمنت به.

قال ابن منظور: البركة النماء والزيادة والتبرك الدعاءللإنسان أو غيره بالبركة، يقال: بركت عليه تبريكاً، أي قلت له بارك الله عليك، وبارك الله الشيء وبارك فيه، وعليه وضع فيه البركة، وطعام بريك، كأنه مبارك [(4)]".

---

(1)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 90

(2)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 324.

(3)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 321.

(4) انظر: ابن منظور في "لسان العرب"(395/10).

وفي مختار الصحاح: البركة النماء والزيادة والتبريك:الدعاء بالبركة، ويقال: بارك الله لك وفيك وعليك، ومنه قوله تعالى: (أن بورك من في النار)، وتبارك الله، أي: بارك، مثل قاتل وتقاتل، إلا أن فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى. وتبرك به: تيمن به)[1].

الخلاصة: أن معنى البركة في : هو النماء والزيادة والكثرة والثبوت، ومعنى التبرك: هو التيمن وطلب البركة.

المطلب الثاني: انتصار الشيخ علي جمعة لهذه المسألة من القرآن الكريم.

وفيه فرعان:

الفرع الأول:

الأدلة التي أصَّل بها الشيخ هذه المسألةمن القرآن الكريم.

استدل الشيخ على جمعة بالعديد من الآيات الدالة على جواز هذه المسألة، فمن ذلك:

1. قوله تعالى ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ** ﴾[2].

2. قوله تعالى ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾[3]

3. قوله تعالى ﴿**سبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَاإِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[4]

---

(1)انظر مختار الصحاح 20/01)، مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

(2) سورة الدخان: {الآية: 3}.

(3)سورة الأعراف: {الآية: 137 }.

(4) سورة الإسراء: { الآية: 1 }.

4. قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾(1)

5. قوله تعالى ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾(2)

6. قوله تعالى ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾(3)

7. قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(4).

8- قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(5).

9. قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾(6).

10. قوله تعالى ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(7).

وجه الدلالة من هذه الآيات:

هو جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين، وانتصر الشيخ لهذه المسألة على من عارضه فيها في كتاباته، ولعل من أهم الاعتبارات اللغوية الدالة على ذلك لهو مجيء العنوان بالسياق التالي (اعتبار التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين شركًا) (8)،

---

(1) سورة ال عمران: { الآية: 96}.

(2) سورة هود: { الآية: 73}.

(3) سورة هود: {الآية: 48}.

(4) سورة مريم: {الآية: 31}.

(5)سورة الأعراف: {الآية 96}.

(6) سورة الأنبياء: ألآية:{ 51}.

(7) سورة النور: {الآية: 91}.

(8)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم (ص: 91).

وحينما يجئ العنوان بهذه الصيغة يدل على أن كلام الشيخ في المسألة جاء رداً وانتصاراً على المتشددين الذين يرون بعدم التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين واعتباره شركًا ولعل من أهم ما تدركه من كلام الشيخ أنه بدأ المسألة بالاعتراض والإنكار على أولئك المتشددين فقال في بداية كلامه: "من قضايا المتشددين التي فرقوا بها الأمة وخرجوا عليها عدَّهم للتبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين من الشرك وما ترتب على عدم انتساب هؤلاء للإسلام من شق لجماعة المسلمين وفتن الله أعلم بها"[1].

ومن الدلالات اللفظية والعبارات التي أوردها الشيخ في كلامه حول هذه المسألة واستشهاده ببعض الآيات القرآنية لكافية على رد المتشددين حيث قال: «المسلم يعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر البركة، وهو الذي يبارك الأشياء، ولا بركه ذاتية للمخلوقات؛ إنما البركة من الله لمن شاء أن يباركه، والله سبحانه بحكمته يختار من الأزمان ما يباركها، ومن الأماكن ما يباركها، ومن الأشخاص من يباركهم، وهؤلاء الأشخاص يصطحبون بركتهم أينما ذهبوا، ويبارك المؤمنين المتبعين لمنهج الله عز وجل ، ويبارك سبحانه الأقوال، ويستحب للمؤمن أن يلتمس بركة هذه الجهات التي ثبتت بركتها من عند الله سبحانه وتعالى، فيستحب للمؤمن التبرك بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وآثاره، وقد ثبت التبرك من صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة، ولم ينكر عليهم بل ورد عنه صلى الله عليه وسلم إجابته بالتبريك لهم وعليهم»[2].

(1)المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، ط و 5 د. المقطم للنشر والتوزيع ص88 .

(2) بتصرف من كلام الشيخ في: البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 321.

الفرع الثاني

موافقة الشيخ أقوال المفسرين حول هذه المسألة

من الآيات القرآنية التي انتصر بها الشيخ لهذه المسألة، وأوردها، وفسَّرها تجد أن هذه التفسيرات تُؤيده الآراء التفسَّيرية في بعض مصادر التفسير لبعض المفسرين السَّابقين والمحْدَثِين لتؤكد على جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين.

1.ومن هؤلاء المفسِّرين، الإمام القشيري:

حيث فسَّر قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾(1).

قال: (ليلة مباركة) لأنها ليلة افتتاح الوصلة . وأشد الليالي بركة ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه يتنعم فيها بأنوار الوصلة ويجد فيها نسيم القربة(2).

الإمام القشيري رحمه الله والشيخ علي جمعة أنه من خلال المطالعة لكلام الإمام القشيري تجد أن الشيخ قد وافقه في كلامه وسار على منوا له وحذا حذوه وحيث أن الإمام القشيري يرى أن البركة في هذه الليلة هي بركة الزمن لأنه استشهد بأن أحوال الناس مختلفة في هذه الليلة، تعمهم بأنوار الوصلة الربانية، والشيخ قد وافقه في تقديمه للآية قبل أن يستشهد بها فقال " والمسلم يعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر البركة، وهو الذي يبارك الأشياء ولا بركة ذاتية للمخلوقات، إنما البركة من الله لمن شاء أن يباركه، والله سبحانه بحكمته يختار من الأزمان ما يباركها (3) قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾(4).

2.تفسير الإمام التستري رحمه الله تعالى:

---

1) سورة الدخان: {الآية:3}.

(2)كتاب لطائف الإشارات للقشيري، ط3، 3/ 379

(3) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 323.

(4) سورة الدخان:{ الآية: 3}.

قوله تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾(1)

قال: أنز الله ليلة القدر القرآن جملة إلى بيت العزة في سماء الدنيا من اللوح المحفوظ على أيدي الملائكة السَّفرة، وأنزل على روح محمد صلى الله عليه وسلم وهو الروح المبارك، فسَّماها ليلة القدر مباركة الاتصال البركات بعضها ببعض.(2)

ومن كلام الإمام التستري في معرض كلامه في الآية الكريمة تجد أنه يتحدث عن بركات متعددة يتصل بعضها ببعض وتتلاحم هذه البركات في زمن معين حول هذه الليلة وذلك لكثرة الخير فيها ولعل ذلك أيضاً هو نفس كلام الشيخ أو قريباً منه عندما تكلم عن بركة الزمن في هذه الليلة ولكن الشيخ أوجز الكثير من المعاني والألفاظ الدقيقة من عبارات المفسَّرين في عبارته التي علق بها على الآية الكريمة.

ومن الآيات التي انتصر واستشهد بها الشيخ علي المخالفين بالأدلة النقلية لهذه المسألة قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَاإِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(3)

الشيخ علي جمعة فسَّر هذه الآية بما وافق رأيه رأى المفسَّرين ومن هؤلاء المفسَّرين.

1.تفسَّير صاحب الجلالين:

فقال عن البركة: (الذي باركنا حوله) بالثمار والأنهار.(4) صاحب تفسَّير الجلالين قد أورد

---

(1) سورة الدخان:{ الآية: 3}.

(2) تفسير التستري لأبي محمد سعد ابن عبد الله بن يونس بن رفيع التسترى المتوفى سنة [283 هـ]، ت – محمد باسل عيون السود – الناشر دار الكتب العلمية – بيروت د. الأولى – 1423 هـ. ج1 ص 141

(3) سورة الإسراء: {الآية: 1}.

(4)تفسير الجلالين للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتونى : 864 هـ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى المتوفى / 911هـ، دار الحديث، ط. الأولى. ج1، ص 364

في تفسيره أن البركة تكون بكثرة الثمار والأنهار وهذا حول مكان المسجد الأقصى الذي بارك الله عز وجل هذا المكان وبارك حوله ببركة المكان وهذا من كلام، الشيخ علي جمعة، وانتصاره لهذه الآية حيث يقول: (ويختار سبحانه من الأماكن ما يباركها.[1]

ومن الأدلة النقلية التي أوردها الشيخ وانتصر بها علي المخالفين لهذه المسألة {التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين} من القرآن الكريم قول الله عز وجل:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[2]

الشيخ علي جمعة فسَّر هذه الآية وسار على نهج المفسِّرين السابقين، ومن هؤلاء:

1. تفسير صاحب الجلالين فقال عن البركة:

﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بكثرة في الأنهار والأشجار وهى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم[3].

ومن الإشارات الموجودة في كلام صاحب الجلالين أنه أراد بالبركة الأماكن التي باركها ربنا تبارك وتعالى ولذلك ذكر أرض الشام كما أنه قصد بالبركة كثرة إنزال الخير من الله عز وجل لعباده، وذكر أن من البركة كثرة الأنهار والأشجار، والشيخ علي جمعة علق على الآية مجملاً فقال " ويختار سبحانه من الأماكن ما يباركها "[4].

ومن الأدلة النقلية الدالة على انتصار الشيخ من القرآن الكريم علي هؤلاء المخالفين لهذه المسألة (جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين) قوله تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ**

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، ص90

(2) سورة الأنبياء: {الآية: 71}.

(3) تفسير الجلالين : دار الحديث، القاهرة ط. الأولى . ح1، ص 427.

(4) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 323.

وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

من المفسَّرين الذين وافق الشيخ تفسيراتهم حول هذه الآية:

1. تفسير ابن عباس حيث فسَّرها بقوله:

[ببكة مباركا] يعنى موضع الكعبة فيه المغفرة والرحمة (وهدى للعالمين) قبله لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن[2].

وقد وضح ابن عباس أن البَكَّة متمثلة في موضع الكعبة لأنها مواضع تتنزل فيها المغفرة والسكنات والبركات والرحمات تنزل من الله عز وجل على هذا الموضع الذي هو مكة وهو قبلة لكل نبي ورسول وصديق وشهيد وصادق ومؤمن ويبارك ربنا سبحانه المكان، وفى هذا دلالة واضحة على أن الشيخ استقي من معين هؤلاء وتابعهم وسار على منوال هؤلاء الصالحين الفاتحين لهم عن رب العالمين حيث قال شيخنا " ويختار سبحانه عن الأماكن ما يباركها.[3]

ومن الأدلة القرآنية التي انتصر بها الشيخ علي المخالفين والمتشددين لهذه لمسألة، التبرك بآثار النَّبيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين، قوله تعالى: **﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾**[4].

فَسَّرَ الشيخ علي جمعة هذه المسالة ووافقه كثير من المفسَّرين ومن هؤلاء:

---

(1) سورة آل عمران: {الآية: 96}

(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان، ج1، ص 52.

(3) المتشددون: منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، ص 90

(4) سورة مريم: الآية: 21}.

تفسير صاحب الجلالين حيث قال عن البركة:

(وجعلني مباركا أينما كنت) أي نافعاً للناس[1].

وتجد أن البركة هنا النفع والخير للناس أينما كانوا فيفعلون الخير حيث كانوا وأينما ذهبوا وهو ما قاله شيخنا فى كلامه وأكد عليه.

(1)تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى ج1، ص 399

المطلب الثالث
انتصار الشيخ علي جمعة لهذه المسألة

{جواز التبرك بآثار النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم والصالحين}

علي المخالفين من السنة النبوية المطهرة.

وفيها أربعة فروع:

توطئة.

الشيخ علي جمعة أتى بالأدلة القاطعة الدامغة علي جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين في حياتهم وبعد مماتهم، وما ترك لهؤلاء المخالفين مجالًا حول هذه المسألة التي تكلموا فيها، وخالفوا فيها المسلمين بل وفرقوا بها الأمة وخرجوا عليها وعدَّ هؤلاء المخالفين من يتبركون بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين من الشرك مما ترتب على ذلك من شق لجماعة المسلمين وكثرة الفتن فكان من الأدلة النبوية عدة أحاديث تدل على جواز التبرك وذكر الشيخ بعضًا منها علي أن الصحابة كانوا يتبركون بحضرته الشريفة، ولم ينههم عن ذلك، وأورد الشيخ أيضًا عدة أحاديث تدل على جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين.

الفرع الأول:

جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم في حياته من السنة النبوية المطهرة.

أورد الشيخ علي جمعة كثيرًا من الأحاديث التي تدل على جواز التبرك بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وآثاره في حياته، وهذه المسألة ليس فيها خلاف أصلًا وأنما سِيقت لنبني عليها، ونوضح أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون به في حضرته الشريفة ولم ينكر عليهم ذلك.

1- عن عروة عن المسور وغيره يُصدق كل واحد منهما صاحبه: " وإذا توضأ النَّبِيّ صلى

الله عليه وسلم كادوا يقتتلون على وضوئه "(1).

وجه الدلالة على هذا الحديث:

والظاهر من هذا الحديث أنهم كادوا يقتتلون على وضوئه وليس هذا هو المعنى الحرفي المراد، وإنما مفهوم الدلالة من هذا الحديث أنهم كانو يريددون هذا الأثر الذي مسه رسول الله ليتبركوا به.

2- وعن أسماء: " أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: فخرجت وأنا متمّ(2)، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام "(3).

وجه الدلالة على هذا الحديث:

دلالة المفهوم من سياق السيدة أسماء أن حياة عبد الله بن الزبير بوركت من أول لحظة إمتزج ريقه بريق النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على أن أي آثر مادي من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يتبركون به.

3- وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه كان: " يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 49) كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، رقم 189.

(2) في معجم المعاني الجامع {مُتَمّ} :اسم(المُتَمُّ : مُنقطَع عِرق السُّرَّة، أتمَّ : أكمَل، تَمَّتِ الحاملُ : دنا وقتُ ولادتها.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه 62/5 كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ حديث رقم 3909 ومسلم في صحيحه 1691/3 كتاب الْآدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْنِيكِ الْمَوْلُودِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى صَالِحٍ يُحَنِّكُهُ، وَجَوَازِ تَسْمِيَتِهِ يَوْمَ وِلَادَتِهِ، وَاسْتِحْبَابِ التَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ اللهِ وَإِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمِ السَّلَامُ حديث رقم 2146.

ويحنكهم "[1].

وجه الدلالة على هذا الحديث:

ودلالة المفهوم من هذا النص أن الصحابة رضوان الله عليهم. كانو يلتمسون البركة والنماء بصبيانهم بأعظم آثر في الدنيا وهو آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4. وكانت أسماء بنت أبي بكر تقول للحجاج: " إن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، احتجم فدفع دمه إلى ابني. تقصد عبد الله بن الزبير. فشربه فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره فقال: ما صنعت؟ قال: كرهت أن أصب دمك، فقال النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : لا تمسك النار ومسح على رأسه، وقال: ويل للناس منك وويل لك من الناس "[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

ودلالة المفهوم من هذا المعنى أن عبد الله بن الزبير التمس البركة حتى فيما يعف عنه الناس ويمدونه تبركًا بالدماء الزكية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليكون ذلك سببًا في حفظة طيلة حياته وتبركًا به صلى الله عليه وسلم.

الفرع الثاني:

جواز التبرك بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وآثاره بعد انتقاله الشريف إلى ربه تعالى.

المخالفين فرقوا بين التبرك بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وآثاره في حياته وبعد انتقاله، فقالوا بالتبرك في حياته، وأنكروه بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم ، غير أن الشيخ علي جمعة ردَّ عليهم بالأدلة النقلية من السنة النبوية فسَّاق سيلًا من الأحاديث تدل على أن الصحابة

(1) أخرجه مسلم في صحيحه صحيح مسلم (3/ 1691)، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، رقم 2147، من حديث السيدة عَنْ عَائِشَةَ.

(2) أخرجه الدار قطني في سننه1/425 كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ بَيَانِ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجُوزُ فِيهِ الصَّلَاةِ وَمَا يَجُوزُ فِيهِ مِنَ الثِّيَابِ برقم 882.

تبركوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الشريف ومن هذه الأحاديث:

1. "حينما حضر عمر بن عبد العزيز الوفاة، دعا بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظفار من أظفاره وقال: إذا مت فخذوا الشعر والأظفار ثم اجعلوا في كفني "[1]

وجه الدلالة من هذا الحديث:

دلالة المفهوم من سياق كلام سيدنا عمر بن عبد العزيز أنه أراد ان تكون هذه الشعيرات بركة له في قبره حتى بعد الممات، فهو يعلم يقينًا أن هذه الشعيرات ستكون على جسده رحمة ونورًا في قبره.

2. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: " أنها أخرجت إليَّ جُبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضي يستشفي بها "[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

مفهوم الدلالة من هذا الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يلتمسون الشفاء والبركة في هذه الملابس التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيداون بها مرضاهم.

3. عن سهل بن سعد قال: "جاء امرأة إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها

(1) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة،(250/1)، لحياة بن محمد بن جبريل، الباب الأول: الآثار الواردة عن عمر في التوحيد المبحث الخامس: الآثار عن عمر بن عبد العزيز في التبرك الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1423هـ/2002م.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه 1641/3 كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع.

حاشيتها . فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه فأخذها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال: نعم. فلما قام النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها"[1] وهو لا يعلم إذا كان موته قبل انتقاله النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أو بعده، ولم ينكر الكرام.

وجه الدلالة من هذا الحديث:

ومن دلالة مفهوم هذا السياق أن الصحابي فهم قيمة هذا الآثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن تكون هذه الشملة كفنه ليغمره النور في قبره وتتنزل عليه الرحمات لأنه تعلق بآثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك هو فهمه لمعنيى التبرك بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

4. وكان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها ويقول: يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول نحن إذا فاتنا ذلك: حجر معظم بمنزله يمين الله في الأرض مسته شفتاه صلى الله عليه وسلم لاثما له، فإذا فاتك الحج، وتلقيت الوفد، فالتزم الحاج، وقبل فمه، وقل: فم مس بالتقبيل حجرا قبله خليلي صلى الله عليه وسلم .[2]

وجه الدلالة من هذا الحديث:

ومن مفهوم هذا الحديث أن التابعين تعدى لديهم مفهوم التبرك بالآثر على التبرك بأثر الآثر

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ،(14/8)، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ، رقم 6036.

(2) سير أعلام النبلاء 43/4، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م

في سيدنا أنس هي آثر عظيم يتبرك به، لأنها مست الأثر الأعظم وهو يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحجر آثر عظيم والأعظم من ذلك أنه قد مسه فم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفرع الثالث: جواز التبرك بآثار الصالحين.

أورد الشيخ عدة أحاديث تدل على جواز التبرك بآثار الصالحين، وأن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم تبرك بآثار المسلمين، مما يدل على جواز ذلك، غير أن البعض من أهل العلم أختلفوا في جواز التبرك بآثار الصالحين على قولين:

القول الأول: وهو قول المتصوفة، وهوما عليه جمهور العلماء من الفقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم على جواز ذلك.

القول الثاني: أن ذلك ممنوع ، وهو ما عليه طائفة، ومنهم الإمام ابن تيمية، وأصحاب الدعوة النجدية[1].

أورد الشيخ في انتصاره لهذه المسألة من السنة النبوية سيلًا من الأحاديث ومنها:

1- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: " قيل: يا رسول الله، الوضوء من جَرَّ مُخمَّر أحب إليك أم من المطاهر ؟ قال: "لا بل من المطاهر إن دين الله الحنيفة السمحة"، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبعث إلي المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه أو قال: فيشرب يرجو بركة أيدي المسلمين".

وجه الدلالة من هذا الحديث:

ومن دلالة المفهوم أن العلة في ذلك هي إيمان النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وتقواه وصلاحه وقربه من ربه، وهذه العلة موجودة في غيره من أولياء الله الصالحين، والنَّبِيّ صلى الله عليه

(1) بتصرف، التبرك بالصالحين، بين المُجزين والمانعين "دراسة مقارنة" ص 55.

وسلم ، الذي تُلتمس منه البركات والخيرات علمنا أن نلتمس البركة حتى من هو أدنى درجة ، فكان يلتمس الأعلى بركة وهو صلى الله عليه وسلم ، والأدنى وهي أيادى المسلمين.

2- أدلة جواز التبرك بآثار الصالحين، هي نفس أحاديث التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الأصل عدم اختصاص تلك البركة بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وإن كانت مقامها من النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أعلى، وهذا ما فمهه كبار شراح السنة النبوية المطهرة كالنووي، وابن حجر رحمهما الله، وغيرهما.

3- حديث بئر الناقة: عن عبد الله بن عمر . رضي الله عنه . أخبره أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرض ثمود الحجر، فاستقوا من بئرها واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة.[1]

قال القرطبي في تفسيره:

أمره صلى الله عليه وسلم ، أن يستقوا من بئر الناقة دليل على التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وإن تقادمت أعصارهم وخيفت آثارهم.[2]

دليل المخالفين والمانعين للتبرك بالصالحين عدة أمور وهي:

1- أن ذلك من خصائص النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم .

2- أن في ذلك ذريعة لعبادة الصالحين.

3- أن الصحابة رضوان الله عليهم والسلف لم يفعلوا ذلك.

ردَّ الشيخ علي جمعة بالآتي:

---

(1) أخرجه البخاري 4/149كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف: 73]،برقم 3379.

(2) تفسير القرطبي 10 /42.

1- عن الخصوصية بأن ادعاء الخصوصية يحتاج إلى دليل؛ إذ الأصل هو العموم والتأسي.وهذا قول الشيخ « الأصل عدم اختصاص تلك البركة بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، وإن كانت مقامها من النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، أعلى »[1]

2- أجابوا عن كون ذلك ذريعة للعبادة، بأن ذلك موجود أيضًا في التبرك بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وآثاره، فعليهم أن يقولوا بعدم الجواز، وقد ثبت أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، تبرك بأثار أيدي المسلمين،« وفيه جواز تبرك الفاضل بالمفضول »[2].

3- أجابوا عن عدم ورود ذلك عن الصحابة والسلف فساقوا لهم سيلاً من الأدلة علي ذلك وممن ساقه الشيخ علي جمعة يأتي في الفرع التالي.

الفرع الرابع: انتصار الشيخ علي جمعة بالتبرك بآثار الصالحين واستشهاده بآراء السلف.

ساق الشيخ علي جمعة سيلًا من أقوال السلف حول هذه المسألة، جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم والصالحين ليدحض أقوال المخالفين المانعين لهذه المسألة فمن هؤلاء العلماء الذين استشهد بهم الشيخ:

1- **الإمام النووي رحمه الله** - عقب حديث الاستشفاء بَجُبَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم -: " وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم "[3].

2. قال ابن حجر. عقب حديث صلاته صلى الله عليه وسلم لعتبان بن مالك في بيته ليتخذ هذا الموضع مصلى له .: وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أو وطئها، ويستفاد منه أن من دعي من الصاحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة "[4]

---

(1)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص327.

(2) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم 92.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 44/14.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم 4/ 219.

3. قال الحافظ بن حجر رحمه الله في حديث اللديغ: "وفي الحديث التبرك بالرجل الصالح وسائر أعضائه وخصوصا اليد اليمني "[1].

قال الحافظ عقب حديث الرجل الذي طلب البردة من النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، ولامه أصحابه على ذلك: " وفيه جواز استحسان الإنسان ما يراه على غيره من الملابس وغيرها إما ليعرفه قدرها ليعرض له بطلبه منه حيث يسوغ له ذلك، وفيه مشروعية الإنكار عند مخالفة الأدب ظاهرا وإن لم يبلغ المنكر درجة التحريم، وفيه التبرك بآثار الصالحين "[2].

وجه الدلالة من هذه الأقوال:

الآثار التي وردت عن الصحابة تدلل دلالة واضحة من مفهومها على جواز التبرك بالصالحين، وإبطال أقوال المخالفين الذين فرقوا الأمة وجعلوها شذر مذر .

(1) فتح الباري 198/10.

(2) فتح الباري 144/3.

المطلب الرابع
خلاصة هذه المسألة

1. انتهى الأمر في هذه المسألة بأن الدلالة واضحة جليه على التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وأثار الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم من خلال الآيات الكريمة التي استشهد بها الشيخ في معرض كلامه عن التبرك .

2. كلام المفسرين وشروحهم تجد أن الكلام يُكَمِّل بعضه بعضاً ويتألف كلام الشيخ مع كلام المفسرين حتى أصبحت المسألة واضحة جلية كوضوح الشمس في كبد السماء لا ينكرها إلا جاحد أو معاند لأن الدلالات من كلام الله تعالى، ومن سنة النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كثيرة التي استدل بها أئمة المفسرين من أمثال القشيري والتستري وغيرهم ومن الأحاديث النبوية.

3. أقوال أهل العلم من السلف والخلفتدل على جواز التبرك بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وآثاره والصالحين.

4. وختم الشيخ هذه المسألة بقوله:" مما ذكر من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والنقل عن الأئمة الأعلام من أئمة أهل السنة والجماعة، يتأكد لنا جواز التبرك بآثار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وآل بيته، ولا فرق في ذلك بين حياته وانتقاله لربه، وكذلك جواز التبرك بآثار الصالحين لا فرق في ذلك بين حياتهم ومماتهم، والله تعالى أعلى وأعلم[1].

(1)المتشددون : منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، ط 5، المقطم للنشر والتوزيع، ص99

المسألة الثانية: العهد عند الصوفية وأدلته من القرآن والسنة والآثار.[1]

المطلب الأول
تأصيل مسألة العهد عند الشيخ علي جمعة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تأصيل المسألة من كتب الشيخ.

المسألة من مسائل التصوف.

وقد عالج الشيخ هذه المسألة في كتبه[2] البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة.

ومن العبارات الدالة على انتصار الشيخ لهذه المسألة قوله:(وعلى هذا فليس في العهد الصوفي بهذا الاعتبار من مخالفة شرعية، ولا يعد تعارضاً مع أصول الشريعة، ونصوص الكتاب والسنة تشهد له)[3].

الفرع الثاني: تعريف العهد في اللغة والاصطلاح:

وقد عرف الشيخ علي جمعة العهد في اللغة والاصطلاح[4]:

أولًا: العهد في اللغة: يرجع إلى عدة معان منها: الوصية، والضمان، والأمر، والرؤية، والمنزل. فكل ما عُوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق هو عهد، وأمر اليتيم من العهد، وكذلك كل ما أمر الله به ونهى عنه، وفي حديث الدعاء عن شداد بن أوس رضي الله

---

(1) تكلم فيها الكثير من المتصوفة ومن هؤلاء صاحب كتاب: حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى، دار المقطم، الطبعة الخامسة، سنة 2013م بعنوان أخذ العهد، ص66.

(2)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة ، المسألة رقم ثمانية وعشرون ص314

(3)البيان لما يشغل الأذهان ، فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص320

(4) البيان لما يشغل الأذهان ، فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص315

عنه: عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : " سيد الاستغفار أن تقول: اللّٰهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)[1].

ثانيًا: العهد في العرف الصوفي، يقول الشيخ السهروردي هو: " ارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه لمصالح دينه ودنياه، يرشده ويهديه ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومدخل العدو "[2].

ومن معاني العهد: البيعة، فهي مدخل الصحبة المباركه بين الشيخ والمرشد ومريد الوصول إلي معرفة الحق تبارك وتعالى، وبها يسري تأثير الشيخ في مريده بالحال والمقال، ويتحقق الرباط الوثيق الذي يستهدف تزكية النفس الإنسانية وصلاح القلب والروح.

العهد في حقيقته عهد الله، واليد يد الله، والعهد الظاهر عهد الشيخ، والعهد الباطن الحقيقي هو عهد الله عز وجل قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**.

المطلب الثاني: انتصار الشيخ علي جمعة لهذه المسألة في الرد على المخالفين من القرآن الكريم.

سَّاق الشيخ عددا من الأيات القرآنية لرد علي المخالفين الذين ينكرون العهد الظاهر الذي هو عهد الشيخ وإثبات أن للعهد تخريج شرعي من نصوص القرآن الكريم، فمن هذه الأيات:

1- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (67/8)، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار،رقم الحديث [6306].

(2) انظر : " عوارف المعارف " للسهرودى ص (251-260).

(3) سورة الفتح [الآية: 10].

2- قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(1).

وجه الدلالة من هذه الأيات:

1- هذه الآيات تدل على حفظ العهد بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وكيف أنه يعاهد الله عز وجل، ويعاهد المرشد أو الشيخ الظاهر على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والترقي في مقامات الإيمان.

ومن خلال هذه الآيات التي استدل بها الشيخ وانتصر على المخالفين لهذه المسألة، يبين أن العهد الظاهر هو عهد الشيخ، وأن العهد الباطن الحقيقي هو عهد الله سبحانه وتعالى وهو يريد من خلال هذا الكلام أن يثبت أن العهد مع الشيخ هو الطريق الموصل لمصالح الدين والدنيا وهو الطريق الموصل إلى الله تبارك وتعالى، لأن الشيخ يبصره ويرشده ويهديه بهدى الله عز وجل.

المطلب الثالث: انتصار الشيخ علي جمعة لمسألة العهد من السنة النبوية المطهرة:

أورد الشيخ علي جمعة وابل من الأحاديث النبوية التي تؤكد علي معني العهد وأن لهذا العهد أصول مع لشرع الشريف فمن هذه الأحاديث:

1- ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: "بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك(2).

---

(1)سورة الإسراء:{ من الآية: 34}.

(2)أخرجه البخاري فى صحيحه كتاب " الإيمان " باب " علامة الإيمان حب الأنصار" حديث (18) ، ومسلم فى صحيحه كتاب " الأحكام " باب بيعة النساء " حديث (6787)

فقد قصد الشيخ – والله أعلم – من وراء الاستدلال بهذا الحديث أن النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – بايعه أصحابه رضوان الله عليهم في مواطن كثيرة وبايعوه على أشياء متعددة تشمل كل حياتهم وهو لنا أسوة – صلى الله عليه وسلم –فقصد بذلك العلاقة بين الشيخ المربي وبين مريديه وهذا ما يسمى بالعهد الظاهر عند الصوفية.

2- ومن الأحاديث التى انتصر بها الشيخ لهذه المسألة بالأدلة النقلية.

عن يعلي بن شداد قال: حدثنى أبي شداد رضي الله عنه وعبادة بن الصامت حاضر يُصدقه قال: كنا عند رسول الله – صل الله عليه وسلم – فقال: "هل فيكم غريب؟ – يعنى من أهل الكتاب – فقلنا لا يا رسول، فأمر بغلق الباب فقال: " ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله" فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا: لا إله إلا الله، ثم وضع رسول الله – صل الله عليه وسلم – يده ثم قال: " الحمد لله، اللّهم بعثتنى بهذ الكلمة، وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال: أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم "[1].

وفي هذا الحديث الذى استدل به الشيخ دلالة على العلاقة بين العبد وربه تبارك وتعالى وهذا العهد الذى بينه وبين الله هو مرجع العهود كلها لأن كل العهود الغرض فيها الوصول إلى الله تبارك وتعالى، وأجل العهود المذكورة في هذا الحديث هو قول لا إله إلا الله.

3- ومن الأدلة ما ذكره الشيخ لانتصاره لمسألة العهد.

عن بشر بن الخصاصية – رضي الله عنه – قال " أتيت النَّبِيّ – صل الله عليه وسلم – لابايعه، قال: فاشترط على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدى الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد

(1)أخرجه أحمد فى مسنده (124/4) واللفظ له ، والطبرانى فى المعجم الكبير (7 / 289) حديث (7163) ومسند الشاميين (157/2) حديث (1103) والحاكم فى مستدركه (1 / 179) حديث (1844) وقال فى مجمع الزوائد : " رجاله موثقون " (19/1).

في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان فوالله ما أطيقهما الجهاد والصدقة. فإنهم زعموا أنه من ولىَّ الدبر فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت . والصدقة، فوالله مالي إلا غنيمةٌ وعشر ذودٍ [الذود من الإبل: ما بين الاثنين إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر] هُنَّ رسلُ [اللبن] أهلي وحمولتهم [بالفتح ما يحتمل عليه الناس من الدواب سواء أكانت عليها الأحمال أم لم تكن، وبالضم: الأحمال] قال: فقبض رسول الله – صل الله عليه وسلم – يده ثم حرك يده، ثم قال: فلا جهاد ولا صدقة ! فلم تدخل الجنة إذاً؟ ! قال: قلت: يا رسول الله أنا أبايعك، قال: فبايعت عليهن كلهن[1].

ومن كلام الشيخ في البداية حينما قدم هذه الاستدلالات نجد أنه ذكر أن من معنى العهد أيضاً البيعة حيث قال الشيخ في هذا: وفي معنى العهد أيضاً أن البيعة، فهى مدخل الصحبة المباركة بين الشيخ المرشد ومريد الوصول إلى معرفة الحق تبارك وتعالى، وبها يسري تأثير الشيخ في مريده بالحال والمقال، ويتحقق الرباط الوثيق الذي يستهدف تزكية النفس الإنسانية وصلاح القلب والروح؛وذلك لأنه لا يكفي عند الصوفية في سلوكهم إلى طريق الله سبحانه وتعالى مجرد العلم، فمجرد قراءة كتب التصوف عندهم بلا معاناة يُعد متعة ذهنية، قد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقاً إلى الضلالة طردًا، أو عكساً، أما المنح الروحية من الله تعالى فهى نتيجة الجهود والأعمال، فالصوفية أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال، وعندهم لم ينل المشاهدة من ترك المجاهدة.

فالسائر في طريق الله سبحانه لابد له من ترك المرغوبات والمألوفات، ومراعاة الأنفاس،

---

(1)أخرجه أحمد فى مسنده (5 / 224) حديث (22002) واللفظ له ، والطبرانى فى المعجم الكبير (44/2) حديث (1233) والأوسط (28/2) حديث (1126)، والحاكم فى مستدركه (89/2) ، حديث (2421) ، والبيهقي فى السن الكبري (9 / 20) ، وقال فى مجمع الزوائد : " رجاله موثقون " (42/1)

ثم لابد له من زاد وهو التقوى، وسلاح يتقوى به على عدوه اللدود وهو الذكر، ومركوب يقصر عليه وعثاء السفر وهو الهمة.

ولا يستقيم السير مع كل هذا إلا بدليل، وهو الأستاذ الكامل المربي الفاضل، وقد اشتهرت عباراتهم: " من لا شيخ له فالشيطان شيخه " فمن أراد السلوك إلى الله على يد بعض الواصلين وقد يسر الله له من هو كذلك، فعليه أن يُلزم نفسه طاعته والدخول تحت أوامره ونواهيه . فإن المرشد يتعهد السائر على الله بالتوجيه ويرشده إلى الطريق الحق، ويضيء له ما أظل من جوانب نفسه، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة وهدى ويقين، فإن المريد يبايع المرشد، ويعاهده على السير معه في طريق التخلى عن العيوب والتحلي بالصفات الحسنة، والتحقق بركن الإحسان والترقي في مقاماته.

فلقد وضع الشيخ علي جمعة بهذه الآيات والأحاديث النَّبَوِيَّة التى استدل بها أصولاً ثابتة ينتصر فيها على من أنكروا هذه المسألة (مسألة العهد عند الصوفية) حتى يدحض بهذين الأصلين كل رأى معاند أو مخالف؛ إذ أنه من المعلوم بالضرورة أن أعلى وأهم مصادر التشريع الكتاب والسنة فبذلك يعد كلامه مع هذا الاستدلال انتصاراً لا مراء فيه ولذلك قال في نهاية كلامه" وعلى هذا فليس في العهد الصوفي بهذا الاعتبار من مخالفة شرعية، ولا يعد تعارضا مع أصول الشريعة، أو نصوص الكتاب والسنة تشهد له[1].

(1)البيان لما يشغل الأذهان ، فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص 320

المطلب الرابع: أقوال بعض السلف في هذه المسألة نقلَ عنهم الشيخ علي جمعة ومن هؤلاء:

1- الشيخ إسماعيل ابن سودكين[1].

نقل صاحب تفسير روح البيان عن الشيخ إسماعيل بن سودكين قوله:" المبايعون ثلاثة: الرسل، والشيوخ الورثة، والسلاطين، والمبَايَع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى، وهؤلاء الثلاثة شهودُ الله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع، وعلى هؤلاء ثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله، وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما أُمِرُوا به، فأما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلا، فإن الرسل معصومون من هذا، والشيوخ محفوظون، وأما السلاطين فمن لَحِق منهم بالشيوخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولا، ومع هذا فلا يطاع في معصية، والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى"[2].

2. الشيخ السهرودى[3]: وقد أراد أن يصل الشيخ من خلال هذا الاستدلال إلى تأيد

---

(1) هو: إسماعيل بن سودكين بن عبد الله، أبو الطاهر، شمس الدين النوري، صوفي حنفي تونسي، كان من أصحاب الشيخ محيي الدين بن العربي ، قال ابن العماد: له كلام وشعر، من تصنيفه (شرح التجليات الإلهية، لابن عربي)، ولواقح الأسرارولوئح الأنوار) ، وتحفة التدبير في الكيمياء، انظر: الاعلام للزركلي .314/1

(2) روح البيان (21/9)، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت

(3) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله – وهو عمويه – بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيهها عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي. ولد في وجب سنة 539 هـ.1145م، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، صاحب كتاب" عوارف المعارف ."

ومناصرة الشيخ السهرودى في معنى العهد عند الصوفية حينما قال "ارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم عن المريد للشيخ في نفسه لمصالح دينه ودنياه، يرشده ويهديه ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو "[1].

فالشيخ علي جمعة يرى أن الأصل في هذه العهود الثلاثة هو العهد مع الله تبارك وتعالى وهذا ما بيَّنه الشيخ في معنى العهد، وهو الوقوف عند حدَّود الله تعالى الذي أمرنا بها، فلا يُفقد حيث أُمر، ولا يوجد حيث نُهى، وحفظ عهد الربوبية والعبودية لله عز وجل .

وهذه الآيات التى استدل بها الشيخ في موضعها ليَعُد انتصاراً له على المنكرين لهذه المسألة وهي مسألة (العهد عند الصوفية)، وهذا الانتصار ليس عبثاً ولا اعتباطاً ولا تقليدًا أعمى وإنما هو استدلال نابع من منهج أصولي مبناه على كتاب الله عز وجل وأحاديث النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وأقوال بعض السلف من المتصوفة.

المطلب الخامس: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

1- الآيات التي أوردها الشيخ تدل على حفظ العهد بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وكيف أنه يعاهد الله عز وجل، ويعاهد المرشد أو الشيخ الظاهر على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والترقي في مقامات الإيمان .

2- ساق الشيخ عدة أحاديث تدل على أن أصحابه رضوان الله عليهم في مواطن كثيرة

وصفه الذهبي بـ«الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية، وقال عنه ابن النجار «كان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله، والتسليك الباب الوسطاني القديم لمدينة بغداد قرب جامع الشيخ عمر السهروردي1924 وتوفي شهاب الدين في بغداد في أول ليلة من سنة 632 هـ1234/م، انظر سير أعلام النبلاء تأليف الذهبي (22/377)

(1)" عوارف المعارف للسهرودى ، ص (251-260).

بايعوه على أشياء متعددة تشمل كل حياتهم وهو صلى الله عليه وسلم ، الأسوة والقدوة لنا.

3- وضع الشيخ علي جمعة بهذه الآيات والأحاديث النَّبويِّة التى استدل بها أصولاً ثابتة ينتصر فيها على من أنكروا هذه المسألة (مسألة العهد عند الصوفية) حتى يدحض بهذين الأصلين كل رأى معاند أو مخالف.

4- استشهد الشيخ ببعض أقوال السلف حول هذه المسألة ليعضدد انتصاره.

المبحث الثاني
انتصارات الشيخ علي جمعة في الرد على المخالفين بالحجج العقلية

توطئة:

الشيخ علي جمعة له منهج واضح في الرد على المخالفين سواء كانت هذه الردود بالأدلة النقلية أو بالحجج العقلية، وهذه الردود على سبيل الإجمال تكون على النحو التالي:

أولًا: الشيخ يرد على المخالف ببيان ضعف قوله وأدلته.

ثانيًا: يرد على المخالف بعدم فهمه للنص أو السياق أو معنى الأية أو الحديث.

ثالثًا: منهج الشيخ في الرد على المخالف أنه يبين عدم فهمه للآثر، وعدم فهمه لأقول واستشهاد العلماء السابقين.

وفي هذا المبحث نتناول عدة مسائل أنكرها المخالفين بسسب سوء فهمهم، ورد عليهم الشيخ علي جمعة فيها بالحجج العقلية ومن هذه المسائل:

المسألة الأولى: جواز السفر لزيارة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقبور الأنبياء والصالحين.

المسألة الثانية: علاقة التصوف بالتشيع.

المسألة الثالثة: جواز التوسل بالنَّبِي صلى الله عليه وسلم .

المسألة الأولى

(جواز السفر لزيارة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقبور الأنبياء والصالحين).

توطئة:

هذه المسألة واحدة من أهم المسائل التى قام بعض المخالفين بمنع السفر وشد الرحال إلى قبر النَّبىّ وقبر الأنبياء والصالحين وهم بذلك يسلكون مسلكًا عجيبًا خطيرًا فقد أجمع أهل الإسلام على أن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات "ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من رقبة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء المسلمين"[(1)].

المطلب الأول: تأصيل المسألة عند الشيخ علي جمعة (جواز السفر لزيارة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء والصالحين).

ولقد تعرض الشيخ علي جمعة لهذه المسألة في عدة كتب فكتب في هذه المسألة كتابات أصيلة ومن هذه الكتب[(2)]كتاب المتشددون منهجهم ...ومناقشة أهم قضاياهم.

المخالفون: يرفضون شد الرحال (السفر) لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وقبور

(1) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لإمام أحمد بن محمد القسطلانى،- مكتبة التوفيقية بالقاهرة ج3، ص587.

(2) 1-كتاب المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص 105 بعنوان (تحريم السفر لزيارة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء والصالحين)

2-البيان لما يشغل الأزهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم يشمل الداخل ص 193 وكان سؤال رقم (46) ما حكم زيارة القبور عمومًا، وزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم، وهل يجوز شد الرحال بقصد زيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وقبور الصالحين؟

3-فتاوى النساء فتاوى واحكام للمرأة المسلمة ص61 بعنوان وكان سؤالًا (حكم زيارة القبور وحكم شد الرحال لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم والصالحين).

الأنبياء والصالحين ورأي الشيخ علي جمعة الإنتصار لغير هذا وهو جواز شد الرحال لزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء والصالحين.

العبارات الدالة على انتصار الشيخ لهذه المسألة.

"كل ما سبق بين أن هؤلاء المتشددين أصرواعلى فهم أحد العلماء الذى شذ بفهمه، وأنكر فهم باقى العلماء "(1) فيكون أهل المدينة وحدهم الذين يجوز لهم الخروج من بيتهم يقصدون زيارة قبرالنَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأن أي إنسان آخر يحتاج إلى السفر ليفعل نفس الفعل يكون آثمًا وهذا بعيد جدًا، بل هو غلط ووهم"(2).

"وقد التبس ذلك على بعضهم، فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة كسيدي أحمد البدوى ونحوه داخل في المنع وهو خطأ"(3).

المطلب الثاني:اختلاف العلماء في هذه المسألة علي قولين.

وفيها فرعان:

الفرع الأول: رأي المخالفين لهذه المسألة.

يرى المخالفون أنه لا يجوز شد الرحال لزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء والصالحين وهذا ما ذكره واحتجوا به قديمًا وحديثًا فيما نقل عن ابن تيمية وبعض المعاصرين من المخالفين لتحريم السفر لزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قيل: أول من قال بحرمة زيارة رسول الله والسفر إلية ابن تيمية.

(1) المتشددون منهجهم – ومناقشة اهم قضاياهم ص105

(2) البيان لما شغل الاذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم يشمل الداخل ص193.

(3) فتاوى النساء فتاوى واحكام للمرأة المسلمة ص 61.

1- من المخالفين القائلين بتحريم السفر لزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ابن تيمية.

يقول الإمام ابن حجر العسقلانى: "والحاصل أنهم الزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحال إلى زيارة قبر (روضة) سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، على الرغم من أن الزيارة من أفضل الأعمال وافضل القربات الموصلة إلى ذى الجلال والإكرام، وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع[1]"

2. من المخالفين القائلين بتحريم السفر لزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم الألباني[2]:

حيث سئل عن حكم زيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، والسؤال:هل زيارة قبره عليه الصلاة والسلام مثل بقية مقابر المسلمين، حيث علمنا وأرشدنا بأن زيارة القبور تذكرنا بالآخرة، فتكون لنا أم هى خصوصية أخرى؟

أجاب بقوله: لاخصوصة هاهنا، فزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم مشروعة كسائر قبور المسلمين، ولكن ينبغى أن نذكر من يتذكر بأن هناك فرق بين هذه المسألة التى لا يختلف فيها إثنان، وهى زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام فهى مشروعة دون خلاف ...ولكن هذا شئ وشد الرحال والسفر خاصة لزيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم فضلًا عن قبور الأنبياء والأولياء والصالحين، هذا أمر لا يجوز في الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام: "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى"

(1) فتح الباري ج 3 - ص 66 .

(2) هو: أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرنؤطي، المعروف باسم محمد ناصر الدين الألباني ولد عام 1333هـ في أشقودرة العاصمة القديمة لألبانيا، وتوفى قبيل يوم السبت في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة 1420 هـ ، الثاني من أكتوبر 1999 في مدينة عمان عاصمة الأردن ، انظر: جهود الشيخ الألباني في بيان عقيدة السلف في الإيمان بالله، رسالة ماجستير، للطالب، أحمد صالح حسين الجبوري، إشراف أ.د فرمان اسماعيل ابراهيم، بجامعة تكريت، العراق.ص، 11

ولذلك فمن يريد أن يزور النَّبىّ صلى الله عليه وسلم زيارة شرعية فعلية أن ينوى السفر باكتساب فضيلة الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام حيث قال: "صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة مما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام" (1) وعليه إن قصد بسفره المسجد لينال هذه الفضيلة البالغة، وبطبيعة الحال إذا وصل إلى هناك وزار قبره عليه الصلاة والسلام وزار البقيع، وزار شهداء أحد، هذا كله جائز لاخلاف فيه، لكن الفرق بين أن يخلص النية في شد الرحال للصلاة في المسجد أو يجعل النية لزيارة قبر الرسول عليه السلام، وفي هذا مخالفة لذلك الحديث الصحيح (2) "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد".

3. من المخالفين المعاصرين القائلين بتحريم السفر لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم صاحب كتاب(كشف شبهات الصوفية)(3).وهو وأمثله يرددون هذا الكلام

أورد شحاته محمد صقر كلامه عن هذه المسألة فقال ما نصه:

"لا يجوز السفر لزيارة القبور؛ لأن هذا السفر بدعة، لم يكن في عصر السلف، ولأن في الصحيحين عن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلا ثلاثة مساجد المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا"(4).

---

(1) موسوعة محمد ناصر الدين الألباني "موسوعة تحتوى على أكثر من (50) عملًا ودارسة حول الألبانى وتراثه الخالد، المؤلف، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني و مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء سالمين ط. الأولى 1431هـ – 2010م، ج2، ص556

(2)موسوعة محمد ناصر الدين الألبانى ص 557.

(3) شحاته محمد صقر، ص. دار العلوم، البحيرة ،مصر.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح (2/ 71) ، كتاب فضل الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة حديث رقم (1189) ، ومسلم في الصحيح (2/ 1014) ، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال حديث رقم (1397 /511) .

وجهة كلام المخالف:

وهذا النهى يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب، بدليل أن بصرة بن أبى نضرة الغفارى لما رأى أباهريرة .رضى الله عنه. راجعًا من الطور الذى كلم عليه موسى قال: لورأيتك قبل أن تاتيه، لأن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد "

فقد فهم الصحابى الذى روى الحديث، أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء، من جهة في العموم، وأنه لا يجوز السفر إليها، كما لايجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، وأيضًا فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله غير الثلاثة، لايجوز، مع أنه قد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لايحصى، فالسفر إلى بيوت الموتى من عباده أولى أن لايجوز نفس السفر لزيارة قبر من القبور، قبر نبى أو غيره، منهى عنه عند جمهور العلماء حتى أنهم لا يجوزون قصر الصلاة فيه بناء على أنه سفر معصية لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت في الصحيحين:"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا" وهو أعلم الناس بمثل هذه المسألة(1)

الفرع الثاني: رأي المجوزين لهذه المسألة.

أجاز كثير من العلماء القدامى والمعاصرين جوازالسفر لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياءوالصالحين وردوا على هؤلاء المخالفين لهذه المسألة غير أنهم يتمسكون بفهمهم الخاطئ لبعض الأحاديث والأقوال فقيض الله لهذه الأمة العالم الجليل الشيخ علي جمعة فرد عليهم وفند أدلتهم وبين خطأهم لعلهم يعودوا إلى رشدهم.

(1)كشف شبهات الصوفية، شحاته محمد صقر، ص. دار العلوم، البحيرة، مصر، ج1، ص127.

رأي الشيخ علي جمعة في هذه المسألة:

أقام الشيخ علي جمعة على المخالفين لهذه المسألة البراهين والحجج العقلية الدامغة على ما سبق من أقوالهم التي يحرمون السفرإلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولاتشد الرحال إلا إلى الثلاث المساجد المعروفة والمذكورة في الحديث الذي أورده المخالفين وهم بذلك يرون حرمة زيارة قبر الأنبياء مثل قبر خليل الرحمن إبراهيم، أو قبر الصالحين بنص الحديث فردَّ الشيخ علي جمعة على المخالفين لهذه المسالة بأن بين ضعف قول المخالف في عدةفقرات:

الأولى:في مخالفتهم في فهمهم للنص، وجعل الشيخ مقدمة لهذه المسألة، واستغراب أحوال هؤلاء المخالفين الذين يحرمون السفر لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم والأنبياء والصالحين.

الثانية: في مخالفتهم في فهمهم للحديث النبوي الشريف، والقيام بتطبيق بعض الأحاديث خارج الجو العلمى.

الثالثة:مخالفتهم في فهمهم ماجاء من الآثار وما ورد عن العلماء السابقين.

الرابعة:ساق الشيخ الأدلة القاطعة من أقوال الفقهاء المعتمدين.

عالج الشيخ علي جمعة هذه المسألة من خلال عدة فقرات :

الفقرة الأولى: مقدمة عن هذه المسألة للشيخ حيث قال مانصه: "من أغرب ما عليه المتشددون تحريمهم السفر لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم أوقبر خليل الرحمن إبراهيم، أو قبر أي صالح، وسوف يزداد العجب عندما تعلم أنهم يستحبون زيادة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وزيارة قبور المسلمين بصفة عامة، فوقعوا في استحباب الغاية وتحريم وسيلتها، وهم بهذا السلوك العجيب الغريب قد اصطدموا بقاعدة متفق عليها أن الوسائل تأخذ

أحكام المقاصد، فلا يعقل أن يكون المقصد مندوبًا ووسيلته محرمة[1].

توجيه كلام الشيخ:

هذا هو ما وقع فيه المخالفين وما ذكرهالألبانى حينما وقع في استحباب الغاية وتحريم الوسيلة ، والمخالف الأخر صاحب كتاب "كشف شبهات الصوفية[2] الذى جعل السفر إلي زيارة القبور وقبور الأنبياء والصالحين بدعة، ودليلة أن لهم يكن في عصر الصحابة ولا السلف.

الفقرة الثانية: مخالفتهم في فهمهم للحديث النبوي الشريف، والقيام بتطبيق بعض الأحاديث خارج الجو العلمى.

ردَّ الشيخ علي هؤلاء المخالفين بأدلة علمية وحجج عقلية ليؤكد عدم فهمهم للنص والسياق الوارد في الحديث النبوي الشريف، فبدأ الشيخ عن هؤلاء المخالفين بسؤال استغراب

1- "فما الذى حدث؟! وما الذى يجعل هؤلاء يتخبطون هذا التخبط العجيب بين استحباب الغاية وتحريم الوسيلة؟! السبب في ذلك أنهم يحاولون فهم الأحاديث بعيدًا عن العلماء، وكلما وجدوا حديثًا قاموا بتطبيقة بعيدًا عن الجو العلمى له، فهم قد اصطدموا بحديث:" لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى "فظنوا أن هذا الحديث يحرم شد الرحال (السفر) لغير المساجد الثلاثة، وبالتالى يحرم السفر لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم وقبر الخليل إبراهيم وقبور الصالحين[3].

(1)المشددون منهجهم ومناقشة اهم قضاياهم ص105.

(2)كشف شبهات الصوفية، شحاته محمد صقر ص127.

(3)المتشددون – منهجهم ومناقشة اهم قضاياهم ص 106.

شرح الشيخ وتوضيح هذا الحديث بالدليل والحجج العلمية العقلية.

هذا فهم المخالف أنه لاتشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاث لكن المعنى: شد الرحال كناية عن السفر والإنتقال، والسفر في نفسه ليس عبادة ولا عملا مقصودًا لذاته في أداء العبادات، ويلزم القائل بأن شد الرحال لزيارة القبور وزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون حكم استحباب زيارة القبور وزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم خاصًا بأهل البلد الذى فيه القبر، فيكون أهل المدينة، وحدهم هم الذين يجوز لهم الخروج من بيتهم يقصدون زيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وأن أي إنسان آخر يحتاج إلى السفر ليفعل نفس الفعل يكون آثمًا وهذا بعيد جدًا، بل هو غلط ووهم[1].

أورد الشيخ كلامه في هذه الفقرة بأقوال العلماء القدامى ليبين ضعف قولهم وسوء فهمهم للحديث ومن هؤلاء:

الحافظ ابن حجر:

"وَنَقَلَ الشيخ علي جمعة قول الحافظ ابن حجر الذي أنكر علي من حرم السفر لزيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياءوالصالحينوعلى رأسهم ابن تيمية حيث غالطه في هذه المسألة بل جعلها من أبشع المسائل المنقولة عنه فقال:"ويستنكر الحافظ بن حجر وقوع ابن تيمية في هذه المغالطة فيقول: "وهى من أبشع المسائل المنقولة ابن تيمية" [2]ففهم العلماء من حديث (شد الرحال) أنه لا يجب عليه الوفاء بنذره إن نذر شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

فَنَّدَ الشيخ قول المخالفين بالحجج العقلية ليبن لهم ضعف قولهم على أنه يجوز شد الرحال إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والصالحين، لعموم الأدلة فقال: "وقد ذهب العلماء إلى

(1) فتاوى النساء فتاوى واحكام للمرأة المسلمة ص62.

(2) فتح البارى، لابن حجر العسقلانى، 3/69.

انه يجوز شد الرحال لزيارة القبور، لعموم الأدلة، وخصوصًا قبور الأنبياء والصالحين(1)أما قوله صلى الله عليه وسلم "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى" خاص بالمساجد، فلا تشد الرحال إلا لثلاثة منها بدليل جواز شد الرحال لطلب العلم وللتجارة.

الفقرة الرابعة:ساق الشيخ الأدلة القاطعة من أقوال الفقهاء المعتمدين على جواز هذه المسألة.

1. في مذهب الحنفية قال الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد في "شرح فتح القدير": "المقصد الثالث في زيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات، وفي "مناسك الفارسى وشرح المختار" أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة" (2).

2. وفي مذهب المالكية قال القرطبى: "وزيارة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم من السنة المتأكدة" (3).

3. في المذهب الشافعى قال الإمام النووى: "واعلم أن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأنجح المساعى، فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحسانًا متأكدًا أن يتوجهوا غلى المدينة لزيارته صلى الله عليه وسلم وينوى الزائر من

(1) فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص 63.

(2)شرح فتح القدير، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد، 3/179.

(3) الذخيرة، للقرافى 2/375، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، تحقيق: محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م

الزيارة التقرب، وشد الرحال إليه والصلاة فيه"[1].

4. وفي المذهب الحنبلى يقول المرداوى الحنبلى: "(قوله: فإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه)[2]

وعلى هذا اتفقت المذهب الأربعة كلهم وعليها الأصحاب قاطبة متقدمهم ومتأخرهم لجواز هذه المسألة.

الفقرة الرابعة: مخالفتهم في فهمهم ماجاء من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالح وما ورد عن العلماء السابقين.

1. ما ورد من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالح حول هذه المسألة.

كما أن النهي عن شد الرحال لمسجد غير الثلاث ليس على التحريم، فقد ثبت أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم شد الرحال لمسجد رابع هو مسجد قباء: " فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: " كان النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يأتي مسجده قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا "[3].

وكان عبد الله بن عمر يفعله، ولذلك نُقِلَ عن ابن قدامة قوله: " وفيه أن النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم[4].

2. ما ورد عن العلماء السابقين حول هذه المسألة:

أورد الشيخ عددًا من العلماء القدامى والمحدثين ليبين أن هذه المسألة محسومة منذ القدم

---

(1) المجموع، للنووى، 8/201.

(2) الإنصاف لعلي بن سليمان بن أحمد المرداوي، ج4/5، كتاب المناسك « باب صفة الحج ".

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، 1/399، ومسلم بنحوه 2/1017، كلاهما من حديث ابن عمر.

(4) المغني لابن قدامة 3/52. المغني لابن قدامة، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة

غير أن بن تيمية ومن ردد كلامه شذوا عن إجماع المسلمين ولا عبرة بشذوذهم فأورد الشيخ سيلًا من العلماء ليؤكد على جواز هذه المسألة ومن هؤلاء:

1.الإمام الغزالى رحمه الله

"يقول الإمام الغزالى رحمه الله ": "إذا نذر إتيان مسجد سوى المسجد الحرام، والمدينة، وبيت المقدس لم يلزمه شيء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد إيليا (الاقصى) وهذا لا يوجب تحريمًا وكراهية في شد الرحال إلى غيره على الصحيح، بل بين أن القربة هذا فقط "[(1)].

2.ابن قدامة [(2)]رحمه الله تعالى.

"قال ابن قدامة في السفر لزيارة القبور والمشاهد: (...... والصحيح إباحته، وجواز القصر فيه لأن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم كان يأتى قباء راكبًا وماشيًا وكان يزور القبور وأما

(1)فتح البارئ لابن حجر العسقلانى، 69/3.

(2) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي، أبو محمد الصالحي الحنبلي، شيخ الإسلام، صاحب المغني، إمام ثقة، حجة، قدوة، ورع عابد، ولد في شعبان سنة 541هـ، بقرية جَمَّاعيل من جبل نابلس.، قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين، فقرأ القرآن، وحفظ مختصر الخرقي.، رحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني سنة 561هـ وسمعا الكثير من مشايخ كثيرين فيها.، تفقه حتى فاق أقرانه وحاز قصب السبق، وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله ، كان ورعًا، زاهدًا، تقيًا، عليه هيبة ووقار، وفيه حلم وتؤدة وأوقاته مستغرقة للعلم والعمل، وكان يفحم الخصوم بالحجج، والبراهين، ولا يتحرج ولا ينزعج، وخصمه يصيح ويحترق. له تصانيف منها "المغني شرح الخرقي"، و "روضة الناظر" في أصول الفقه، و"المقنع"، و"الكافي"، و"العمدة"، و"لمعة الاعتقاد"، وغيرها، مات سنة (620هـ) انظر: تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد،12/1، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، تحقيق، أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الطبعة الثالثة 1415هـ- 1995م ،انظر: طبقات الحنابلة (2/123) .

قوله: "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"(1) فيحمل على نفي التفضيل لاعلى التحريم"(2)

3. الشيخ عليش (3) رحمه الله

"قال الشيخ عليش رحمه الله:" وحديث": لاتعمل المطي " مخصوص بالصلاة، قاله ابن عبد البر، وكذا خبر: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" لادليل فيه على منع الزيارة؛ إذ المستثنى منه محذوف ،أي المسجد ،بدليل أن المستثنى مساجد، والأصل فيه الاتصال" (4).

4. العلامة ابن عابدين(5):

وذكر الشيخ قول العلامة بن عابدين في هذه المسألة حيث قال:

"وفي الحديث المتفق عليه:" لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي

---

(1)صحيح البخاري (2 / 60)

(2) فتح الباري، لابن حجر العسقلانى، 3/69.

(3) محمد بن أحمد عليش المصري، شيخ المالكية بالديار المصرية، بل شيخ مشايخها وعالمها وفقيهها ذو التآليف النافعة كشرح المختصر، والفتاوى، وعليه تخرج جل أهل الأزهر، وكانت له جلالة تهابها الأسود، وكلمة نافذة لتقواه وورعه، فهو نظير الشيخ جنون عالم المغرب ومعاصره لا تأخذهما في الله لومة لائم، ونظيرهما الشوكاني في اليمن، والألوسي في العراق. توفي سنة 1299 تسع وتسعين وألف، انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (2/ 360)، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - 1416هـ- 1995م، انظر: الأعلام للزركلي(ج6/20).

((4)) منح الجليل شرح مختصر الخليل، 3/100، لمحمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت

(5) هو:ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، ولد وتوفي في دمشق، من مصنفاته "رد المحتار عَلَى الدر المختار"و"حاشية عَلَى المطول"و"الرحيق المختوم ، نشر العرف فيما بني من الأحكام على العرف" توفى سنة 1252هـ.، انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي 6/267.

هذا، والمسجد الأقصى "[1]، والمعنى كما أفاده في الإحياء "أنه لا تشد الرحال لمسجد من المساجد إلا هذه الثلاثة؛ لما فيها من المضاعفة بخلاف بقية المساجد، فإنها متساوية في ذلك، فلا يرد أنه قد تشد الرحال لغير ذلك، كصلة رحم، وتعلم علم، وزيارة المشاهد: كقبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وقبر الخليل عليه السلام، وسائر الأئمة "[2]

5. قال القاضي عياض[3].

"وقد قال القاضى عياض:" إن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب[4] فيها بقول النَّبىّ صلى الله عليه وسلم من زار قبرى حلت له شفاعتي[5])وقوله صلى الله عليه وسلم (من زارنى في المدينة محتسبًا كان في جواري

---

(1) صحيح البخاري (2 / 60).

(2) حاشية ابن عابدين، 2(/627).

(3) هو: القاضي عياض، الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض الحيصبي الأندلسي وثم السبتي المالكي. ولد سنة (476هـ) استبحر في العلم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق توفي سنة (544هـ) انظر ترجمته في: ((وفيات الأعيان)) : (3/ 483)

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضى أو الفضل عياض بن موسى بن عياض:– دار الحديث بالقهارة – سنة 2004 م- ص321، والوفاء بأحوال المصطفى ، للإمام، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى:– دار الكتب العلمية ببيروت – الطبعة الاولى – سنة 1988 –ص816 ،وشفاء السقام فى زيارة خير الأنام للإمام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى:– دار الكتب العلمية ببيروت – ط الأولى 2006.م.

(5) كشف الأستار عن زوائد البزار،(57/2)، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1399 هـ - 1979 م

وكنت له شفيعًا يوم القيامة[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم (من زارنى بعد موتى فكانما زارنى في حياتى[2]" بل الواجب شد الرحال إلى قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم " يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض"

وبعد أن وضح الشيخ المعنى المراد من الحديث (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) التبس على بعض هؤلاء المخالفين أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة كسيدي أحمد البدوى والحسين ونحوهم داخل في المنع وهذا خطأ فأتى الشيخ رواية أخرى تدلل على هذه المعاني وهو جواز شد الرحال لغير المساجد الثلاث فقال الشيخ[3]: "وقد ورد ذلك مصرحًا به في رواية الإمام أحمد، وابن أبي شيبه بسند حسن، عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه مرفوعًا: (لا ينبغي للمصلى أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة ؛ غير المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) وفي رواية: لا ينبغى للمصلى أن تشد رحالها... إلخ قال السبكى : وليس في الأرض بقعه فيها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها لذلك الفضل غير البلاد الثلاثة قال: ومرادي بالفضل ما شهد الشرع بإعتباره ورتب عليه حكمًا شرعيًا، وأما غيرها من البلاد فلا تشد إليها لذاتها، بل لزيارة، أو علم، أو نحو ذلك من المندوبات، أو المباحات، وقد التبس ذلك على بعضهم، فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة كسيدي أحمد البدوي ونحوه داخل في المنع وهو خطأ؛ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث : لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد، أو إلى مكان من

---

(1) السنن الصغير للبيهقي، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ ،(32/2)، بَابُ إِتْيَانِ الْمَدِينَةِ وَزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ وَمَسْجِدِ قُبَاءٍ وَزِيَارَةِ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ،رقم 1771.

(2) أخرجه الدار قطني في سننه،(333/3)، كِتَابُ الْحَجِّ ، بَابُ الْمَوَاقِيتِ، رقم 2694، من حديث حاطب.

((3)) البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبة الخارج ولم شمل الداخل ص196.

الأمكنة؛ لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة، وشد الرحال لزيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل لمن في المكان فليفهم[1].

ختامًا لهذه المسألة نورد رأي دار الإفتاء المصرية حول هذه المسألة حينما سئلت عن شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وكان السؤال كالآتي:

ما مدى مشروعية انتقالي من بلدتي لزيارة ولي أو شيخ متوفي له مقام وضريح ببلدة أخرى أقطع فيها المسافات الطوالَ؟

الجواب: اتفق العلماء على أن زيارة القبور مستحبة للرجال، ومستحبة كذلك للنساء عند الحنفية، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم "إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزروها فإنها تذكركم الآخرة"

وإذا كانت زيارة القبور مشروعة فإن شد الرحال من أجلها مستحب أيضًاخصوصًا إذا كان الأمر متعلقًا بالأنبياء والصالحين؛ لا تفاق علماء الأصول على أن الوسائل لها حكم المقاصد، فكان القول بتحريمه باطلًا لا يعول عليه[2].

---

(1) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل، ج2، ص361. (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: 1204هـ)، الناشر: دار الفكر.

(2) أجاب فضيلة الشيخ علي جمعة على هذا السؤال بتاريخ 2005/9/25، برقم المسلسل:584.

المطلب الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

أولًا: ما قام به المخالفون من سوق بعض الأدلة واستشهادهم بهذا الحديث "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" يدل على أنهم يتخبطون تخبطًا عجيبًا لأنهم يحاولون فهم هذه الأحاديث بعيدًا عن العلماء.

ثانيًا: هؤلاء المخالفون شذوا بفهمهم ورددو كلام بعضهم حول هذه المسألة يستحبون الفعل ويحرمون الوسيلة ما جعل الشيخ علي جمعة يرد بأقوال الفقهاء، وأقوال العلماء المخلصين وأقام الدليل القاطع على كلامهم لعدم فهم كلام العلماء العالمين.

ثالثًا: انتصر الشيخ علي جمعة في هذه المسألة على المخالفين ولذك حينما تبحث في هذه المسألة تجد سيلًا من العلماء يدافعون عن هذه المسألة وغيرها بفهمهم للكتاب والسنة ومن هؤلاء:

الأحناف، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، والخطيب البغدادى، وابن عبد البر، وابن الجوزي،والنووي، والحافظ العراقي، وابن حجرالعسقلانى، وابن قدامه، وابن عابدين، والسيوطى وغيرهم، جيش كبير يدافعون عن هذا الدين بفهم صحيح، وورثَ الأزهر الشريف علماءه هذا الإرث العتيق فقاموابه وحملوا هذه الأمانة ووقفوا أمام أقوام قد ضلوا وانحرفوا عن هذا الطريق وسلكوا مسلكًا خطيرًا فخرجوا بآراء وأقوال وأفعل على غير المنهج فلذلك رأينا هذا التخبط العجيب

رابعًا: أنهى الشيخ هذه المسألة بقوله "كل ما سبق يبين أن هؤلاء المتشددين أصروا على فهم أحد العلماء الذي شذ بفهمه، وأنكروا فهم باقى العلماء، مما جعلهم يتخبطون وينتجون لنا قولًا غريبًا وعجيبًا محصلته استحباب الشيء وتحريم الوسيلة الموصلة إليه، أو أن يقتصر حكم استحباب الزيارة لمن يسكن بجوار القبر الشريف فقط. "[1]

((1)) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص109

المسألة الثانية
علاقة التصوف بالتشيع

المطلب الأول: التدليل على المسألة من كتب الشيخ علي جمعة.

توطئة.

ثار لغط كبير بين العلماء حول قضية التصوف وعلاقته بالتشيع،وزعم نفر من هؤلاء بان ثمة علاقة بينهما، والشيخ علي جمعة كانت له رؤيا علمية في هذه المسألة، وتعرض الشيخ لهذه المسألة في كتابه البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه في قضايا عاجله[1]:

وهذه المسألة من المسائل المختلف فيها بين أهل العلم، والسادة الصوفية يرون فيها مخالفة التشيع جملة وتفصيلاً

المخالفون: يرفضون ذلك الكلام ويقولون إن الصوفية شاركت الشيعة في المغالاة في حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدهم، ويرون أن أصول الصوفية السنيين تتقارب وتتماذج مع أصول الشيعة وعقائدهم.

الشيخ علي جمعة رفض هذا الكلام لأن التصوف الإسلامى يتبع مذهب أهل السنة والجماعة.

ساق الشيخ على جمعة عبارات تدل علي انتصاره لهذا المسألة ومنها: "بهذا تبين لنا أن أصول الشعية وعقائدهم تخالف أصول الصوفية السنين جملة وتفصيلًا" [2].

(1)- البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه في قضايا عاجله ص303 بعنوان (علاقة التصوف بالتشيع).

(2)) البيان لما يشغل الأذهان، فتواى شافيه في قضايا عاجله ص308)

المطلب الثاني: معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح.

وفيه فرعان:

الفرع الأول:

معنى الشيعة في اللغة.

قال أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: " ..والمشايعة: متابعة إنسان على أمر، والشيعة: قوم يتشيعون، أي يهوون أهواء قوم ويتابعونهم، وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة[1].

وقال أبو الحسين أحمد بن فا رس بن زكريا: "والشيعة: الأعوان والأنصار".[2]

وقال أبو منصور الأزهري: "والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا علي أمر فهم شيعة، والجماعة شيع وأشياع".[3]

وجاء في المعجم الوسيط ما نصه: " الشيعة الفرقة والجماعة، وفي التنزيل: " ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا".[4]

والشيعة الأتباع والأنصار، وفي التنزيل ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾[5]، ويقال هم شيعة فلان وشيعة كذا من الآراء.. وتجمع على شيع وأشياع"[6].

---

(1) كتاب العين: (2/190).

(2) معجم مقاييس اللغة: (3/235).

(3) تهذيب اللغة: (3/61).

(4) سورة مريم: (الأية: 69).

(5) سورة القصص:{من الآية:15}.

(6) المعجم الوسيط: (1/503).

فالشيعة تطلق على الجماعة ويراد بها الفرقة من الناس، وتطلق على الأفراد بمعنى الأنصار والصحب والأتباع والأعوان. والمعني يدور حول المشايعة والمطاوعة والاتفاق في الرأي أو الملة بين جماعة وأخرى أو بين فرد وأخر.

الفرع الثاني: معنى الشيعة في الاصطلاح.

قال أبو منصور الأزهري: "والشيعة قوم يههون هوى عترة النَّبِيّ محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوالونهم".[1]

وقال ابن منظور "... وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليًا وأهل بيته حتى صار اسمًا خاصا... فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا رأي عندهم".[2]

وقال الشهرستاني: " الشيعة هم الذين شايعوا عليا - رضي الله عنه - على الخصوص، وقالوا بامامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا، واما خفيا، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده، وان خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية[3] من عنده"[4].

---

(1) تهذيب اللغة (3/ 61).

(2) لسان العرب (189/8).

(3) التقية هي الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير، كما يمكن القول بأن التقية عند أهل السنة بأنها إظهار المسلم لبعض الأقوال والفعال الموافقة لأهل الكفر أو الجارية على سبلهم إذا اضطر المسلم إلى ذلك من أجل اجتناب شرهم مع ثبات القلب على إنكار موافقتهم وبغضها والسعي لدفع الحاجة إليها ، كما يمكن القول بأن التقية هي إظهار الكفر وإبطان الإيمان وذلك عند خوف المسلم على نفسه من الكفار والمشركين انظر: فتح الباري314/12، فقه الإيمان والعمل الصالح (ص 520).

(4) الملل والنحل (146/1)، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)الناشر: مؤسسة الحلبي.

العلاقة بين اللغة والاصطلاح:

1- التشيع في اللغة يتضمن معاني منها:

أ- المدلول اللغوي أعم من المدلول الاصطلاحي.

ب- من معاني اللغة: النصرة والصحبة والأتباع من قوم وجماعة لرجل من الناس عامة،فيكونون عونا له ويبذلون ما في وسعهم لمتابعته ومناصرته.

2- التشيع في الاصطلاح وفيه معني:

أ- أن التشيع في الاصطلاح أخص من المدلول اللغوي، حيث تختص المشايعة والمطاوعة فيمن تحزب لسيدنا علي رضي الله عنه .

المطلب الثالث: اختلاف العلماء في علاقة التصوف بالتشيع على آراء متعددة.

وفي هذا المطلب فرعان:

الفرع الأول:

التصوف هو التشيع.

من خلال كلام الكثير ممن تكلموا عن علاقة التصوف بالتشيع نجد أنهم أوردوا الكثير من الأدلة والكلام حول ذلك لكن نذكر بعض من قالوه ورد الشيخ علي جمعة عليهم في ذلك وممن أوردوه بأن التصوف هو التشيع يتمثل في بعض هذه النقاط منها:

1- يتفق الصوفية مع الشيعة في تعظيم الرجال، والغلو فيهم غلو يتجاوز حتى حدود العقل والمنطق، فينسبون لأئمتهم وأوليائهم خصائص، ويتميزون بمميزات تجاوزا بهم الحد الشرعي، وخرجوا بهم عن القصد، وعن العقل، وعلى هذه الظاهرة الخطيرة أقام الشيعة والصوفية أصول مذهبهم، وبنوا عليها أسس مناهجهم التعليمية والتربوية، فكتب الفريقين طافحة بأنواع الغلو، والمبالغات في جوانب متعددة من حياتهم وأوليائهم، وحتي بعد موتهم، وبعد بعثهم ووقوفهم بين يدي الله تعالى، ومصادر الفريقين في هذا الباب لا يخرج عن كونه من الدعاوى التي لا تستند إلى نصوص نقلية شرعية، ولا إلى أدلة عقلية منطقية[1].

2- يرون أن التصوف هو التشيع ومن ذلك قول بعضهم: "لكن تجد عند الصوفية المتأخرين أن قضية رؤية الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا قد خفت نوعًا ما؛ لأن الاستنكار عليهم ربما كثر، وليست آخر فهم وهو : ازدياد علاقة التصوف بالتشيع فكلما غلا أولئك في

(1) العلاقة بين التشيع والتصوف، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه" بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بالمملكة العربية السعودية، بكلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدراسات العليا شعبة العقيدة، اعداد، فلاح بن إسماعيل بن أحمد، إشراف، عبد الله بن محمد الغنيمان رئيس فسم الدراسات العليا، شعبة العقيدة، سنة 1411هـ.

على – رضى الله عنه – غلا هؤلاء في الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الهدف واحد [1].

3- " حاول الختمية[2] أن يؤكدوا أن جذور الشعية والصوفية واحدة، فزعموا ان كل الطرق الصوفية خرجت من مشكاة آل البيت وانتقلت من بلاد الشيعة إلى بقية أنحاء العالم الإسلامى،...ويؤكد الكاتب الارتباط الوثيق بين الشيعة والصوفية وتطابق المبادئ والأصول، الحقيقة التى لابد من إدراكها أن الصوفية من أهل السنة هم الوجه الأخر للشيعة فكلاهما مؤمن بولاية أهل البيت [3]؛ بل إن البعض يقولون أن التصوف اتجه في فترة من الفترات لإندماجة في الحياة السياسية إلي التشيع ليستعير منه بعض مبادئه لبناء نظريته في السلطة.

ويقول صاحب كتاب السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف بعنوان (علاقة التصوف بالتشيع ما بين عصر المرابطين والموحدين): " أن التصوف حين تحول في الأندلس والمغرب وأصبح يعبر عن تزمر الفئات الإجتماعية فقد أصبح يتخذ موقفًا سياسيًا للدولة المرابطية

(1) موسوعة الفرق المنتسية للإسلام إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوى بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنة، ج8، ص322.

(2) طريقة الختمية تعتبر من الطرق الصوفية، الحديثة النشأة نسبيًا في عام1817 م، ومؤسسها هو محمد عثمان الميرغنى الختم، وهي أسرة من أشراف مكة أرّخ لها الشيخ مرتضى الزبيدي والشيخ الجبرتي في تاريخه وأحمد بن إدريس في الإبانة النورية وغيرهم وتلقى محمد عثمان علومه الدينية في مكة على يد علمائها وعلى رأسهم محمد يس إمام الحرم في حينها، ومفتي الحجاز ثم تتلمذ على يد الشريف أحمد بن أدريس حتى أسس طريقته المعروفة بالختمية، وهي من أهم الطرق الصوفية في مصر والسودان وإريتريا وتنتشر هذه الطريقة في كل من شرق القارة الأفريقية، وغربها وأوسطها وشمالها، كما يتبع بعض أهالي النيجر والجزائر والمغرب هذه الطريقة ، انظر: عجائب الاثار في التراجم والأخبار، الجزء الثاني، عبد الرحمن حسن الجبرتي، مطبعة دير الكتب،1998،الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ، محمد أحمد حامد محمد خير، مطبعى أرو التجارية (السودان)، 1986 م.

(3) الختمية، العقيدة والتاريخ والمنهج، ص127.

لذلك كان عليه أن يصدر في رؤيته للسلطة السياسية العليا عن مصدر غير الذى تصدر عنه الدولة المرابطة السنية لهذا اتجه نحوا التشيع يستعير منه بعض مبادئه لبناء نظريته في السلطة، إن صلة التصوف بالتشيع أصبحت الأن حقيقة تاريخية لاغبار عليها"[1].

الفرع الثاني: مخالفة التصوف الشيعة جملة وتفصيلًا.

في هذا المطلب ردَّ الكثير من السَّادة المتصوفة علي كذب من أدعي أن التصوف هو التشيع، وإنما خالف التصوف الشيعة جملة وتفصيلًا ومن أعلام المتصوفة في العصر الحديث الشيخ علي جمعة حيث ردَّ علي هؤلاء بالحجج العقلية في نقاط منها:

أولًا: التصوف الإسلامى ليس مذهبًا عقائديًا مثل الشيعة وغيرهم وإنما منهج تربية.

ثانيًا:لماذا سُموا هؤلاء بالشيعة، وما هي نشاتهم ؟.

ثالثًا:الشيعة فرق متعددة منهم من غالي ويُكفربذلك ويخرج عن ربقة الإسلام والمسلمين ومنهم من كان أقرب لكنهم وقع في بعض المخالفات، لكن يبقى من المسلمين.

رابعًا: ردَّ الشيخ على من قالوا إن التصوف له علاقة بالتشيع.

أولًا: وضح الشيخ علي جمعة أن التصوف الإسلامى ليس مذهبًا عقائديًا مثل الشيعة وغيرهم وإنما منهج تربية يهتم بتطهير النفس من كل أمراضها فقال:"في البداية لايمكن أن نعد التصوف الإسلامى مذهبًا عقائديًا، كالمعتزلة، والخوارج، والشيعة، ولايمكن أن نعدهم كذلك مذهبًا فقهيًا كالحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، ولكن التصوف الإسلامى منهج التربية الروحي والسلوكى الذى يرقى به المسلم إلى مرتبة الإحسان، التى عرفها النَّبىّ صلى الله عليه وسلم : "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[2].

---

(1) السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصرى المرابطين والموحدين- مصطفى بن سباع دار. الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطابع الشويخ تطوان، ط1 . 1999 ص97.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 19) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن

فالتصوف برنامج تربوى، يهتم بتطهير النفس من أمراضها التى تحجب الإنسان عن الله عز وجل، وتقويم انحرافاته النفسية والسلوكية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الله ومع الأخر ومع الذات "(1).

ثانيًا: لماذا سُمي هؤلاء بالشيعة، وما نشاتهم ؟

1- تعريف الشيعة عند الشيخ علي جمعة: "والشيعة هم الذين انتحلوا التشيع لعلى كرم الله وجهه، وقالوا إنه الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالنص الجلى أو الخفي وأنه الوصى بعده بالاسم أو الوصف دون الصديق وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، وأن الإمامة لاتخرج عنه ولاعن أولاده، وأن خرجت فبظلم من غيرهم أو تبقيَّة منه أو من أولاده(2).

نشأة هذه الفرقة: يرى الشيخ أن ما حدث من صراعات وتدخل بعض الخوارج وكارهي الإسلام وكارهي بعض الصحابة والتدخلات السياسية وغيرها أدى إلى ظهور هذه الفرقة فقال: "وربما كان للخلافات السياسية والحربية التى حدثت في نهايات عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أثر كبير في نشأة بعض الفرق العقائدية كالشيعة والخوارج وغيرهم(3)

ثالثًا: الشيعة فرق متعددة منهم من غالي ويُكفربذلك ويخرج عن ربقة الإسلام والمسلمين ومنهم من كان أقرب لكنهم وقعوا في بعض المخالفات، لكنها لا تخرجهم عن ربقة الإسلام والمسلمين.

الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة رقم[50]، وأخرجه مسلم في صحيحه (1/ 37)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم [8].

(1) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة، ص303.

(2) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة، ص303.

(3) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة، ص304.

1. ساق الشيخ بعض الفرق التي وقعت في بعض المخالفات لكنها لا تكفر بذلك ومن هؤلاءالشيعة الإمامية.

بين الشيخ علي جمعة أن الشيعة الإمامية هى فرقة من المسلمين ولا تكفر هذه الفرقة ببعض الأخطاء التي وقعوا فيها فقال الشيخ:

"والشيعة الإمامية – وهم أغلب الشيعة – فرقة من المسلمين إلا أنها اخطأت حينما خالفت المسلمين في تقديم على بن أبى طالب . رضى الله عنه . على سائر الصحابة الكرام، والطعن على خلافة من سبقة، بل والنيل من أغلب الصحابة والوقوع في سبهم ولعنهم، فهذه طامات كبرى أوغرت قلوب أهل السنة والجماعة، إلا أنهم لا يكفرون بهذه المخالفات غير المقبولة، لأن المسلم لا يكفر بسب المسلم ولعنه، وإن كان من وقعوا فيهم بالسب والعن هم خير المسلمين على الإطلاق بعد النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، إلا أنهم متأولون، بل ولايرونهم صحابة أصلا، ولذا فإن الشعية الإمامية وهم الكثرة الغالبة من الشيعة في زمنا هذا من المسلمين مع مخالفتهم لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الصحابة رضى الله عنهم من المسلمين ولم يقتصر الخلاف بين أهل السنة والجماعة والشيعة على باب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ولكن هناك أمور أخرى تمثل اسس الخلاف بين أهل السنة والجماعة[1]".

2. أورد الشيخ بعض الفرق الشيعية التى تنتسب إلى الإسلام ووقعت في بعض المخالفات غير المقبولة، وهذه الفرق غالت وانحرفت عن أصول الصوفية السنين جملة وتفصيلًا وزعمت مزاعم باطله تخرجهم عن ربقة الإسلام والمسلمين.

فمنها فرقة تزعم أن الإله قد حل في علي . رضي الله عنه . وأولاده وأنه قد ظهر بصورتهم ونطق بألسنتهم .

(1)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة،ص302.

ومن هذه الفرق التى خلت الإسماعلية[1]، والدروز[2] ومن عقائد بعض فرق الشيعة الغلاة القول بتحريف القرآن، وتكفير الصحابة، وعدم أحقية خلافة الخلفاء الراشدين الثلاث الأوائل: أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ويرى متبعي الشيعة أن الإمامة منصوص عليها ومحددة من قبل الله، بينما يرى أهل السنة أن الإمامة لم يتم تحديدها من قبل الله، والإمامة فضل من الله يتفضل به على من يشاء من عبادة وليست خاصة لأحد.[3]

رابعًا: ردَّ الشيخ على من قالوا أن التصوف له علاقة بالتشيع من خلال أربع فقرات.

ردَّ الشيخ على من زعم أن التصوف له علاقة بالتشيع فكان من ردوده أنه أثبت في كتاباته أن التصوف والصوفية ليسوا مذهبًا عقائديًا إنما هم ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة وأتى

(1) الإسماعيلية : فرقة باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلوِّ، وهي إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثنى عشرية.، يشترك الإسماعيلية مع الاثناعشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريق من جمهور الشيعة أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له إسماعيل المبارك، بينما رأى فريق أخر أن الإمام هو أخوه موسى الكاظم لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك.

انظر: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها. د. محمد كامل حسين. مكتبة النهضة المصرية 1959م.

(2) الدروز أو الموحدون الدروز هم :عرقية دينية تدين بمذهب التوحيد ذو التعاليم الباطنية؛ وتعود أصول المذهب الدرزي إلى الإسماعيلية، إحدى المذاهب الإسلامية،[11] كما ترجع جذور الدروز إلى غرب آسيا .يعتبر الدروز النبي شعيب من قوم مدين المؤسس الروحي والنبي الرئيسي في مذهب التوحيد، انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب ص344، عقيدة الدروز عرض ونقد، ص 344.

(3) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجلة، ص305 .

الشيخ بأقوال العلماء القائلين بذلك ليبطل قول القائلين أن التصوف والتشيع منبع واحد وهدف واحد وأن التصوف هو التشيع فيدخل الشيخ لهؤلاء من زاوية أخرى وهى أن الصوفية ينتمون وينتسبون إلى أهل السنة والجماعة وليس هناك أى ارتباط أو تطابق في المبادئ والأصول بين التصوف والتشيع فرد الشيخ على هؤلاء بِعْدَة فقرات ليبين عقائد الشيعة الباطلة.

الفقرة الأولى:

الشيعة يرون أن القرآن الموجود بيننا محرف ومبدل وهم لا يؤمنون به بخلاف أهل التصوف الذين يؤمنون بالقرأن الكريم وأنه كلام رب العالمين المنزل على النَّبِيّ الآمين صلى الله عليه وسلم ، فمن معتقدات الشيعة الباطلة ما يلي:

1 - عقيدة القرآن الموجود محرف ومبدل فيه: إن الشيعة لايؤمنون بالقرآن الموجود بين أيدى المسلمين لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: حسب عقيدة الشيعة الصحابة كلهم كاذبون"وكانوا يعتقدون أن الكذب عبادة، وكذا أئمة أهل البيت كاذبون وأصحاب تقية وكانوا يعتقدون أن الكذب عباة، فإذ كان سائر الصحابة وأئمة أهل البيت كاذين ضمن الذى يبلغهم هذا القرآن المجيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيقة .

الوجه الثانى: وكذلك حسب عقائد الشيعة أن الصحاب كانوا كاذبين وهم الذين نقلوا وزورا القرآن الكريم، وأئمة أهل البيت لايرونه ولايوثقونه ولايصدقونه فكيف يعتمد الروافض والشيعة على صحة هذا القرآن الموجودة كما له.

الوجه الثالث: فمن روايات الشيعة الصحيحة عندهم المدويَّة في كتبهم المعتمدة التى تتجاوز عن ألفي رواية (والتى تعتبر عندهم متواترة) وكلها تصرح بان القرآن الموجود بين

أيدينا محرف ومبدل ....."[1].

مما سبق يتضح أن عقائد هؤلاء المغالين تخالف عقائد الصوفية السنيين جملة وتفصيلًا بل إن الصوفيين رفضوا مثل هذا الكلام وعلى رأسهم الشيخ علي جمعة فردَّ عليهم وبين الصواب وربط بين أن الصوفية ليسوا مذهبًا خاصًا وإنما ينتمون لمذهب أهل السنة والجماعة وعضدد الشيخ كلمه ببعض أراء السابقين ليؤكد كذب وادعاء أن التصوف له علاقة بالتشيع فقال: " ومع كون الصوفية ليسوا مذهبًا عقائد إلا أنهم ينتمون لمذهب أهل السنة والجماعة، وعدهم علماء التوحيد من أهل السنة والجماعة[2].

واستدل الشيخ بكلام بعض العلماء ومنهم ابن السبكى على أن الصوفية من أهل السنة والجماعة وليسوا مذهبًا منفردًا حتى نبني عليهم كلامًا أنهم يتفقون مع الشيعة في المبادئ والأصول وإنما هم من أهل السنة والجماعة الذين اتفقوا على معتقد واحد ومنهج واحد، فذكر الشيخ قول ابن السبكى في شرح عقيدة ابن الحاجب: " اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قداتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن إختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف:

الأولى: أهل الحديث، ومُعْتَقَدِ الأدلة السمعية – الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلى وهم الأشعرية والحنفية (الماتريدية) وشيخ الاشعرية هو أو الحسن الاشعرى، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدى، وهم متفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط، والعقلية

---

(1) بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية للشيخ محمد عبد الستار التونسوى رئيس منظمة أهل السنة بباكستان ويليه فضائح الصوفية بقلم عبد الرحمن عبد الخالق، ص28، 29.

(2) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجله، ص305 .

والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية[1]

الفقرة الثانية: الصوفية يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة فلم يستقلوا بمذهب معين حتى يحكم عليهم بأنهم يتفقون مع الشيعة في بعض القضايا مثل إثبات قضايا التوحيد وغيرها؛ ولذلك استدل الشيخ بكلام الإمام محمد السفارينى الحنبلى على أن الصوفية من أهل السنة والجماعة ليبين ضعف فهم هؤلاء الذين يقولون إن التصوف له علاقة بالتشيع فقال:

"أهل السنة والجماعة ثلاث فرق:

الأثرية: وإمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى

والأشعرية: وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى

والماتريدية: وإمامهم أبو منصور الماتردي"[2].

علق الشيخ علي جمعة على ما سبق ليبين سوء فهم هؤلاء الذين يربطون بين التصوف بالتشيع وأنه ثم علاقة بينهم فساق كلام الإمام محمد أحمد السفاريني فقال الشيخ، وأغفل السفاريني الصوفية لأنه لم يعدهم من أهل السنة والجماعة، وإنما لأنه لم يعدهم عقائديا، بل هو مذهب سلوكي ، فلم يستقل الصوفية بمذهب في إثبات قضايا التوحيد، بل كانوا يتبعون في العقيدة أهل السنة والجماعة إما بموقف أهل الحديث، أو موقف الأشاعرة والماتريدية.

الفقرة الثالثة:

الشيعة كفروا الصحابة، وأنكروا عليهم الخلافة وعدم أحقية خلافة الخلفاء الراشدين الثلاث الأوائل: أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان خلاف كلام

---

(1) إشارات المرام في عبارات الإمام، للشيخ يوسف عبد الرازق فى تعليقه ص298.

(2) لوامع الأنوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية، شرح الدرة المضية على عقائد الفرقة الناجية ص 73.

المتصوفة الذين يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإمامة لم يتم تحديدها من قبل الله، والإمامة فضل من الله يتفضل به على من يشاء من عبادة وليست خاصة لأحد، لذلك تجد أن الخلفاء الأربعة مذكرون في كتب طبقات التصوف وكتب التاريخ المختصة بأعلام أهل السنة، ولاتجد ذكر لهؤلاء الصحابة الكرام في كتب أعلام التشيع فمن ذلك بنى الشيخ علي جمعة كلامه حول هذه النقطة ليثبت أن التصوف ليس له علاقة بالتشيع لا من قريب ولا من بعيد، بل إن من حب المتصوفة الكرام للخلفاء الراشدين ترى بعضهم ينتسبون من حيث النسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق، وإلى سيدنا عمر بن الخطاب،وسيدنا عثمان بن عفان ،وهذا ما انتصر به الشيخ علي جمعة بالدليل والحجج العقلية ليبين ضعف أدلة من يرون أن التصوف هو التشيع فقال الشيخ:

"كما نجد كثيرًا من كتب طبقات الأولياء (كالحلية، وطبقات الشعرانى، تبدأ بترجمة الخلفاء الراشدين الأربعة على ترتيبهم عند أهل السنة فتبدأ بذكر أبى بكر الصديق فعمر بن الخطاب فعثمان بن عفان فعلى بن أبى طالب – رضى الله عنهم، ومن جهة أخرى فإن أعلام التصوف السنين – وكثير منهم من الأشراف المنتسبين لآل البيت – مذكورن في كتب طبقات التصوف وكتب التاريخ المختصة باعلام أهل السنة ولاذكرهم في كتب أعلام الشيعة.

وكما سنجد في أعلام التصوف كثير من أشراف آل البيت، سنجد أيضًا فيهم كثيرين ممن ينتسبون من حيث النسب – إلى سيدنا أبى بكر الصديق كالسادة البكرية بمصر، ومنهم من ينتهى نسبة إلى سيدنا عمر ابن الخطاب كالشيخ محمد بن عنان،وهو من كبار أولياء مصر، وإليه ينتهى نسب السادة العنانية بمصر، وله ترجمة في (طبقات الشعراوى) وكذلك الشيخ العارف الكبير الإمام الربانى أحمد السرهندى الفاروقى مجدد الألف الثانية، كذلك الشيخ خالد ضياء الدين وينتهى نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان، وكلاهما من كبار رجال النقشبندية وعليهما تدور سلاسل هذه الطريقة ، ومن جهة أخرى فليس في طبقات الصوفية التى يبين

أيدينا ترجمة لأحد من أعلام الشيعة، إلا من كان من الشخصيات الإسلامية العامة كسيدنا على ابن أبى طالب أو ابنيه السيدين الحسن والحسين، وغيرهما من أعلام آل البيت الذين لاتختص بهم فرقة دون أخرى، ولايعنى ترجمة أحد منهم في رجال التصوف أن التصوف صار شيعيًا،ومن جهة الممارسات اليومية فنجدمثلًا رايات الطرق الصوفية مثلًا تكتب في أركانها أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة (أبو بكر – عمر – عثمان – علي – رضي الله عنهم)، وهو ما يؤكد سنية هذه الطرق.

الفقرة الرابعة:

يرى هؤلاء القائلين بأن التصوف هو التشيع أن الصوفية شاركت الشيعة في المغالاة في حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدهم وأنهم غالوا في ذلك كما يفعل الشيعة، لكن الشيخ علي جمعة بين لهم عدم فهمهم للنص القرأني بأن القرآن يوصي بحب آل البيت وبحب قرابته صلى الله عليه وسلم ، وأن الصوفية لم يحبوا آل البيت وحدهم بل أحبوا جميع الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين، فردَّ الشيخ علي جمعة عليهم بالدليل والحجة النقلية والعقلية ليبين ضعف وفهم هؤلاء المخالفين فقال:(وأما ما قاله البعض من أن الصوفية شاركت الشيعة في المغالاة في حب آل بيت رسول الله ، وحدهم فقال: "بل أحبوهم ، واحبوا جميع الصحابة – رضوان الله عليهم، وكيف لا؟ وقد أمرنا بحب آل بيت النبويه، قال تعالى : ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُور**﴾ (1)، فالآية توصى بحب قرابته صلى الله عليه وآله وسلم ومودتهم، وجعل محبتهم في أعماق قلب كل مسلم والمغالاة لا تكون في المحبة، إنما تكون في الإعتقاد فطالما كان المسلم سليم الإعتقاد فلا حرج عليه في محبة آل البيت . رضوان الله

(1)سورةالشورى:{الآية: 23}.

عليهم – جميعًا، ومحبة آل البيت درجات يرزقها الله لمن أحبة، فكلما زاد حب المسلم لآل البيت إرتقى بهذا الحب في درجات الصالحين، لأن حب آل البيت الكرام علامة على حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علامة على حب الله عز وجل "[1]، وفي هذا المعنى قال الإمام الشافعى رضى الله عنه:

إن كان رفضًا حب آل محمد .... فليشهد الثقلان أني رافضي

وبهذا تبين حقيقة العلاقة بين التصوف وبين التشيع، وأن التصوف الإسلامي يتبع مذهب أهل السنة والجماعة وأنه يخالف الشيعة في المذهب والاعتقاد.

(1)البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية فى قضايا عاجله، ص308، ص309.

المطلب الرابع: الآثار المترتبة علي هذه المسألة.

1- ما ذهب إليه الشيخ علي جمعة في هذه المسألة هو عين الصواب لأن التصوف الإسلامى بعيد كل البعد عن أفكار المذهب الشيعي العقدي والتصوف الإسلامي ليس مذهبًا عقائديًا بل هو منهج تربوى سلوكى إسلامى يستهدف بالدرجة الأولى تطهير النفس وتزكية الروح وتربية الشخصية المسلمة تربية أخلاقية بل هو الجانب العاطفي من الإسلامى.

2. يرى القائلين بأن أصول الشيعة وعقائدهم تتماذج مع أصول الصوفية في كل شيء، بينما يرى الصوفية ومنهم الشيخ علي جمعة أن أصول الشيعة وعقائدهم تخالف أصول الصوفية السنين جملة وتفصيلاً"(1).

3. الشيعة كفروا الصحابة، وأنكروا عليهم الخلافة وعدم أحقية خلافة الخلفاء الراشدين الثلاث الأوائل: أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان خلاف كلام المتصوفة الذين يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإمامة لم يتم تحديدها من قبل الله، والإمامة فضل من الله يتفضل به على من يشاء من عبادة وليست خاصة لأحد.

(1) البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافيه فى قضايا عاجلة ص308.

المسألة الثالثة
جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسل

المطلب الأول: تأصيل المسألة وتوثيقها من كتب الشيخ.

توطئة:

من المسائل التى قال فيها بعض المخالفين في الوقت الراهن تحريم التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، في الدعاء إلى الله وعد ذلك شركًا بالله ويتصدون من يفعل ذلك ويتهمونه بالشرك، ومن خلال إستقراء هذه المسألة إستبان أن المخالفين يفرقون في هذه المسألة بين التوسل في حياة النَّبىّ **صلى الله عليه وسلم** ، وبعد مماته غير أن المتصوفه السنيين يرون غير ذلك ولم يفرقوا بين الأمرين ولم يشذ في هذه المسألة سوى ابن تيميه ومن ردد كلامه.

تعرض الشيخ لهذه المسألة في كتبه[1] المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم المسألة من مسائل، الفقه والإعتقاد، البعض يلحقها بمسائل الفقه، والبعض الآخر يلحقها بمسائل الإعتقاد، غيرأن المخالفين يحملونها على المتصوفة، والرأى عندهم جواز ذلك ولم يفرقوا بذلك في حياته صلى الله عليه وسلم ، ولا بعد انتقاله.

ومن العبارات الدالة على انتصار الشيخ قوله "ولم يشذ إلا ابن تيمية حيث فرق بين التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، في حياته وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم ، ولا عبرة

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة اهم قضاياهم ص70 بعنوان. تحريم التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم وعده شركًا بالله . ، كتاب البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص181 بعنوان (هل يجوز التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم) في الدعاء بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم، فتاوى النساء فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ص53 بعنوان (حكم التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم، عقيدة اهل السنة والجماعة ص160 بعنوان (التوسل بالنَّبىّ محمد صلى الله عليه وسلم).

لشذوذه"[1].

وعبارة "ولا عبرة لمن شذ عن إجماع العلماء كابن تيمية ومن ردد كلامه من بعده[2].

المطلب الثاني: قول المخالفين لهذه المسألة بعدم جواز التوسل بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم.

في هذه المسألة التي اضطرب فيها الكثير من أهل العلم وثار حولها الجدل وتكلم فيها القديم والحديث من العلماء، علي أن المسلمين أجمع كلهم عليها قبل ابن تيمية ومن تبعه، وهذه المسألة فيها كلام كثير من قِبَل المخالفين تحتاج إلى بحث طويل لكن حتى لا يُستطرد فيها الكلام الكثير نورد واحدًا من المخالفين والمعارضين المعاصرين الذي سار على نهج السابقين من مشايخهم مثل ابن تيمية وهو الشيخ الألباني.

رأى المخالفين في ذلك: ومن هؤلاء الألباني:

فرق الألباني بين التوسل بذات النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وبين طلب الدعاء في كتابه التوسل أنواعه وأحكامه[3] حيث أنه استشهد بما ذكره ابن تيمية في كتابة الموسوم باسم قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة حيث يقول ابن تيمية: "ولم يكن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا الناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ويستشفعوا بهم، لابعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: (يا ملائكة الله اشفعوا لى عند الله، لله لنا أن ينصرنا أو يبرزقنا أو يهدينها)، وكذلك لا يقول لمن مات من الانبياء والصالحين: (يانبي الله ياولي الله (الأصل: رسول الله) أدع الله لى، سل الله لى، سل الله أن يغفر لى)... ولايقول: أشكو إليك ذنوبى أونقص رزقى أو تسلط العدو علي أو أشكو إليك فلانا الذى

---

(1) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص70.

(2) المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص80.

(3) التوسل أنواعه وأحكامه ، لمحمد ناصر الدين الألبانى: ، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ط1 1421هـ -2001م، ص121.

ظلمنى، ولايقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجبر من يستجبيرك ولايكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضرًا أنه استجار بفلان، ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين كما يفعله النصارى في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند القبور الأنبياء والصالحين، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا لأمته وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئا من ذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحابه رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا الأئمة الأربعة ولاغيرهم، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ولاغيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النَّبىّ صلى الله عليه وسلم عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته، أو يشكو إليه مانزل بأمته من مصائب الدنيا والدين ... الخ [1].

المطلب الثالث: قول المجوزين لهذه المسألة (جواز التوسل بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، وعدم التفريق في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله الشريف).

وفيه أربع فروع:

الفرع الأول:

ردّ الشيخ علي جمعة على المخالفين بآراء السابقين.

هذه المسألة تصدى لها علماء كثيرون من المتصوفة يقولون بجوازها، وقيض الله عز وجل لهذه الأمة عالمًا جليلًا دافع عن التصوف بصفة عامة وعن هذه المسألة بصفة خاصة ليرد على

---

(1) قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ابن تيمية، ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان – عجمان، الطبعة: الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ - 2001هـ ص19.

المخالف ليبين ضعف قوله وقلة حجتة وعدم فهمه لنص أحيانًا، أو فهم ماقاله العلماء السابقين في بيان معنى الأية الكريمة أو الحديث الشريف فأورد الشيخ أدلته حول هذه المسألة من القرأن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأقوال الفقهاء المعتمدين.

من الذين أجازو هذه المسألة ولم يفرقوا بين حياته صلى الله عليه وسلم وبين انتقال الشريف الشيخ علي جمعة ، يرى الشيخ ردًا على هؤلاء المخالفين أن التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم مسألة اتفقت عليها كلمة الفقهاء ومذاهبهم، وقد اتفقت المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالبنى **صلى الله عليه وسلم** بل استحباب ذلك، وعدم التفريق بين حياته صلى الله عليه وسلم وإنتقاله الشريف صلى الله عليه وسلم ولم يشذ إلا ابن تيمية حيث فرق بين التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته، ولا عبرة لشذوذه، وساق الشيخ أدلة قاطعة من الكتاب والسنة ليدلل بها ويبرهن على جواز التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته.

تفنيد رأي المخالف ابن تيمية الذي ذكره الألباني:

حيث ذكر ابن تيمية في معرض كلامه أنه لم يكن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الأنبياء قبلة دَعَا أو استشفع بالملائكة أوالأنبياء أو الصالحين لا في حياتهم ولا في مغيبهم.

من آراء السابقين حول هذه المسألة العلامة تقى الدين السبكى:

ومن هؤلاء السابقين الذين استشهد الشيخ بهم على هذه النقطة السابقة العلامة تقي الدين السبكى حيث قال: "أعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحُسنه من الأمور المعلومة لكل ذى دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف والصالحين والعلماء والعوام من المسلمين "لم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان ولاسمع به في زمن الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في

ذلك بكلام التبس فيه على الضعفاء والأغمار، وابتدع مالم يسبق إليه في سائر الاعصار[1].

من أقوال المخالف:

ذكر ابن تيمية مانصه أنه ليس هناك أحد من الفقهاء استحب التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أئمة المسلمين استحبوا التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم عند قبرة أن يشفع له أو يدعو لأئمة أو يشكو إليه مانزل بأمته من مصائب الدنيا والدين.

الفرع الثاني: ردّ الشيخ على قول المخالف من القرآن الكريم.

الشيخ علي جمعة ردًا على المخالف بأن ذكر أقوال الفقهاء من المذاهب المعتمدة لدى الأمة ليردّ على ما قاله ابن تيمية لهذه النقطة السابقة فأورد الشيخ الأدلة الدامغة من القرآن الكريم ليدلل على انتصارة وردة على قول ابن تيمية أنه ليس هناك أحد من الفقهاء ولا أئمة المسلمين ولا غيرهم من المسلمين استحبوا التوسل وأجازوه بالنَّبى ّ صلى الله عليه وسلم فأورد الشيخ هذه الآيات واستشهد بها ليدلل على بطلان قول ابن تيمية ومن ورد كلامة قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾[2].

وجه الدلالة على هذه الأية

هذه الأية تدل علي جواز التوسل بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وعدم التفريق بين حياته وانتقاله الشريف صلى الله عليه وسلم

شرح وتفسير الشيخ علي جمعة لهذه الأية:

هذه الآية مطلقه ليس لها مقيد نص ولا عقلى، فليس هناك ما يقيد معناها بحياة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم الدنيوية، فهى باقية إلى يوم القيامة، فالعبرة بالقرآن دائمًا بعموم اللفظ وليست

---

(1) تقى الدين السبكى: شفاء السقام فى زيارة خير الأنام، ص119.

(2)سورة النساء الآية: 64)

بخصوص السبب، ومن زعم تخصيص تلك الأية بحياته صلى الله عليه وسلم أو تخصيصها به، فعليه أن ياتى بالدليل، فالإطلاق لايحتاج إلى دليل، لأنه الأصل، والتقيد هو الذى يحتاج للدليل "[1].

2-الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

وجه الدلالة على هذه الآية:

هذه الآية تأمرنا أن نتقرب إلى الله عز وجل بكل أنواع القربات وأن نتوسل بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بالدعاء فهو من أعظم القربات.

شرح وتفسير الشيخ لهذه الأية:

"هذه الآية تأمر المؤمنين أن يتقربوا إلى الله بشتى أنواع القربات، والتوسل إلى الله بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم في الدعاء من القربات، التى ستثبت تفضيلًا في استعراض أدلة السنة، وليس هناك ما يخصص وسيلة عن وسيلة فالأمر عام بكل أنواع الوسائل التى يرضى الله بها، والدعاء عبادة ويقبل طالما أنه لم يكن بقطيعة رحم، أو إثم، أو احتوى على ألفاظ فتعارض أصول العقيدة ومبادئ الإسلام "[3].

1- **الآية الثالثة** ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[4].

---

(1) المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص72.

(1) سورة المائدة:{ الآية: 35}.

(2) سورة المائدة:{ الآية: 35}.

(3)المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، ص71.

(4) سورة الإسراء: { الآية:57}.

وجه الدلالة على هذه الآية:

الثناء والحمد من الله على الذين تقربوا إلى الله بالوسيلة.

شرح وتفسير الشيخ لهذه الأية:

"يثنى الله عز وجل على هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا الله، وتقربوا إليه بالوسيلة في الدعاء"(1)

أقوال بعض المفسرين لشرح هذه الآيات:

ما ذكره الشيخ يتفق مع أكثر المفسرين لهذه الآيات، بل ذكر الشيخ نفسه في كتاباته بعض أسماء المفسرين الذين فسَّروها على نفس المعنى ليبين أن هؤلاء المخالفين عندهم ضعف في أقوالهم في مخالفتهم في فهم النص فعضدد الشيخ تفسيره لهذه الآيات بقول بعض المفسرين فقال: "هذا ما فهمه المفسرون، بل أكثر المفسرين التزامًا بالأثر، كالحافظ ابن كثير رحمه الله، فقد ذكرالآية وعقب عليها بقوله:"وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو النصرالصباغ في كتابه الشامل "هذه القصة المشهورة، عن العتبى قال: "كنت جالسا عند روضه النَّبيّ صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفر مستشفعًا بك إلى ربى، ثم أخذ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم؟

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

(1) المتشددون، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، ص 71.

فيه العفاف وفيه الجود والكرم.

ثم انصرف الأعرابى، فغلبتنى عينى، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عتبى الحق الأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له"(1) وروى القصه كذلك البيهقى (2).

الفرع الثالث: رَدُّ الشيخ على المخالفين بالأحاديث النبوية المطهرة.

انتصر الشيخ علي جمعة لهذه المسألة من السنة النبوية الدالة على جواز التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته لبيان ضعف قول المخالف في فهم النص والسياق وعدم فهمه للحديث الشريف، ومن أدلة المخالفين الرافضين للتوسل أو بعض المخالفين الذين فرقوا في التوسل بحياته صلى الله عليه وسلم وبعد مماته حيث استشهد هؤلاء ببعض الأحاديث الدالة على تحريم وعدم جواز التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم وتفريقهم في التوسل في حياته وبعد مماته ومن هؤلاء (نصر الدين الألبانى) حيث استشهد بحديث الأعمى على النحو التالي:

1- ساق المخالف (الألبانى) في كتابه التَّوسل أنواعه وأحكامه وآتى ببعض الأحاديث، ومن هذه الأحاديث حديث الأعمى(3) حيث شرح الحديث وبين المراد منه فقال:

" أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النَّبىّ صلى الله عليه وسلم أو غيره

---

(1) تفسير ابن كثير، ج1 ص521

(2) شعب الإيمان، ج3، ص496، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (9/ 244)، ذكر حديث عثمان بن حنيف.

من الصالحين ؟ إذ فيه أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيرًا

وأما نحن فنرى أن هذا الحديث لاحجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل أخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع؛ لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه، والأدلة على ماتقول من الحديث نفسه كثيرة، وأهمها:

أولًا: أن الأعمى إنما جاء إلى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ليدعو له، وذلك قوله: "ادع الله أن يعافنى" فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه صلى الله عليه وسلم لانه يعلم أن دعاءه صلى الله عليه وسلم أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النَّبىّ صلى الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتى النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلًا: "اللّٰهم إن أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفينى، وتجعلنى بصيرًا" [1] ولكنه لم يفعل لماذا؟ لأنه عربى يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجه، يذكر فيها اسم المتوسل به، بل لابد أن يشتمل على المجئ إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنه، وطلب الدعاء منه له[2].

ثانيًا: أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وعده بالدعاء مع نصحه له بيان ماهو الأفضل له [3] وهو قوله صلى الله عليه وسلم : "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خيرلك"وهذا الأمر الثانى هو ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه عن ربه تبارك وتعالى

(1) انظر كتاب التوسل أنواعه وأحكامه ص70.

(2) محمد ناصر الدين الإلبانى ص70 .

(3) محمد ناصر الدين الإلبانى ، ص71.

أنه قال: "إذا ابتليت عبدى بحبيبتية – أى عينية – فصبر، عوضته منهما الجنة"[1].

ردًّ الشيخ علي جمعة على المخالف لهذه الفقرة السابقة.

قام الشيخ علي جمعة بتنفيذ دعاوى هؤلاء المخالفين القدامى والمعاصرين ممن تكلموا عن هذا الحديث وغيره الخاص بجواز التوسل بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فذكر الشيخ تعقيبًا على حديث الأعمى فقال:

1- وهذا الحديث دليل على استحباب هذه الصيغة من الأدعية حيث علمها النَّبىّ صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه وأظهر الله معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث استجاب لدعاء الضرير في المجلس نفسه، فإذا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا من أصحابه صيغة للدعاء، ونقلت إلينا بالسند الصحيحة فدل ذلك على اسحباب الدعاء بها في كل الاوقات حتى يرث الله الارض ومن عليها، وليس هناك مخصص لهذا الدعاء لذلك الصحابى وحده، ولا مقيد لذلك بحياته صلى الله عليه وسلم فالأصل في الأحكام والتشريعات أنها مطلقه وعامة، إلا أن يثبت المخصص أو المقيد[2].

وجه الدلالة من كلام الشيخ علي جمعة.

قام الشيخ علي جمعة بهذا الرد العلمى القويم حيث بَيْنَ تهافت أدلة المخالف وانتصر لرأيه بالحجج العقلية الدامغة،وعدم فهم المخالف المراد من الحديث وهو التقييد والتخصيص بخلاف فهم الشيخ حيث يرى أنه ليس هناك مخصص لهذا الدعاء لذلك الصحابى وحده ولامقيد لذلك بحياته ولابعد مماته ولو كان في الحديث مقيد لكان لهذا الصحابى وحده وكما بين الشيخ أن الأصل في الأحكام والتشريعات أنها مطلقة وعامة إلا أن يثبت المخصص أو المقيد لذلك.

(1)صحيح البخاري (5/2140)، كِتَابُ المَرْضَى، بَابُ فَضْلِ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، برقم ،5329 .

(2)المتشددون منهجهم ..ومناقشة أهم قضاياهم ص ص76 .

وهذا يعد من انتصارات الشيخ في الرد على المخالفين وإفحامهم ومما يدعم ويعضد رأى الشيخ علي جمعة وانتصاره لهذه المسألةحيث ساق أدلة دامغة ومفحمة للمخالف من السنة النبوية المطهرة كثيرة في بعض كتبة[1] ومنها:

1- قصة الاستسقاء بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم عند قبره في زمن عمر، فعن مالك الدار – وكان خازن عمر (رضى الله عنه) – قال: "أصاب الناس فحط في زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: "ائت عمر، فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم يسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس" فأتى الرجل عمر فأخبر عمر فقال: "يارب ما آلو إلا ما عجزت"[2]

2. وهذا حديث صحيح صححه الحافظ ابن حجر العسقلانى حيث قال مانصه: "وروى ابن أبى شبيه بإسناد صحيح من رواية أبى صالح السمان عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال: يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر ... الحديث.

3. وقد روى سيف في الفتوح أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة [3]، وقد ذكر الرواية كذلك الحافظ ابن كثير وقال: هذا إسناد صحيح [4]، والحديث قد صححه كبار (الحفاظ، فيصلح أن يكون دليلًا على جواز الطلب من النَّبىّ صلى الله عليه وسلم بالاستسقاء والدعاء بعد إنتقاله الشريف صلى الله عليه وسلم [5].

(1) المتشددون منهجهم ..ومناقشة أهم قضاياهم ص 71.

(2) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه، ج6، ص 356، وابن عبد الله فى الاستعاب، ج3، ص1149 .

((3)) فتح البارى، لابن حجر، (ج2، ص495، 496).

((4)) البداية والنهاية لابن كثير، ج7، ص90 .

(5)المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم ص79 .

الفرع الرابع:

أقوال الفقهاء المعتمدين حول هذه المسالة.

بعد أن استشهد الشيخ علي جمعة بنصوص من القرآن الكريم وفسَّرها تفسيرًا واضحًا شافيًا وافيًا كافيًا وسَاق بعض أسماء المفسرين لهذه الآيات ليتضح لنا أن الآيات دالة على جواز التوسل بالنَّبىّ في حياته وبعد مماته، ثم عضدد الشيخ حجته لهذه المسألة بكلام الفقهاء أصحاب المذاهب المعتمدة الذين استدل أغلبهم بهذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1]

فقال الشيخ:

1- "وقد استدل بتلك الآية أغلب الفقهاء على استحباب زيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم كما استحبوا قراءتها أثناء زيارة روضته الشريفة صلى الله عليه وسلم فذهب الحنفية إلى استحباب قراءة الآية عند قبره الشريف، ففي "الفتاوى الهندية" في أداب زيارة قبر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم مانصه: ثم يقف عن رأسه صلى الله عليه وسلم كالأول ويقول:اللّٰهم إنك قلت – وقولك الحق: ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾[2].

2- ومن المالكية يقول ابن الحاج العبدري: (فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل محط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا؛لأن بركه شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عندربه لايتعاظمها ذنب، إذا إنها أعظم في الجميع، فليستبشر من زاره، ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزروه اللّٰهم لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك أمين يارب العالمين.

---

(1) (النساء: 64)

(2) الفتاوى الهندية، ج1، ص266. لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية، 1310 هـ

ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم؛ ألم يسمع قول الله عز وجل: ﴿جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [1]، فمن جاء وقف ببابه وتوسل به، وجد الله توابًا رحيما ؛ لأن الله عز وجل منزه عن خلف الميعاد، وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبه لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر به، فهذا لايشك فيه ولايرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من الحرمان[2].

3. وقال إمام الشافعية الإمام النووى في بيانه لآداب زيارة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم "ثم يرجع إلى موقفه الأول قباله وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في حق نفسه، ويشتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ماحكاه الماوردى والقاضى أبو الطيب، وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال : "كنت جالسًا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يارسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾﴾، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبى، مستشفعا بك إلى ربي ..)[3]ثم ذكر القصة التى أوردها ابن كثير.

4. وفي مذهب الحنابلة يرشد الإمام ابن قدامة إلى تلاوة تلك الآية ومخاطبة النَّبىّ صلى الله عليه وسلم بها، وطلب الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم في آداب زيارة قبره الشريف، فبعد أن ذكر السلام عليه والدعاء له والصلاة عليه قال: "اللّٰهم انك قلت – وقولك الحق ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ

(1) سورة النساء {من الآية:64}.

(2) المدخل، ج1، ص260لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ)، الناشر: دار التراث.

((3)) المجموع، للإمام النووى، ج8، ص256

﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ وقد أتيك مستغفرًا من ذنوبى، متشفعًا بك إلى ربى، فأسألك يارب أن توجب لى المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللّهم اجعله أول الشافعين، وانجح السائلين وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يأرحم الراحمين، ثم يدعوا لوالدية ولإخوانه وللمسلمين أجمعين[1]

وصرح العلامة الرحبياني[2] من الحنابلة باستحباب قراءة الآيه عند قبره الشريف أثناء الزيارة حيث قال في إرشاده لخير ما يقال أثناء الزيارة مانصه: " اللّهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾[3]، وقد أتيك مستغفرًا من ذنوبى، مستشفعًا بك إلى ربى، فأسألك يارب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللّهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الأولين والأخرين، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم يدعو لوالديه ولإخوانه وللمسلمين، أجمعين[4].

---

(1) المغنى، لابن قدامه، ج3، ص298. لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة

(2)هو: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي: فرضي، كان مفتي الحنابلة بدمشق. ولد في قرية الرحيبة ، وتفقه واشتهر وولي فتوى الحنابلة سنة 1212 هـ وتوفي بدمشق. له مؤلفات، منها: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى

انظر:فهرس الفهارس (2/ 1023)، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، والأعلام للزركلي (7/ 234).

(3) سورة النساء (الآية:64).

(4) مطالب أولى النهى ، ج2، ص441، لمصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: 1243هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1415هـ - 1994م

المطلب الرابع: النتائج المترتبة على هذه المسألة.

1- إبطال قول المخالفين بأنهم قالوا بالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئا من ذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحابه رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، غير أن الشيخ هدم حجتهم ودليلهم وأقوالهم.

2. استند الشيخ في ردّه على قول المخالف بالأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وأقوال الفقهاء والمفسرين المعتمدين.

3. يرى المجَوِّزُونَ لهذه المسألة بجواز التوسل بالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وعدم التفريق في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله الشريف، بينما المخالفون يفرقون بين حياته صلى الله عليه وسلم وبين انتقاله الشريف.

4." أجمع علماء الأمة من المذاهب الأربعة وغيرها على جواز واستحباب التوسل بالنَّبىّ صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم واتفقوا على أن ذلك لا يحرم قطعًا، وهو مانراه أن التوسل بالنَّبىّ مستحب، وإحدى صيغ الدعاء إلى الله عز وجل المندوب إليها، ولا عبرة لمن شذ عن إجماع العلماء كابن تيمية ومن ردد كلامه من بعده، والله تعالى أعلى وأعلم[1].

5. ويتبين من خلال العرض السابق أن أدلة الشيخ علي جمعة قوية وتتسم بالحيادية والإنصاف والموضوعية والوسطية البعيدة عن المغالاة التى يجنح إليها المخالفون من ذوى العقول الكليلة والفهم السقيم.

(1) المتشددون، ص80 .

الفصل الرابع

قواعد وآداب التصوف عند الشيخ علي جمعة

ويشتمل علي مبحثين:

المبحث الأول: قواعد التصوف عند الشيخ علي جمعة.

المبحث الثاني: آداب التصوف عند الشيخ علي جمعة.

المبحث الأول
قواعد التصوف المستنبطة عند الشيخ علي جمعة

توطئة:

الشيخ علي جمعة سار علي نهج السادة السابقين من المتصوفة في تأسيسهم لقواعد التصوف وهذه القواعدكثيرة وعظيمة جمعت بين العلم والعمل، بين الشريعة والحقيقة، وغير ذلك، وأورد معظم هذه القواعد في كتاب اسماه الطريق إلي الله، وشرح الشيخ فيه مراحل السير إلي الله، وما أبداه أهل السلوك والمعرفة بالله، وهناك بعض القواعد التي ذُكِرَت في الفصل الأول وهي قواعد أسس لها الشيخ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأسس بها الطريق سيرًا علي نهج السابقين ، وفي هذا المبحث من الفصل الرابع نذكر بعض قواعد التصوف التي استنبطها الشيخ علي جمعة من كلام أهل العلم من السادة الصوفية ومنها:

القاعدة الأولي: الدَّيْمومَة على العمل.

القاعدة الثانية: من قواعد الطريق إلى الله: ﴿ أن خلوتنا في جلوتنا﴾.

القاعدة الأولي:

الدَّيْمومَة على العمل(1).

وهذه قاعدة من قواعد الطريق إلي الله التي تحقق هذا المعني أن يكون للسالك في طريق الله مواظبًا على أعماله وإن كانت قلية، وكما قال بعضهم، قليل دائم خير من كثير منقطع.

الدليل على هذه القاعدة عند الشيخ:

الدليل الأول من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾(2).

الدليل الثاني من السنة النبوية المطهرة:

1. قول النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : (أحب الأعمال إلي الله أدومها، وإن قل)(3).

2. عن عَلْقَمَة قَالَ قلت لعَائِشَة رضى الله عَنْهَا هَل كَانَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم (يخص من الْأَيَّام شَيْئا قَالَت لَا كَانَ عمله دِيمَة)(4).

وجه الدلالة على هذه القاعدة:

هو المواظبة علي الأعمال والأوراد بدون انقطاع حتى يترقي إلى الله تعالي فتحدث له أنوار وأسرار فَيَصل بذلك إلى رب العالمين.

---

(1)هذه القاعدة أصَّل لها غير واحد من المتصوفة ومنهم، الشيخ زروق رحمه الله في قواعده، المرشد المعرِّفُ بمعاني وأسرار قواعد التصوف، شرح وتحليل د. طه حبيشي، مكتبة الإيمان، المجلد الثاني، الطبعة الأولي، 2105ص133.

(2) سورة الحج:{الأية:77}

(3)أخرجه البخاري في صحيحه:(5/ 2273)، ومسلم في صحيحه: (1/ 541).

(4)أخرجه البخاري في صحيحه: (2، 701)، ومسلم في صحيحه: (1/ 541).

شرح القاعدة:

أهل الله يقولون: (إذا انقطع الوِردْ انقطع الوارد)، فقولهم كـ(من قطع الوِردْ)، والوارد هو الذي يرقيه، والوارد هو الذي يجعل هناك تطورًا وتقدمًا، وسعيًا متصلًا في الطريق، هذا هو نفس معنى قولهم (ملتفت لا يصل)؛ لأن الملتفت ينقطع عن السير، فينقطع عن الوصول، حيث أنه يلتفت يمينًا ويسارًا كل خطوة، والوارد هذا قد يشتمل على أسرار، وقد يشتمل على أنوار، والوارد يوجه الإنسان، وإن كانت مردودة إلى الملك أو الملكوت، لكن سننتقي منها ما يعلمنا الأدب مع الله، فالواردات من أنوار وأسرار تعلمنا الأدب مع الله، فنزداد بذلك أدبًا، فنصل إلى رب العالمين، ولكن من قَطَعَ الورد قَطع الوارد.

الورد يبدأ بالبناء؛ نريد أن نبني شيئًا وكأنه مخزن نخزن فيه الأنوار والأسرار، فكيف ننشئ هذا؟ فتأملوا في أسماء الله ووجدوا منها سبعة تبنى عليها الأعمدة، ويبنى عليها الباب، وتبنى الأسقف على هذه الأعمدة فتحدد، ثم بعد ذلك جاء الشيخ عبد القادر الجيلاني وقال: إن هذا البناء يحتاج إلي حوائط حتي يكون مخزنًا، واختار ستة أسماء للتلاوة بعد السبعة[1].

هذه الأعمدة الأصل فيها الديمومة على العمل ويكون هذا العمل خالصا لله سواء كان هذا العمل دنيوي أو أخروي ولذلك فصَّل الإمام الشاطبي أبعاد هذا العمل وهذه الديمومة التي توصل السالك إلي مراده وهو رضا لله عز وجل وهذا العمل علي أمرين:

أولًا: أن طلب الجنة أو الهروب من النار سعي في حظ لا فرق بينه وبين طلب الاستمتاع بما أباحه الشارع وأذن له فيه من حيث هو حظ إلا أن أحدهما عاجل والآخر آجل.. ولما كان طلب الحظ الآجل سائغًا كان طلب العاجل أولي بكونه سائغًا.. والقرآن قد جاء بأن من عمل جوزي ....، والنَّبِي ّ صلى الله عليه وسلم كان يسأل عن العمل الذي يدخل الجنة

(1)الطريق إلى الله ص99.

ويبعد عن النار فيخبر به من غير احتراز ولا تحذير من طلب الحظ في ذلك، وقد أخبر الله تعالي عمن قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا﴾[1] بقولهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2].

ثانيًا: وفي نفس الوقت، فإن الأعمال المشروعة إذا عملت للتوصل بها إلي حظوظ النفوس فقد صارت غير متعبد بها إلا من حيث الحظ فالحظ هو المقصود من بالعمل لا التعبد فأشبهت العمل بالرياء لأجل حظوظ الدنيا من الرياسة والجاه والمال وما أشبه ذلك ... وكل عمل من عادة أو عبادة مأمور بها فحظ النفس متعلق به فإذا أخذ من ذلك الوجه لا من جهة كونه متعبدًا به سقط كونه عبادة فصار مهمل الاعتبار في العبادة فبطل التعبد به....فإذا لم يكن له إلا مجرد التعبد فحقه أن يقوم به من غير طلب حظ فإذا طلب الحظ بالعمل لم يكن قائمًا بحقوق السيد بل بحظوظ نفسه، والنصوص الدالة علي ذلك كثيرة[3]، منها: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ "[4] وقوله تعالي: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[5] وفي الحديث: "فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو إلي امرأة ينكحها

(1)سورة الإنسان{ جزء من الآية: 9}.

(2)سورة الإنسان{ جزء من الآية: 10}.

(3) الكنز الفريد في التصوف الرشيد، الجامع لفقه التدين وقواعد السلوك، أول شرح على قواعد التصوف للإمام أحمد بن زروق الفاسي، تأليف بدوي محمود الشيخ، دار السلام، طبعة الاولي، الجزء الثاني ص1063.

(4)سورة البينة { جزء من الآية: 5}.

(5)سورة الكهف: {الآية: 110 }.

فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وقد وضع الشيخ زروق رحمه الله تعالى قاعدة يبين فيها أن التصوف لا يعرف إلا مع العمل فقال: (الأغلب في الظهور لازم في الاستظهار بما يلازمه، وقد عُرف أن التصوف لا يعرف إلا مع العمل به، فالاستظهار به عمل دون تدليس، وإن كان العمل شرط كماله)(1).

فيتبين لنا من ذلك أن العمل لابد أن يكون خالصًا لوجه الله عز وجل فإن كان خالصًا ترقي صاحبه وانكشف له أسرار وأنوار وخصوصًا لو بدأ هذا العمل بالذكر الذي هو مفتاح كل عبادة كما وضح ذلك الشيخ علي جمعة فقال:«إذا فلنبدأ لمن أراد أن يبدأ بذكر (لا إله إلا الله) مائة، ثم بعد ذلك إذا انتهي منها يدخل في: (يا الله)، ثم (يا هو)، ... وبمثل هذا لا بد أن الشيخ انكشف له فيه سر، وأذن له فيه، فأذن لنا؛ لأنه لا يستطيع أن يأذن من نفسه، أو من هواه؛ لأن هؤلاء الناس تخلصوا من هواهم، فاقرأوا هذا وابدأوا فيه، ثم بعد ذلك يفتح الله سبحانه تعالي على من يشاء، ولا يكون مقصود واحد منكم أن يترقى أو أن يكون خيرًا من صاحبه، بل لا يكون المقصود هو عبادة الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأنه ينبغي علينا أن نخلص الأمر كله لله، فإذا سرنا على هذا فالأمر واضح(2).

(الديمومة على العمل)، منها (الأعمال بمقاصدها)، وهذا ما آكد عليه الشيخ زروق في قواعده التي وضعها وهي قوله: "العائدة على قدر الفائدة، وهي معتبرة بأنفسها ومقاصدها، لا أعدادها، إذ رُبّ فضل أدى لفضول كثيرة، فصار المحمود في الجملة مذمومًا بالنسبة، كتتبع الفضائل. والعمل في المنافع العامة مؤد لأعظم الضرر بحسب الزمان والعقول، فلولا الأول ما طلب الفقير شيئًا من ترّهات البطالين، كالكنوز والكيمياء ونحوها مما لا يطلبه إلا

(1)المرشد المُعرَّفُ بمعاني وأسرار قواعد التصوف، المجلد الثاني ص 133.

(2)الطريق إلى الله ص 101.

من قل دينُه وعقلُه ومروءتُه وفلاحُه ... "[1].

الشرح والتعليق:

وضح الشيخ زروق في هذا المعنى، أنه ما من تاجر ولا صانع، ولا زارع، ولا عامل في أي جهة من جهات العمل التي تعود فائدته عليه إلا وهو ينظر إلي الفائدة، فالعائدة علي قدر الفائدة، فالفائدة إذًا هي المعتبرة عند تقدير العوائد وهي المقصد الذي يتطلع إليه كل عامل وسالك، بحيث لا يلتفت العامل إلي تكرار العمل وإلى تعدد المزاولة؛ فربّ عمل واحد يعمله العامل يؤدي في غايته ومنتهاه إلى فضل كثير يعود على صاحبه، وهو يتفوق علي فضول أعمال تعددت وكثرت يكون فضل قيمتها مجتمعة أقل مما حصل عليه من هذا العمل الواحد[2].

وهذا ما وضحه أيضًا الشيخ علي جمعة في هذه القاعدة(الدَّيمومَة على العمل) أن نعدد الأعمال وأفضل هذه الأعمال كثرة الذكر لله عز وجل لأن الذكر يجد السالك قلبه ويجد نفسه فيه كما قال الشيخ: «..الذكر يجد المكلف قلبه فيه، والاسم الذي هو كذلك يشتغل به المكلف إلى أن يموت؛ مع الورد العادي الذي هو الاستغفار، والصلاة على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، و(لا إله إلا الله) في الصباح وفي المساء، وبهذا يكون الإنسان قد دخل في دائرة الذَّاكرين، ثم بعد ذلك يفعل ما يشاء، وليس المقصود أن يفعل ما يشاء من إثم ومعصية، بل يفعل ما يشاء من عبادة، وذكر وتوجُّه إلى الله، وزيادة في الخير ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3] فهذا هو المقصود بالكلام[4].

---

(1)المرشد المُعرَّفُ بمعاني وأسرار قواعد التصوف، الجزء الثالث ص 381.

(2)المرشد المُعرَّفُ بمعاني وأسرار قواعد التصوف، الجزء الثالث ص383.

(3)سورة الحج : {الآية: 77}

(4) الطريق إلي الله ص 102.

القاعدة الثانية:

(أن خلوتنا في جلوتنا)[1].

الأدلة علي هذه القاعدة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2]

قوله تعالي: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[3]

2. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[4].

الأدلة على هذه القاعدة من السنة النبوية المطهرة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[5].

وجه الدلالة على هذه القاعدة:

هو أن نلهج بذكر الله عز وجل في أنفسنا، وأن نكثر من التسبيح والتحميد والتمجيد في الصباح والمساء، وأن الذكر في الخلوة التي يكون بالليل أفضل من النهار فوجب علي المختلي

---

(1) هذه قاعدة انفرد بها الشيخ، لكن هناك من تكلم في معناه وجعلها قاعدة من هؤلاء الشيخ زروق رحمه الله تعالي ورضي عنه بعنوان (الخلوة الحقيقية والضوابط والخواص)، المرشد المُعرَّفُ بمعاني وأسرار قواعد التصوف، ج. الرابع، ووضح الشيخ عدة معاني في هذه القاعدة منها: تعريف الخلو، ومدتها، ووظيفتها، ومقاصدها، والخلوة والشيخ، ص 62

(2) سورة الأنعام: { من الآية: 91 }.

(3) سورة البقرة: {الآية: 152}.

(4) سورة الأحزاب: {الآية :41}.

(5) أخرجه ابن حبان في صحيحه: (96/3)، والضياء المقدسي في المختارة: (60/9)، والحاكم في المستدرك: (672/1)، وابن ماجه في سننه: (1246/2)، والترمذي في سننه: (458/5).

هذا لا يتوقف عن ذكر الله حتى يجف لسانه، فإذا جف كان عند الله أفضل من ريح المسك.

شرح القاعدة:

الشيخ يؤسس في هذه القاعدة أن الإنسان مطالب للوصول إلي الله . عز وجل . وأن ينفرد مع نفسه بالتسبيح والذكر ووضح الشيخ كلامه فقال: ومن الأسس أن (خلوتنا في جلوتنا)، أي أن التسبيح في الخلوة التي ينفرد فيها الإنسان، والتي تكون بالليل أفضل من خلوة بالنهار، والتي تكون علي وضوء أفضل ممن لا يكون كذلك، والتي فيها لبس البياض أفضل من لبس غيره، وكل هذه الأشياء هي مساعدات وليست هي الأصل، ولكن حسب طاقة الإنسان وحسب مقدرته وحالته، والمهم ألا نترك الذكر، وأن نلهج به، وأن نستمر، كما جاءه من يقول: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بأمر أتشبث به؟ قال: "لايزال لسانك رطبا بذكر الله".[1]

ومن هذه الفضائل للذكر وضع الشيخ زروق قاعدة ليبين فضل الذكر وكرامته بعنوان: عودة إلى الحديث عن الذكر { فضله وكرامته } فقال :

نورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد، ومثيرة لحرارة طبيعة بانحراف النفس عن طبعها[2]..

ووضح الشيخ علي جمعة أن الإنسان إذا اشتغل بالتسبيح جف لسانه فقال:

ثم إن اللسان إذا اشتغل بذكر الله تعالى جف، واحتاج الإنسان من كثرة الكلام لشرب الماء، ولكن يسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الجفاف: رطوبة. هو لا يقصد أن الإنسان عندما يذكر الله كثيرًا يحدث رطوبة، أبدًا، بل يحدث جفاف، ولكن هذا الجفاف ما

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه: (96/3)، والضياء المقدسي في المختارة: (60/9)، والحاكم في المستدرك: (672/1)، وابن ماجه في سننه)1246/2)، والترمذي في سننه: (458/5).

(2) المرشد المُعَرِّف بمعاني وأسرار قواعد التصوف، ج. الرابع، ص 80.

ألذه!! هذا الجفاف هو عين الرّي، وهو عين الرطوبة، هذا الجفاف هو الحلاوة والجمال، فالنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله [1]" أي: اذكر الله إلى أن يجف لسانك، فإذا جف فهذا عين الرطوبة، كما يقول النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: " والذي نفس محمد بيده لَخُلوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عنْدَ اللهِ منْ رِيحِ المَسْكِ [2]"؛ لأن فم الصائم من كثرة امتناعه عن الطعام يحدث فيه رائحة كريهة، ولكن هو يقول: إن هذه الرائحة لا تكون كريهة عند الله، بل هي أحلى عند الملائكة وأعلى من ريح المسك، فهذا كأنه من الأضداد، كأنها: (وبضدها تتميز الأشياء)[3].

وللذكر عند الصوفية كيفية ووسائل حتى يترقى الإنسان بنفسه إلي مقام العبودية ويصل إلي الأنوار والمشاهدة وهذه الكيفية تكون، الذكر بالقرآن، والذكر بالأسماء، والذكر بالشهادتين، والذكر بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذكر بالورد، ومن هذه الكيفية ما ذكره الشيخ فقال: (إن هناك سبعين ألف حجاب ـ عن أنوار الله ـ للنفس الأمارة، وليست تلك الحجب كلها من شأن النفس الأمارة، بل للنفس الأمارة منها عشرة، وللنفس التي بعدها عشرة وهكذا، فالسبعون ألف حجاب للنفوس السبعة.

فهنا بعد النفس الأمارة بالسوء يترقى مع هذا الذِّكر إلأى النفس اللوامة، والنفس اللوامة فيها منازعة، فهي تلوم الإنسان على أن يفعل شيء، ولكنه بعد فترة يفعله، فتلومه مرة ثانية فيفعله، ثم يترك ثم يفعل، وهكذا، النفس الأمارة ربما وصلت إلى منحط الكفر والعياذ بالله،

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه: (96/3)، والضياء المقدسي في المختارة: (60/9)، والحاكم في المستدرك: (672/1)، وابن ماجه في سننه)1246/2)، والترمذي في سننه: (458/5).

(2)أخرجه البخاري في صحيحه: (2/ 670)، ومسلم في صحيحه: (2/ 807)، وابن حبان في صحيحه (210/8)، وابن خزيمة في صحيحه: (3/ 196).

(3) الطريق إلى الله 78 .

وأعلاها يكون على بداية طريق الله عز وجل من المؤمنين العصاة، ثم إن النفس الأمارة تنتهي، ويدخل السالك بعدها في نفس هي تلوم، وتكرر عليه اللوم، فهو ليس خالصًا ولا مطمئنًا في طاعته .. فهذه النفس اللوامة وضعوا لها ذكرًا وهو: (الله)، لفظ الجلالة المفرد، ولفظ الجلالة المفرد أهل الله كلهم يعتبرونه، ويعملون به، ولكن بعض الناس يشككون في الذكر به! فاستدلوا من ناحية الشرع بأمور منها قوله تعالى: (**قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**)(1)

فكلمة، (الله)جاءت مفردة، وقد أمر صلى الله عليه وسلم من قبل أن يقولها وأن لا يتعدها، يعني إذا مرَّ بالمشركين قال لهم: وتركهم ومضى، فالنص هكذا: (**قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**)، فقالوا: إن هذا مبتدأ وله خبر، والخبر محذوف، كلام لا معنى له! واستدلوا عليه أيضًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تقوم السَّاعةُ حتى لا يقال في الأرض الله الله)(2).

ومن هذا الذِّكر بالأسماء قالوا:« أول شرط للذكر بالأسماء معرفة معنى الاسم وإدراك مغزاه والتمعن فيه. ثم يأتي من بعد ذلك اختيار الاسم المناسب ليذكر بالطريقة الصحيحة المناسبة، ثم إذا أردت السلوك باسم . يقول زروق . فحقق طبعك وحالك، ثم انظر من الأسماء ما يناسبه معنى . فإذا كان الغالب عليك الجلال والقيض فخذ من الأسماء الجلالية واذكرها بالتحزين على حالة زهدية بخلوة وانجماع ..(3)

ونذكر الله عز وجل لا من أجل تحصيل نتيجة إنما نذكره لأننا نحبه سبحانه وتعالى ونذكره

---

(1) سورة الأنعام: { من الآية: 91}.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: (1/ 131)، وابن حبان في صحيحه: (15/ 264)، والترمذي في السنن: (4/493)، والحاكم في المستدرك: (4/ 539)

(3) المرشد المُعرَّفُ بمعاني وأسرار قواعد التصوف، ج. أول، ص 189.

سبحانه وتعالى بهذا الضمير الدال على وجوده عز وجل وهذا الفظ العجيب (الله)، قال كثير من العلماء إنه الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

هناك بعض المتشددين ينكرون الذكر بالاسم المفرد بحجة أنه لم يرد هناك نص في ذلك لكن هناك أدلة ذكرها الشيخ في كلامه وهي قوله تعالى: (**قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**)[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**[2]﴾.

ومن الأدلة من السنة النبوية: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تقوم السَّاعةُ حتى لا يقال في الأرض الله الله)[3].

ومن جملة الاعتراض من هؤلاء المنكرين أن هذا الذكر لا يؤلف جملة تامة مفيدة كما في قولنا: الله جليل.

الجوب: أن الذاكر بهذا الاسم المفرد لا يكلم مخلوقًا فلا يُشترط أن يكون كلامه تامًا مفيدًا؛ لأنه يذكر الله سبحانه الذي هو عالم بنفسه مطلع على قلبه[4].

فالذكر علي أنواعه وكيفيته: « يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، ويثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها، كان عظم لثمرتها وفائدتها [5]».

---

(1) سورة المزمل : { الآية :8}

(2) سورة الإنسان: { الآية : 25 }

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: (1/ 131). كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَهَابِ الْإِيمَانِ آخرِ الزَّمَانِ،حديث رقم 148من حديث أَنَسٍ.

(4)حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى ص 125.

(5)حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى ص 96.

المبحث الثاني
آداب التصوف المستنبطة عند الشيخ علي جمعة

توطئة:

التصوف أدب روحي أو معراج يسموا بالنفس ويتطلع بها إلي الملأ الأعلى مستمسكا بمقام الإحسان الذي يحقق للإنسان السمو الإنساني فالمتصوف له آداب وأوراد وأذكار وله شيخ يربيه ويأخذ بيده حتى يصل إلي مرحلة عالية من الأنوار الإلهية والامتلاء بالمعارف الروحية فيتحقق له بهذه الآداب معاني عظيمة منها:

طهارة الجوارح، وطهارة النفس، وطهارة القلب، وطهارة الروح، «وبالأدب تطوى المسافة، وبه يذهب عنك ما في الطريق من المخالفة، والصوفية رضي الله عنهم لا يعرفون ولا يتميزون إلا بالأدب، إذ الشرائع كلها أدب مع الحقيقة، ولولا الأدب ما ظهرت أسرارها، ولا أشرقت أنوارها، وليس في الوجود إلا الحقيقة، وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**﴾[2]، وقوله تعالي: ﴿**إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ**﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأدب مع الجميع فضلاً مع أوليائه تعالى، فعلى المريد أن يلزم نفسه الأدب لينال من أسرار القريب المجيب[5]

(1) سورة الزلزلة:{الآيتان:8، 7}

(2) سورة الإسراء:{جزء من الآية:7}.

(3) سورة الأنفال:{ جزء من الأية:70}.

(4)سورة فصلت:{ جزء من الأية:{46}.

(5) الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية للإمام محمد بن أحمد البُوزيدي المستغانمي، ويليه ديوان

نسير في هذا المبحث علي النحو التالي:

أولًا: بعض الآداب التي ذكرها الشيخ ووضع عنوانًا لها.

ثانيا: تعضيدُ هذا العنوان لهذا الأدب إن كان هناك من ذكره غير الشيخ.

ثالثًا: شرح الشيخ لهذا الأدب.

رابعًا: تعضيد هذه الشروح ببعض المتصوفة من القدماء ومن المحدثين حتى تتم الفائدة.

أورد الشيخ علي جمعة آداب للتصوف فنذكر بعضا منها لكثرتها ومن هذه الآداب التي ذكرها الشيخ حتى يسير السَّالك في طريق الله عز وجل وجعل لها أركان وآداب،:

الأدب الأول: (الشيخ، والمريد، والمنهج)، وأن الباطن والظاهر وجهان لشيء واحد لا يتعارضان أبدًا

الأدب الثاني: وجود الشيخ المُرَبِّي ضرورة في السير إلي الله.

الأدب الثالث: ما ينبغي علي السَّالك إذا فَقَدَا لشيخ المُرْبَّي.

الأدب الرابع: عند الشيخ: بيان معني التخلِّي والتحلِّي والتجلِّي.

الأدب الخامس: بيان مراتب النفس البشرية، وكيفية التعامل مع كل مرتبة.

الأدب السادس: الحُجُب التي تَحْجِب النفس عن الله تعالى، وأن الفكر والذِّكْرَ هما سبيل الخلاص من تلك الحجب.

الأدب السابع: في الخلوة، وأنها فترة معينة يخلوا فيها الإنسان إلي نفسه: لتصفيتها وتجديد معاني الإيمان فيها.

العارف بالله تعالى سيدي محمد البُوزيدي المستغانمي، ويليه ديوان آيات المحبين في مقامات العارفين، للعارف بالله تعالى عدة بن تونس المستغانمي، تحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، دار.الكتب العلمية . بيروت، طبعة.الأولى . 2006، ص10.

من الآداب المستنبطة عند الشيخ علي جمعة

الأدب الأول: (الشيخ، والمريد، والمنهج)، وأن الباطن والظاهر وجهان لشيء واحد لا يتعارضان أبدًا(1).

شرح الشيخ لهذا الأدب:

لما رأي الصوفية أن هناك شيخًا، ومريدًا، وطريقًا، أسموه هذا بأركان الطريق إلي الله (الشيخ، والمريد، والطريق)، وكتبوا في آداب الشيخ كيف يكون؟ فقالوا: لابد عليه أن يكون مدركًا للحقيقة، فتكلموا علي أن هذا الكون له ظاهر وله باطن، له مُدْرَك يشترك فيه كل أحد، وله حقيقة لا يعرفها إلا الخواص، فقسّموا الناس إلي: عوام، وخواص، وخواص الخواص، وقسّموا الأمر كله إلي: ظاهر، وباطن، واكتشفوا أن الباطن لا يعارض الظاهر، ولا يَكِرُّ عليه بالبطلان، وهذا من رحمة الله بنا، وبعض القاصرين ظن أن الباطن يعارض الظاهر، وأنه يَكِرُّ عليه بالبطلان، فوصفوا أئمة الصوفية بكل صفة خسيسة، بالجهل مرة، وبالفسق مرة، وبالزندقة مرة، وبالكفر مرة، وهكذا؛ لأن الصحيح أن الباطن لا يخالف الظاهر، بل هو يؤيده، ويحققه، ويرسِّخُ مقاصده، ويحقق غاياته.

الأدب الثاني: وجود الشيخ المُرَبِّي ضرورة في السير إلي الله(2).

«من أعظم الأسباب الشاغلة بالله الشيخ المربي... الذي يأخذ بيدك حتى يقول لك: ها أنت وربك»(3).

---

(1) الطريق إلي الله ص16، ذكر هذا الأدب غير واحد من المتصوفة، صاحب كتاب، الأداب المرضية لسالك طريق الصوفية، وصاحب كتاب، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها ورودها.ص 51.

(2)الطريق إلي الله ص15، وتكلم عن هذا الأدب الكثير من مشايخ الصوفية ومنهم: الشيخ شهاب الدين ابن حفص عمر بن محمد السهروردي الشافعي في كتابه،عوارف المعارف، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم للنشر والتوزيع ص291

(3)من معارف السادة الصوفية، محمد خالد ثابت، دار المقطم، القاهرة، طبعة1435هـ .2014م ص175.

شرح الشيخ لهذا الأدب:

ذكر الشيخ أن السالك في طريقه إلي الله لابد عليه أن يتخذ شيخا يوجهه ويراعيه ويدله علي الخير ويعلمه كيف يكون الأدب مع الله.

والشيخ: هو الذي يحدد لمريده طرق الوصول إلي الله ويساعده علي السير[1]

والشيخ المسلم هو: " الذي سلك الطريق علي يد شيخ واصل، فترقي في المقامات من مقام التوبة إلي مقام المشاهدة ... ثم عاد بعد اعتلاء تلك المقامات لقيم الشريعة وسلك الناس في مراحل الطريقة، ويفتح لهم بإذن الله أبوابًا ومنافذ يشرفون منها علي أضواء الحقيقة [2].

وقال ابن عطاء الله السكندري:"من لم يكن له شيخ يوصله إلي سلسلة المتابعة فهو في الطريق لقيط لا أب له، وفي المعرفة دعي لا نسب له[3] ".

"اشترط الصوفية وجود الشيخ في طريق السير إلي الله، لأنه يوجه المريد أن يعود مرة ثانية إلي الطريق وأسموه بالشيخ المرشد، وجعلوا الشيخ بناءً على التجربة التي لا تعارض الكتاب والسنة بل تنبع منهما، وفيها تأييد من الكتاب والسنة، علي ما كان حال النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم مع الصحابة وعلى ما كان حال الصحابة مع التابعين إلي يومنا هذا[4].

لأن المريد إذا تبع شيخه وسار معه وتعلم منه أنه إذ ابتعد عن الطريق عاد مرة ثانية دون أن يغضب أو يشمئز! فاز في الدنيا والآخرة وهذا حال الصالحين مع مريديهم، ولذلك يقول بعضهم: «إذهب للشيخ المربي: عرض نفسه علي شيخ أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإذن في هذا المجال؛ علي أن يعاهد نفسه علي أن يتقبَّل نصحه!.. وهنا نقطه فارقة؛ لأن كثيرًا

---

(1) الطرق الصوفية في مصر، ا.د.عامر النجار، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص52

(2) المدخل إلي التصوف للمنوفي، ص16.

(3) بداية الطريق للمنوفي، ص 69.

(4) الطريق إلي الله ص15

من أصحاب وأتباع أو من ينسبون نفسهم للمشايخ فبمجرد أن يوجهه الشيخ إلي عيب عنده! ربما يغضب! وربما ينفر! وربما يشمئز! بل وقد يشنَّع علي الشيخ لأن الشيخ يريد أن يهذبه ويرتقي به في درجات القرب من الله عز وجل !، أما المريد والسالك الصادق فيذهب إلي الشيخ وعينه علي النصح، كما كان يفعل بعض الصحابة[1].

أنواع الشيخ المربي: ذكر الشيخ علي جمعة أن الشيخ المربي نوعان:

الأول : الشيخ المرشد.

الثاني : الشيخ المرشد التام.

الأول: الشيخ المرشد:

هو من يعلم الطريق، ويَعلم المبهرات التي حوله، ويعلم كيف يتجنبها السالك، ويَعلم كيف ينصح؟ وكيف يُعلم الأدب مع الله؟ لأن الأدب مع الله هو الركن الركين في الطريق، والله هو مقصود الكل، فالشيخ يحاول مع المريد أن يصل به إلي الأدب مع الله، وأول ما يعلمه من أبواب الأدب: الذكر، وثاني ما يُعَلَّمه: عدم الالتفات عن الله، الذي هو مقصود الكل.

أول باب من أبواب الأدب عند الشيخ وأهل الله من المتصوفة الذكر:

فالذكر أول خطوة في الطريق، وهو يؤدي إلي صقل القلب، ويجعل القلب كالمرآة، وملتفت لا يصل، فإذا ذكرت الله، فحدث لك خارق، فانشغلت بهذا الخارق، فقد دخلت في المبهرات، وبدأت في الالتفات، وهذا هو بداية الانحراف، حيث دخلت في المبهرات، فتكون بذلك غير مخلص مع الله.

من أجل ذلك إذ ذكر العابد ربه فإن الذكر يجلي قلبه، ويجعله كالمرآة، وإذا صار القلب

---

(1)منهاج الواصلين، العارف بالله الشيخ فوزي محمد أبو زيد، الطبعة، الأولي 2010، دار مطابع النوبار ص221.

كالمرآة انعكست عليه أنوار الربوبية، وانعكاس لأنوار الربوبية يحدث لذة عجيبة، ليس لها مقابل في اللغات بحيث يمكن أن نشبهها، أو أن نتكلم عنها وحولها، ولا يمكن أن ننقل كنهها، ولا يعرفها إلا من جربها، فإن من ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ولا يمكن أن نعرف إلا بالتجربة، وبترويض النفس (1).

ثاني ما يُعَلِّمه: عدم الالتفات عن الله، الذي هو مقصود الكل.

«ملتفت لا يصل» جعلها الشيخ أصلًا كبيرًا من أصول الأدب مع الله لا يلتفت الإنسان إلي أشياء تبعده عن الله إنما الأمر يكون في سيره إلي الله {ملتفت لا يصل}، فإذا كنا في طريق، وأردنا أن نصل إلي نهايته، فعلينا أن نسعى، وأن نسير فيه غير ملتفتين عن يسارنا أو عن يميننا، فلو سرت مثلا في طريق ممتلئ بالمبهرات، وبالأضواء وب{الفاترينات}.....إلخ، فوقفت إلي كل {فاترينه}أشاهد، وأدخل المتجر، وأسرح في الداخل، فإن العمر يضيع في هذه الالتفاتات، والأعمار تتفاوت، والزمن كالسيف إن لم تقطعه قطعك، قال الإمام الشافعي: {سرت مع الصوفية فاستفدت منهم أن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك}.

{ملتفت لا يصل}!! أصل كبير من أصول الأدب مع الله، ومن هنا وجب أن يكون العمل خالصا لله، لا ألتفت إلي الأنوار، ولا إلي الأسرار، ولا إلي الملك، ولا إلي الملكوت، ولا إلي التجليات، ولا إلي غير ذلك، إنما المقصود هو الله.(2)

الثاني : الشيخ المرشد التام (الكامل)

وهو الذي يسمي بالوارث المحمدي، والوارث المحمدي يراعي تلامذته ومريديه حتى على الغيرة، فإن الله سبحانه وتعالي من شدة صفاء ذلك المرشد الكامل، ومن شدة صقل قلبه تنعكس على ذلك القلب الأحوال الحادثة مع المريد، ونقصه، ومع ذلك لا يتأثر لهذا النقص،

---

(1)الطريق إلي الله ص14.

(2)الطريق إلي الله ص14.

ولذلك لا نخاف من أن نظن ظنًا سيئًا في المريد ونقصه، ومع ذلك لا يتأثر لهذا النقص، ولذلك لا نخاف من أن يظن ظنًا سيئًا في المريد؛ لأنه يعلم أن النقص قد استولي علي جملة البشر إلا من عصمه الله، إنما الغرض من اطلاع الشيخ علي هذا هو أن يربي المريد بناءً علي مما هو فيه من انحراف. إن كان. وأن يعود به إلي الطريق، وأن يدفعه فيه.

فالطريق إذا لا يستلزم دائما. وفي كل حال. المرشد التام، بل قد يكون هناك مرشد فقط ونكتفي به فإذا رزقنا الله بالمرشد الكامل كان أولي[1].

الشيخ المرشد أو الكامل جند من جنود الله في أرضه يعلم الناس الخير ويدلهم علي الصواب. « الشيخ يحبب الله إلي عباده حقيقة، ويحبب عباده إلي الله، ورتبة المشيخة من أعلي الرتب في طريق الصوفية، ونيابة النبوة في الدعاء إلي الله.

فأما وجه كون الشيخ يحبب إلي عباده، فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالي . قال تعالي: ﴿**قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**[2]﴾.

ووجه كونه يحبب إلي عباده أنه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية[3].

الأدب الثالث: ما ينبغي علي السَّالك إذا فَقَد الشيخ المُرَبِّي[4].

شرح الشيخ لهذا الأدب:

أورد الشيخ ما يجب علي المُريد إذا فَقَدَ الشيخ المُربِّي وهذا الفقد نوعان:

---

(1)الطريق إلي الله ص15

(2)سورة آل عمران{الآية: 31}.

(3)عوارف المعارف للسهروردي (ص.95).

(4) حقائق عن التصوف، للشيخ: عيسى عبد القادر عيسى، دار المقطم، الطبعة الخامسة، 1434هـ، 2013م.

النوع الأول: فَقْد نسبي، أي أن الشيخ موجود في هذه الحياة الدنيا، ولكني لم أصل إليه بعد، أو أنه ليس موجودًا في بلدي مثلًا وهو موجود في بلد آخر.

شرح هذا النوع:

يعني أنني لا أعرف الآن، ولكني إن شاء الله سأعرفه غدًا أو بعد غد، أو قد يحتاج إلي جهد أكبر، فإن كان في بلد آخر رحلنا إليه.

وقد يسأل سائل كيف الاهتداء إليه؟ والوصول إلي معرفته؟

« حين يشعر الطالب بحاجة إليه كشعور المريض بحاجته إلي الطبيب، عليه أن يصدق العزم، ويدعوه في سجوده وأعقاب صلاته: "اللّٰهم دلَّني علي من يدلني عليك، وأوصلني إلي من يوصلني إليك[1]"

البعض يَرِدُ علي ألسنتهم أن شيخ التربية انقطع، ونعوذ بالله من ذلك، فإن قدرة الله عامة، وملك الله قائم، والأرض لا تخلوا ممن يقوم بالحجة حتى يأتي أمر الله.

يقول ابن عجيبة[2]:« والناس في إثبات الخصوصية ونفيها علي ثلاثة أقسام:

1- قسم أثبتوها للمتقدمين ونفوها عن المتأخرين؛وهم أقبح العوام.

2. وقسم أقروها قديما وحديثًا، وقالوا: إنهم أخفياء في زمانهم، فحرمهم الله بركتهم.

3. وقوم أقروا الخصوصية في أهل زمانهم، مع إقرارهم بخصوصية السلف، وعرفوهم، وظفروا بهم، وعظموهم؛ وهم السعداء الذين أراد الله أن يرحلهم إليه ويقربهم إلي

(1) حقائق عن التصوف ص62.

(2) هو الولي الكامل والقطب الغوث، المربي الكبير سيدنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، ولد سنة (1161)هـ في قرية الخميس الواقعة في الطريق بين طنجة وتطوان، توفي رضي الله عنه سنة 1224هـ بالطاعون في مدينة غمارة ، انظر: الأعلام للزركلي، ج1، ص145.

حضرته[1]»

النوع الثاني:

فقد كلي، كأن يكون. والعياذ بالله، ونسأله سبحانه وتعالي أن يقبضنا قبل ذلك العصر. قد فقد من الأرض في هذا العصر بالكلية.

شرح هذا النوع عند الشيخ:

أن يكون منعدمًا، فما العمل حينئذٍ؟! تكلم العلماء عن هذا؛ فألف أحدهم كتابًا أسماه: (هداية ربي، عند فَقْد المربي)[2]، وهذا العنوان الراقي: « هداية ربي، عند فَقْد المربي» معناه أن المربي إذا فُقِد، فلا بد حتى نحصل عليه، ونَمْثُل بين يديه، أن نفعل شيئًا، لا أن نسكت، ونثبط، فما هو هذا الشيء؟! قالوا: إن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بجاهه العظيم ملاذ لكل المؤمنين، فهو الباب الذي بيننا وبين ربنا، فإذا فقدنا المربي الذي يعرف مسالك الطريق وأغواره ووعورته، ويعرف مسالك النفس وكيف تُربَّى، ويأخذ بنا في جذب وشدة، ورخاء معنا، حتى يربينا، ويعلمنا الأدب مع الله.

إذا فقدنا ذلك المربي الحاضر القادر، فإننا ينبغي علينا أن نلتمس الخير من يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الأدب مع ربنا، إلي يصل بنا إلي شاطئ الأمان. قال أهل الله من المتصوفة:

«إن الطريق إلي الله متعدد المسالك.. قال العارفون: الطرق إلي الله بعدد أنفاس الخلائق،

---

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة ج1/ص 77.

لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ

(2)العارف بالله الإمام علاء الدين علي المتقي الهندي رضي الله عنه يتكلم الكتاب عن كيفية الوصول إلي الله إذا لم يجد الشخص شيخ مربي، وهي رسالة صغيرة تقع في إحدي عشرة صفحة.

من هذه الطرق كثرة الصلاة على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم . قالوا فيها:الصلاة على النَّبِيّ شيخ من لا شيخ له[1]»

الشيخ علي جمعة يبين كيف يكون الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فقدنا ذلك المربي الحاضر القادر فقال:

الاتصال يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة والسلام علي حضرته الشريفة، ففضل الصلاة على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم عظيم، فضله ونوره صلى الله عليه وسلم أعلى وأتم من نور الملك ونور الملكوت، والرحموت، والجبروت، واللاهوت، فنور النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم هذا شيء آخر، ينبغي أن نتصل به عن وسيلة شرعية، وهي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، التي أمرنا الله بها، فقال عز وجل ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ ثم أمر ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[2]

ويقول في أية أخرى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[3]، قال بعض العارفين: فهذه هي حقيقة الصلاة على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم التي نتلوها بألسنتنا حقيقتها في العمل هي أن نسلم لأمره وحكمه، ثم لا نجد في أنفسنا حرجا مما قضى، النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا مِنْكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ[4]"، وهو صاحب الشفاعة، وهو رحمة العالمين، وكان بالمؤمنين رءوفا

---

(1)من معارف السادة الصوفية، ص20.

(2)سورة الأحزاب {الأية:56}.

(3)سورة النساء{الأية:65}.

(4)أخرجه ابن حبان في صحيحه: (279/4)، وأبو داود في سننه(1/ 38)، والبيهقي في السنن الكبرى: (91/1)، والحميدي في مسنده:(434/2)، وصححه الإمام النووي في المجموع: (128/2)، وقال ابن الصلاح في فتواه (ص 187): حديث ثابت.

رحيما، فهذا النَّبِيّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم ينبغي أن نسلم انقيادنا له[1].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاستمداد الحقيقي لكل شيخ مربي«المريد استمداده من شيخه الذي هو استمداده حقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛لأنه واسطة بينه وبينه[2].

وهكذا فعل "المتقي الهندي"وألف كتابًا أسماه"هداية ربي عند فقد المربي" تكلم عن عصر نزعت منه البركة كمثل الذي نعيش فيه؛ حيث يقل أولياء الله الصالحون، ونفتقد المرشد الذي يدلنا علي الله عز وجل ، ويرشدنا إلي الله عز وجل ، ويُنوّر قلوبنا بذكر الله عز وجل ، فما العمل في تلك الطامة؟! أجمع أهل الله علي أنه لا مخرج من ذلك إلا الصلاة على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنه يجب علي المسلم أن يلهج بها ليل نهار، بما لا يقل أبدًا عن ألف مرة كل يوم، اللّهم صَلّ على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد[3].

فالصلاة علي النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يلهج بها العبد السائر في طريق الله وهي حقيقة كما يقول الشيخ:

"هذه حقيقة الصلاة علي النَّبِيّ، نتلوها بألسنتنا، ونستحضر هذا المعنى في أذهاننا، ونستعد بسلوكنا وأفعالنا أن نكون طوع أمر النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فنترجم الحب الذي في قلوبنا إلي جَعْلِه أسوة حسنة نتبعها لأننا نرجو به صلى الله عليه وسلم وباتباعه الله، ونرجو به اليوم الآخر ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[4]، فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عظيمة، بها تستنير القلوب، وتغفر الذنوب،

---

(1)الطريق إلي الله ص55

(2)الطرق الصوفية في مصر ص 78.

(3)النبي صلي الله عليه وسلم. د. علي جُمعة ط الوابل الصيب، الطبعة الثانية، 2009.1430م ص14.

(4)سورة الأحزاب، {الآية: 21}.

وتستر العيوب، وتيسر الغيوب، وكل عمل بين القبول والرد إلا الصلاة على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فهي مقبولة أبدًا، من الفاسق والعاصي، لا تحتاج إلي نية، ولا تحتاج إلي إخلاص، ولا تحتاج إلي شيء لتعلقها بالجناب الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وبها تزيد الجنة في الاتساع، والنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا[1]» ولم يشترط في ذلك لا إخلاص ولا تقوى ولا مقامات ولا غير ذلك، ولذلك فهي تصلح لمن أراد أن ينجذب إلي طريق الله عز وجل على أي حال كان فإن ذلك من الذِّكْر، والصلاة من الذِّكر، وذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله الله مقرونًا بذِكْرِه[2].

فلا تصلح أدوية القدماء والمحدثين، إلا بالصلاة والسلام علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي المريد السالك إذا أراد الفتح فعليه بكثرة الالتزام التام بتذكرة الدواء التي وضعها له الطبيب وهي كثرة الصلاة علي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعلم أن المقصود من الصلاة علي النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتوقيره، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم غنيّ عن صلاتنا عليه جملة وتفصيلا بصلاة الله تعالي وملائكته[3].

والشيخ علي جمعة يبين في هذا الأدب أن الشيخ المربي قد يربي بالحال، وقد يربي بالنظرة فقال:

والمرشد الكامل قد يكون له الإرشاد بالحال لا بالقال، يجلس الإنسان معه، فيرتقي إلي الله

---

(1)أخرجه مسلم في صحيحه:(288/1)، وابن خزيمة في صحيحه218/1)، وأبو داود في السنن(44/1)، عن عبد الله بن عمرو، وابن حبان في صحيحه: (185/3)، والحاكم في المستدرك: (735/1)، عن أنس، وأخرجه الترمذي في سننه: (354/2)عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(2)الطريق إلي الله ص56.

(3)صلوات الثناء على سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، للعالم الرباني الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، إعداد محمد خالد ثابت، دار المقطم للنشر والتوزيع ص 41.

من غير إن يتكلم، وقد يصل أحدهم أن تكون له التربية بالنظرة، ينظر إلي المريد فيربيه، وينفعل قلب المريد بمقدار ما في توجه شيخه إليه من الصدق والنصيحة والشفقة مع كمال المعرفة بالله، مما يجعل كل تصرفات الشيخ هديًا وتربية، فإذا بالقلب يتخلى عن القبيح، ويتحلى بالصحيح، مما يجعله في حالة يتهيأ بها إلي الطاعات، وفي حالة يمحو فيها عنه المعاصي، كل ذلك بالنظر.

النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه بالنظرة، وهذا هو حال المصطفي صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر إلي أحد من المؤمنين صيّره صحابيا، وأحدث في نفسه عدالة استوجبت منا تعظيمهم، وتوقيرهم، وتصديقهم، فكل الصحابة عُدُول بتعديل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، وكيف عدَّلهم؟ بالنظر إليهم، يعني جلسوا أمامه فنظر إليهم فأحدث في نفوسهم شيئًا استوجب عدالتهم، هذه الخاصية التي كانت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه المنحة الربانية التي أعطاها الله النَّبِيّه ورَّثها لأتقياء أمته، وبعضهم كانت له التربية بالكلام، وبعضهم بالمصاحبة، وبرؤية أحواله في الحَلّ والترحال، وفي الغضب والرضا، وفي الضيق والبسط، فيحدث من هذا الشأن الكثير من التغير في نفس المريد، فلابد في الطريق من الشيخ[1].

وهذا المعني وهو التربية بالنظرة تكلم فيه الكثير من المتصوفة وجعلوه علمًا من العلوم تربية الشيخ للمريد فكان هذا العنوان:علم النظرة والضربة[2]، « فالأولياء يدركون علومهم بطرق غير معتادة للبشر، فإذا أدركوها نُسبوا إلي الصفة التي أدركوا بها المعلومات، فيقولون: فلان صاحب نظر، أي بالنظر يدرك جميع المعلومات، وفلان صاحب سمع، وفلان صاحب

(1)الطريق إلي الله ص 52

(2)الولاية والإمامية، الروابط الخفية بين الشيعة والصوفية الدكتورة: هيام عباس عبد العال، دار. النابغة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي 1435هـ.2014م، ص476.

طعم، وصاحب نفس وأنفاس يعني الشمّ، فإن: «كل نفس من الأنفاس الرَّحمانية[1] في العالم الإنساني، علم إلهي مستقل عن تجلٍ خاص، فمن شم من هذه الأنفاس رائحة عرف مقدارها، وفيها تفريج الكرب ودفع النوب، ما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس[2]، وفلان صاحب لمس، أي يدرك علمه عن طريق اللمس، وفلان صاحب معني أي ألقي إليه لله تعالي فهم المعاني، وهو من يقال عنه في العامة إنه صاحب فكر صحيح، وذلك هو من أعطي النظر[3].

الأدب الرابع عند الشيخ:

بيان معني التخلِّي والتحلِّي والتجلِّي[4].

هناك حكمة لسيدي ابن عطاء الله السكندري تقول: « منْ عَلامَة موت القلب عدم الحُزْن علي ما فاتكَ مِنَ المُوافقات، وَتَركُ النَّدم عَلي ما فعَلْتَهُ مِنْ وُجودِ الزَّلاَتِ[5].

والمعني أن السائر في طريق الله عز وجل لابد من التخلَّي والتحلَّي حتي يصل إلي التجلَّي،

---

(1)النفس الرحماني: هو الجوهر الذي تفتحت فيه صور الوجود بأ جمعها، وهو يحتويها بالقوة، كما يحتوي نَفَس الإنسان جميع ما يصدر عنه من كلمات وحروف، وقد أطلقه ابن عربي علي الوجود في صورته الأولي قبل أن تظهر فيه أعيان الممكنات. انظر: د سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص1064.

(2)ابن عربي الفتوحات، (185/1).

(3)ابن عربي، الفتوحات، (214/1).

(4) هذا العنوان أفرد له صاحب كتاب مقدمة في التصوف بعنوان (التجلي)، لصهيب سعران، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1409هـ 1989م ص 41.، وتكلم في هذا المعنى صاحب كتاب، عيوب النفس ودواؤها، للشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفارسي، وعلى هامشه، كتاب عيوب النفس ودواؤها ، للسلمي، تحقيق الاستاذ محمد طيب، دار الكتب العلمية، طبعة الأولى2010، لبنان.

(5)منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحِكَم، ابن عطاء الله السكندري، سعيد حوي، دار السلام الطبعة العاشرة 1435هـ /2014م ص 316، الدرر الجوهرية في شرح الحِكَم العطائية للمناوي، تحقيق. فتحي عطية بدوي، الطبعة الأولي:2012م ص 251.

وهذه البداية لابد من أمور وهي:الحزن علي التقصير، والتوبة علي ما فرطت فيه من طاعة، وعما وقع فيه من زلات.

شرح الشيخ علي جمعة لهذا الأدب:

التوبة هي الأدب الدائم للمريد، وهذا ما بينه الشيخ من هذا المعني حيث وضح أمور في سير العبد في طريق الله منها:

أولًا: معنى (السير إلي الله)؟ معناه أنه يبدأ بالتوبة.

ثانيا: التوبة عند الشيخ معناها؟ أن ينخلع من المعاصي، وأن يعاهد نفسه على أن يترك المعاصي، وأن يعطل ملك السيئات، أي يجعل ملك السيئات لا يكتب عليه شيئًا الانخلاع له درجات عند الشيخ وأولها: الانخلاع من المعصية، المعصية هي التي يقول عنها الشَّرع إن هذا حرام، فالإنسان قرَّر مع نفسه ألا يفعل هذا الحرام.

أول مراتب العودة والأوبة إلي الله: ترك الذنب والانخلاع عنه، والتصميم على عدم العودة لمثله أبدا[1].

الانخلاع الثاني عند الشيخ: الانخلاع من كل ما يشغل البال أو القلب عن الله، من ولد، ومن مال، ومن حب الأكوان، وللسلطة، وللجاه، وللشهوات، الإنسان هنا لم يرتكب حرامًا لكي يتوب منه، فهو قد تركه، لكنه الآن يتوب من شيء آخر، يتوب من الانشغال عن الله، وكأن الانشغال عن الله. وهو أمر يقع فيه جُلُّ البشر. معصية، لا... هو ليس معصية، لكن كأنه معصية، وهو لعلو همته يعتبره في حقه معصية، فيخلّي قلبه من شواغل الدنيا ومشاغلها[2].

(1)سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، الشيخ علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الأولى1427هـ. 2007م ص 65.

(2)الطريق إلي الله ص22

السائر في طريق الله يخلي نفسه من كل شاغل يشغله عن الله فيخلي نفسه من كل قبيح وكل مانهى عنه الله حتى يَصْلَ إلي الله ولذلك الدين له شَطْران: أحدهما: تركُ المناهي، والآخر فعلُ الطاعات، وتركُ المناهى هو الأشدُّ فإن الطاعاتِ يقدرُ عليها كلُّ أحدٍ، وترك الشهوات لا يقدر عليه إلا الصَّديقونَ[1].

ولذلك يقول الشيخ زروق:

«وإصلاح عيوب النفس وعلاجها عن طريق المجاهدة الروحية يعتبر عند الصوفية السبيل الوحيد للسالك للتخلي والتحلي، التخلي والابتعاد عن المحرمات، والموبقات وما يتنافى من مكارم الأخلاق، ثم التحلي والالتزام بالطاعات، ومكارم الأخلاق قصد الترقي بالنفس عبر مراتب الكمال، والصفاء الروحي، من النفس الأمَّارة بالسوء إلى النفس اللومة، ثم النفس المطمئنة الراضية[2]».

(1)مراقي العبودية للشيخ محمد نووي الجاوي، وهو شرح على متن بداية الهداية، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق وائل محمد عبده، دار البصائر، الطبعة الأولى1430هـ، 2009م ص 226.

(2) عيوب النفس ودواؤها، للشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد زروق ص7

والتخلية والتحلية مرحلتان ومعناهما:

1- التخلية عند الشيخ علي جمعة :

(يخلي قلبه) هذه كلمة وقف عندها السادة الصوفية كثيرًا، وقفوا عند التخلية من القبيح. التحلية عندهم معنى آخر، وهو أن:(يحلي قلبه) بكل صحيح، وهذه هي التحلية.

والسالك في طريق الله يتخلي عن كل قبيح، ثم يتحلي بكل صحيح، فتأتي المرحلة التي تليها وهي التجلي، ومعني التجلي عند الشيخ: معناه كما قالت السادة الصوفية: التخلُّق بأخلاق الله؛ فالله تعالى رحيم، فلابد أن نكون رحماء، والله تعالى رءوف، فلا بد أن نكون كذلك، والله تعالي غفور فلابد أن نكون متسامحين، نغفر للآخرين، ويصبح الإنسان في رضا عن الله، عنده تسليم تام بقدر الله، هذا الرضا وهذا التسليم يدخل قلبه على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولي: هي مرحلة يسلم فيها بأمر الله، ويقاوم نفسه من الاعتراض، ومن الحزن؛ فهو يحزن لكنه يمنع نفسه من أن يعترض على أمر الله، وهو أيضاً يبكي ليل نهار على فقدان الولد مثلا، لكنه ساكن القلب إلي حكمة الله تعالى.

وهذا المعنى الذي ذكره الشيخ أن الإنسان يسلم أمره لله قد يحزن لكن ليس اعتراض علي الله، والحزن الذي فيه هذا المعني: هو حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة، والحزن هذا من أوصاف أهل السلوك، وقيل:« القلب إذا لم يكن فيه حُزن خرب، كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب[1]»

المرحلة الثانية: لا يحزن، فلو مات له ابن أو أصابته مصيبة فإنه يضحك، والسبب اليقين في

---

(1)الرسالة القشيرية في علم التصوف، للإمام العارف زين الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري الشافعي(465/376)، وبهامشه خلاصة شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، (ت 926)، والإمام العمروسي (ت1293هـ)، تحقيق، أبو سهل نجاح عوض صيام، قوبلت هذه الطبعة علي طبعة شيخ الإسلام العارف بالله .د. عبد الحليم محمود، دار المقطم، طبعة 2008م ص211

لطف الله وحكمته.

ولذلك يُسلم السالك بقضاء الله وبكل ما يُقدره الله له وهذه تُعد توبة إلي الله، لأنه لا يحزن مهما كانت المصيبة إنما دائما مبتسما تائب إلي الله من كل ما يشغله عن الله وكما قالوا « ولا يقف الصوفي عند التوبة من المعصية، لأنها في رأيه توبة العوام، بل يتوب من كل شيء يشغل قلبه عن الله تعالى[1].

المرحلة الثالثة: يبكي، لأنه يستحضر في نفسه أن الله قد أفقده هذا العزيز لديه الآن من أجل أن يبكي، فهو لا يبكي حزنًا إنما هو يبكي لله، وهذا هو الذي كان عليه مقام النبوة وأكابر الأولياء؛ فلما فقد النَّبِيّ ابنه إبراهيمَ بكى[2]، والنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم يبكي علي إبراهيم، ولكنه يبكي لأن الله قد قدر لمن أصيب بمصيبة أن يبكي؛ فالأول يبكي حزنًا، والثاني يضحك رضًا، والثالث يبكي مرة ثانية قهرًا تحت سلطان الله سبحانه وتعالى؛ واستجابة لمقتضى ما أجراه الحق في هذا الوقت المخصوص من أحوال، وكأن الله أرادني الآن أن أحزن فأنا أحزن لذلك.

الشيخ يلخص هذا الأدب وهو بيان معنى التخلِّي والتحلِّي والتجلِّي الذي بين معناها وجعل التوبة أول الطريق « التوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب، فيجب أن تعلم مما تتوب، فلا بد أن تستحضر الذنب وأن تراجع نفسك وتدرك تقصيرك وتحصر ذنبك[3]»، ولذلك ختم الشيخ بقولة:

---

(1)حقائق التصوف ص189.

(2)الحديث في بكائه صلى الله عليه وسلم لموت ولده إبراهيم أخرجه البخاري في صحيحه:(439/1)، وابن حبان في صحيحه: (162/7)، والحاكم في المستدرك: (43/4)، وأبو داود في سننه :(193/3) وغيرهم كثير.

(3)سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين ص 63.

« التوبة أول الطريق؛ وهي مراحل: أولها: توبة من المعصية، ثم توبة من الأكوان بالتخلية والتحلية، ثم بعد ذلك توبة من كل سوى الله، ومن تاب عما سوى الله، تجلي الله عليه، بصفاته، فكان عبدًا ربانيًا، يدعو الله ويقول: يا رب، فيستجيب الله له، وكان عبدًا ربانيًا في رضاه بالله، وفي تسليمه لأمر الله، لا مزيد على ذلك عليه، ويكون بذلك قد فعل هذا الشيء الذي يسمى التوبة، فكيف السبيل إذن؟ قالوا: التوبة هذه مرحلة من عشر مراحل، نعالج كل منها، نحن الآن في أول الطريق إلي الله وهو التوبة، فما الذي يحدث لي أثناء هذه التوبة؟

أولًا: أن أتوب عن المعاصي.

ثانيًا: التحلية والتخلية.

ثالثًا: مرحلة التجلي والرضا التام تحت قهر الله[1].

---

(1)الطريق إلي الله ص 25.

الأدب الخامس:

{بيان مراتب النفس البشرية، وكيفية التعامل مع كل مرتبة}.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1]

وقال صلى الله عليه وسلم «يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثُمَّ أُوَفيْكُمْ إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومنَّ إلا نَفْسَه[2]»لوم النفس وسيلة إلى إقلاعها عن هواها[3].

شرح الشيخ لهذا الأدب:

مراتب النفس عند الصوفية:

تكلم الشيخ علي جمعة وبين في كتاباته أن (النفس البشرية)، تمر بسبع مراحل:

المرحلة الأولى: هي النفس الأمَّارة بالسوء، والثانية: هي النفس اللوَّمة، التي تلوم صاحبها على فعل المعصية، أو تخلفه عن الكمال، والثالثة: النفس الملهمة، والرابعة: النفس الراضية، والخامسة: النفس المرضية، والسادسة: النفس المطمئنة، والسابعة: النفس الكاملة.

شرح هذه الأنفس عند الشيخ[4]:

وقالوا :إن هذا الطريق الذي بين العابد وبين الله تعالى، والذي يفضي في نهايته إلى الله عز وجل ، فيه سبعون ألف حجاب، وفي كل نَفْس منها عشرة آلاف حجاب، وأن كل نَفْس ينتقل منها الإنسان إلى ما بعدها فإنه ينتقل باسم من أسمائه تعالى يذكره، حتى يصل إلى تربية

(1) سورة القيامة:{الآية:2}

(2) أخرجه مسلم في البر والصلة والأدب (2577) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(3) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، الإمامُ العز بن عبد السلام السلمي(577. 660)هـ تحقيق عبد الله عبد السميع، دار.فياض.المنصورة، الطبعةالأولى2014/1435م.ص64.

(4) الطريق إلى الله ص40

نَفسه، وزوال حجبها، فيصل بعد ذلك إلي مرتبة أخرى من مراتب النفس، وأن كل نَفْس من هذه النفوس لها صفاتها، ولها اسم معين من أسماء الله، تذكره به، ولها خصائصها، ولها علاماتها، التي يستطيع السالك بموجبها أن ينتقل من نَفْس إلى نَفْس، أي من مستوى إلي مستوى، فينتقل بالتالي من ذكر إلى ذكر، ثم بعد ذلك، وبعد نهاية هذه النفوس، والوصول إلى النفس الكاملة يدخل في عبادة الله أبدًا؛ فالعبادة لا تنقطع.

الشيخ علي جمعة يحذر السائر في هذا الطريق من الأقوال الباطلة، ومن العقائد الفاسدة حيث قال:

وقد حذّروا في طريق الله من العقائد الفاسدة، ومن القول بسقوط التكليف كما رأينا، ومن القول بأن الله قد اتحد في العباد، ومن القول بأنه رأي المَلَكَ على هيئته وسمعه، وحذروا من القول بأنه قد دخل الجنة وأكل منها، وحذروا من القول بأن هذا الكون هو الله، فهذا كله باطل وفاسد وممنوع، وهكذا[1].

فهناك من فهم هذا الطريق فهمًا خاطئًا، وكما حذر الشيخ علي جمعة من هؤلاء أصحاب الأهواء الباطلة، بين لهم أن هذا الطريق هذا مقيد بالكتاب والسنة وأن لهذه الطريقة نفسها لها ضوابط ولها أمور يتمسك بها السالك أو الصوفي فقال لهذه الطريقة أمور ينبغي أن يتصف بها السائر في هذا الطريق ومنها:

أولًا: التمسك بالكتاب والسنة؛ إذ إن الطريقة الصوفية هي منهج الكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو ليس من الطريقة، بل إن الطريقة ترفضه وتنهي عنه.

ثانيًا: لا تعد الطريقة تعاليم منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها[2].

«ويتفق الجميع على ضرورة ووجوب الرجوع إلى مصدري الإسلام: الكتاب والسنة،

(1)الطريق إلي الله ص34.

(2)البيان لما يشغل الأذهان، مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص337.

وعدم الخروج عليها عقيدة ولا شريعة ولا سلوكًا[1].

وفي هذا المعني يقول السّادة الصوفية ومنهم:

الشيخ أبو لحسن الشاذلي رضي الله عنه: «من دعا إلي الله بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مدعٍ»، وقال أيضا: «ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية[2].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

وقال الإمام الشاطبي:

«إن كثيرًا من الجُهَّال يعتقدون فيهم - أي الصوفية - أنهم متساهلون في الاتباع، وأن اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشَّرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به فأول شيء بنوا عليه طريقتهم إتباع السنة واجتناب ما خالفها[4].

يستكمل الشيخ شرحه لهذا الأدب على النفس البشرية لها أحوال، فهي تتنقل من مرحلة إلى مرحلة فأورد في كلامه هذا المعنى:« والسالك في الطريق إلي الله كالسائر في الطريق الحسي، والنفس البشرية لها أحوال، والنفس كانت عند الله عز وجل فأنزلها في جسد الإنسان فحجبت بذلك الجسد، وهي تتشوف إلى ربها، وفي تشوفها إلى ربها حجبت عنه بحجب

---

(1)البيان لما يشغل الأذهان، فتاوى شافية في قضايا عاجلة ص 301.

(2)إيقاظ الهمم، ابن عجيبة، ص 463.

(3)سورة السجدة:{الآية: 24}.

(4)الاعتصام، (147/1).لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م

كثيرة، وقد نظر أهل الله فوجدوا أنها نحو سبعين ألف حجاب، وقسموا النفس إلي ثلاثة أقسام، وبعضهم قسمها إلى سبعة، ووجدوا أن بين كل مرحلة ومرحلة أخرى من الحجب ما يحجب الإنسان عن ربه، الذي هو مقصود للكل، والطريق أيضًا قسّموه إلى مراحل، وأول هذه النفوس هي النفس الأمارة بالسوء.

هذه المراحل من الحُجب التي تحجب الإنسان عن ربه ظن البعض أننا نكلف أنفسنا فَنُحْجَبْ، إنما التكليف من عند الله حتى لا نُحجب عن الطريق الذي هو مقصود للكل «يقولون مرة إن التكاليف التي تكلفون بها أنفسكم. وكأننا نكلف أنفسنا من عند أنفسنا ومن هوى أنفسنا، وما كلفنا أنفسنا وإنما قلنا[1] ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2].

الشيخ يبين المعوقات والأسباب التي تعوق السّالك في هذا الطريق (طريق الله تعالي)، وقد تجعله يخرج عن الصراط المستقيم فذكر أمورًا أربعة ومنها النفس التي هي أشد خطرًا عل صاحبها التي تصحبهُ إلى المهات.

« ويكتشف الإنسان وهو في طريقه إلى الله أن هناك أربعة أسباب، تعوق سيره إلى ربه سبحانه: أولها: نفسه، والثاني: الشيطان، والثالث: الهوى، والرابع: الدنيا.

وهذه الأعداء إنما كانت أعداء لبني آدم، لأنها تحاول أن تصده عن سبيل الله، تحول أن تجذبه إليها، وتحاول أن تجعله يخرج عن الصراط المستقيم، وعن الطريق القويم، الذي هو أقصر طريق يصل به العابد إلى ربه، فهذه الأمور الربعة تعكر على لإنسان صفو توجهه إلى الله عز وجل ، وفي الحقيقة إن أشد هذه الأعداء هي: النفس؛ لأن الدنيا قد تكون وقد لا تكون، والشيطان يذهب ويجيء، والهوى يأتي ويذهب، ولكن النفس هي التي تصاحب

---

(1)خطب الجمعة، السلسلة النورانية في التربية الربانية، الوحي القرآن الكريم للشيخ علي جمعة، دار الوابل الصيب، الطبعة الثانية 1430هـ 2009م، ص 190.

(2)سورة البقرة: {الآية:285}.

الإنسان من الإدراك إلى الممات، ونحن نستطيع أن نميز سعيها، وحجبها، وشهوتها، عن باقي هذه الأعداء بالعود والتكرار[1].

ولذلك جعل الشيخ علي جمعة الاهتمام بهذه النفس من مظاهر التصوف فأورد ذلك بقوله، وللتصوف ثلاثة مظاهر رئيسية حث علي جميعها القرآن الكريم وهي[2]:

أولًا: الاهتمام بالنفس، ومراقبتها، وتنقيتها من الخبيث، قال تعالى:﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**[3] ﴾

ثانيًا: كثرة ذكر الله عز وجل قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴾[4].

ثالثًا: الزهد في الدنيا وعدم التعلق بها والرغبة في الآخرة قال تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**[5] ﴾.

الشيخ في هذا الأدب يبين كيف نميز بين وسوسة الشيطان ودعوة النفس، ومن هو الأقوى منهم الشيطان أم النفس وما هي الأوراد والأذكار التي تقينا وتحمينا من ذلك حتى لا نقع فيها.

«فكيف نميز بين وسوسة الشيطان ودعوة النفس؟ فقالوا: إن وسوسة الشيطان لا تدوم، ولا تعود، ولا تتكرر، ويحاول أن يوسوس في صدور الناس، فإذا لم يستجيب الإنسان لهذه الوسوسة، وقاومها، وانشغل عنها فإنه لا يعود إليها مرة ثانية، ويذهب ليوسوس له في شيء آخر، فإذا وجد الإنسان من نفسه دعوه بالكسل عن الصلاة، أو عن الذكر، أو دعوة تدعوه

(1)الطريق إلى الله ص41.

(2)البيان لما يشغل الأذهان، مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل ص 337.

(3)سورة الشمس:{ الآيات 7:11}

(4)سورة الأحزاب:{الآية:41}

(5)سورة: الأنعام{الآية:32}

إلى شيء مكروه أو محرم، ثم لم يجد في نفسه ذلك بعد هذا فإن ذلك من وسواس الشيطان، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[1] فهذه أذية الشيطان، وهو ضعيف، ولا سلطان له علينا، والله عز وجل أوكله، ولكنه أضعفه، وأبقاه، ولكنه خذله، والشيطان نستطيع أن نتقي شره من أقرب طريق، وبأبسط وسيلة، فالأذان يذهب الشيطان، والذِّكر يذهب الشيطان، ونقرأ خواتيم سورة البقرة فتُذهب الشيطان وتُحصن المكان، ونقرأ أية الكرسي فإذا بها نحتمي من الشيطان، ونذكر أذكار الصباح والمساء فإذا بنا نحصِّن أنفسنا من الشيطان، فالشيطان يُردُّ من أقرب طريق وبأبسط طريقة، وحياة الإنسان مع الذكر، ومع القرآن، ومع العبادة، ومع الطهارة، ومع الأذان، ومع الصلاة، ومع الصيام تجعل الشيطان يفر ويذهب.

ولذلك قالوا «عداوة الشيطان وسيلة إلى معصيته في كل ما يأمر به؛ فإنه لا يأمر بخير»[2]، النفس تحتاج إلي تربية لأن النفس تدعوا صاحبه إلى التقصير وإلي ارتكاب الحرام خصوصًا هذه النفس الأمارة بالسوء وهي أصل النفوس: «النفس الأمارة بالسوء هي أصل النفوس، عموم الناس تأمرهم نفوسهم بالسوء، فإذا ما ارتقينا إلى ما بعدها أي إلي النفس اللوامة، وجدنا هناك نزاعًا بين الإنسان وبين نفسه، مرة تأمره بالمنكر، فيحاول أن لا يستجيب، ومرة يستجيب ثم يتوب ويرجع، ويدخل في منازعة، وفي آخذ ورد معها، إلى أن تستقر على: النفس الملهمة، وهي الدرجة الثالثة من درجات النفس، وبعضهم قال: إن هذا بداية الفناء، وأن النفوس ثلاثة: أمارة، ولوامة، وملهمة، وبعضهم قال: إننا لا نكتفي ببداية الكمال، بل علينا أن نترقى فوق ذلك إلى أن نصل إلى الراضية، والمَرْضِيَّة، والمطمئنة، ولكاملة.

فالإنسان في هذا الطريق يحتاج إلى مجاهدة النفس حتى يصل إلى هذه الأنفس التي ذكرها

---

(1) سورة الناس: {الآية: 54}

(2) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، الإمامُ العز بن عبد السلام السلمي ص91.

الشيخ وقالوا« كل مريد لا يريد أن يجاهد نفسه فلا يطمع أن يجد ولو شمّة في طريق الله عز وجل حتى ولو كان شيخه قطب الوقت»[1].

وقال الإمام أبي حامد الغزالي[2]:

«وهذه النفس إن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعزل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية[3]»

ويختم الشيخ علي جمعة كلامه عن هذا الأدب بقوله « وعلي كل حال فهذه المراحل تبدأ في عموم الناس، مسلمهم وكافرهم، تبدأ بالنفس الأمارة بالسوء، إلا أن هذه النفس الأمارة عندها استعداد لأن تتحول إلى نفس لوامة، وهذه النفس اللوامة لديها استعداد لأن تتحول إلى النفس الملهمة، فالاستعداد موجود، ولكن الشائع هو أن نفس الإنسان من قبيل النفس

---

(1)منهاج الواصلين ص 178.

(2) أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي 450 . 505هـ ولد بطوس من إقليم خراسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب مثل: علم الكلام والفلسفة ، والباطنية ، والتصوف، مما أورثه ذلك حيرة وشكًّا دفعه للتقلُّب بين هذه المذاهب الأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، درس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس ومنها إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه. وقد ألف عددًا من الكتب منها: تهافُت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وأهمها إحياء علوم الدين. ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف المعرفة، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصول الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية، ومن جليل أعماله هدمُه للفلسفة اليونانية وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه المستظهري أو فضائح الباطنية.انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج 1، 257.

(3)إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق.سيد إبراهيم، دار الحديث بالقاهرة، طبعة1425هـ . 2004م ص71.

الأمارة بالسوء[1].

الأدب السادس:

{الحُجُب التي تَحْجِب النفس عن الله تعالى، وأن الفكر والذِّكْرَ هما سبيل الخلاص من تلك الحجب}[2].

شرح هذا الأدب عند الشيخ:

النفس الأمَّارة بالسوء محجوبة عن أنوار الله عز وجل بسبعين ألف حجاب، وكلما استطعنا أن نتخلى، أو نتخلص، أو ننفي حجابًا من الحجب - تلك الحجب التي تتمثل في خصائص النفس - فإننا نُحَصِّلُ شيئًا من الأنوار، وتنكشف لنا بعض أسرار الملك والملكوت.

فنحن الآن في سيرنا إلى الله، وفي هذه المرحلة، حيث يتكون طريق الله من سبعين ألف خطوة، أو سبعين ألف مرحلة، أو سبعين ألف جزء، كل جزء يمثل حجابًا، كلما قضيت حجابًا كان لي أن أقضي. حجابًا آخر، والعجيب أن بعض السالكين قد يقطع السبعين ألف حجابًا في يوم!! وبعض السالكين يقطع عشرة آلاف في أربعين سنة!! وهكذا، طبقًا لفتح الله عليه، ولذلك نرى المشايخ يقدمون بعض المحدثين من مريدهم على القدماء؛ لأن هذا القديم لم يقطع في السير إلي الله مثل ما قطع ذلك الحادث الجديد، فالقضية تتمثل في أنه فضل الله يؤتيه من يشاء لا من الحول ولا من القوة.

ولذلك لا يصل السائر إلي هذه الحُجُب إلا إذا خالف هذه النفس الأمَّارة بالسوء وقالوا «ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة، وقد سئل المشايخ عن الإسلام، فقالوا: ذبح النفس

---

(1) الطريق إلى الله ص43.

(2) أورد هذا الأدب صاحب كتاب: منازل الصديقين والربانيين، من خلال النصوص وحِكَم ابن عطاء الله السكندري، لسعيد حوي، بعنوان {مراتب الذكر والفكر} ص508.

بسيوف المخالفة[1]»

هناك حُجب تحجب السائر في طريق الله؟ كيف التخلص منها، وكيف أنتقل من النفس الأمَّارة بالسوء إلي النفس اللوامة؟

الشيخ وضح أنه لم يكن هناك من أهل الله من كتبوا في تفصيل ذلك، أو أتوا بقائمة فيها السبعون ألف حجاب، وبين الشيخ أنه هناك خطرات علي القلوب تمثل تلك الحُجب، ومنها قلب منشغل بالدنيا، متمسك بها وغير ذلك، فإذا تخلص من هذه الحجب أو حاول أن يوازن نفسه، جاءه الوسواس من نفسه، أو من شيطانه حتي يخرجه من التوازن النفسي، والطمأنينة التي عليها السالك، كيف تزول هذه الحجب:

ذكر الشيخ في كتاباته[2] أنه هناك أمورًا وضعها أهل الله حتى يتخلص منه السائر ومنها:

1. التفكر في خلق السموات والأرض.

قال الشيخ الشرقاوي« الفكرة سراج القلب[3]»

1. التفكر في خلق السموات والأرض، أي كلما تفكر الإنسان في خلق السموات والأرض، أيقن بوحدانية الله، وأيقن بوجوده عز وجل وبعظمته وجلاله، كلما تدبر استصغر نفسه، ووجد أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وكلما تأمل في حقائق الدنيا عرف أنها حادثة، كانت ولم تكن من قبل، وعرف أنها فانية، وأنها إلى زوال، وأن الإنسان سوف يموت، كلما تأمل الموت عرف حقيقة الدنيا، وأنها تافهة قليلة، وعرف أنها مزرعة الآخرة، وأنها إنما وجدت للابتلاء والعمل، كلما تدبر في ذلك هانت عليه الدنيا.

فالفكر إذًا، والتدبر، والنظر في مخلوقات الله في السموات والأرض، والتأمل، والتعقل،

---

(1) الرسالة القشيرية، للإمام القشيري، تحقيق أبو سهل نجاح صيام، دار المقطم، طبعة 2014ص 227

(2) الطريق إلي الله ص44.

(3) منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحِكم ابن عطاء الله السكندري ص 514.

كل ذلك أمرنا الله عز وجل به في الكتاب الكريم، وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هناك شياطين تصد الناس عن النظر إلى السماء، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[1]﴾ فبرزت هنا قضية الذكر، فهما إذا قضيتان، أولاهما: الفكر، وثانيهما: الذِّكر.

وضع أهل الله أفكارًا، يستطيع الإنسان أن يذكرها فيتلخص من كثير من الحجب، ووضعوا عددًا من أسماء الله تعالى بإزاء كل مرحلة من المراحل، بحيث يتعين اسم من أسمائه الحسنى، إذا اشتغل به المريد هَوَّنَ اللهُ عليه مراحل الطريق، ورفع الله به الحُجب التي تكون.

من تلك الأسماء لفظ الجلالة (الله)، ومنها كلمة التوحيد:(لا إله إلا الله)، ومنها الضمير الذي يعود إلى الله عز وجل : (هو)

وعلى ذلك فقد اعتمد سند تلقين لصوفية لمريدهم على سند تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا الله)، جماعة وفرادى[2].

ولذلك وضع أهل الله من المتصوفة أن الذكر والفكر بهما يطير القلب إلي الحضرة الإلهية وإلي أنوار الله، وإلي الكشف والفتح ويجتمع الذكر والفكر في هذه الآية القرآنية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3].

«فالانتقال من عالم الأغيار إلي التوحيد إنما يتم بالفكرة، وبقدر ما تكون الفكرة موجودة مع الذكر فإن القلب يستنير بذلك دأب أهل التسليك على أن يجعلوا للمريد فكرًا وذكرًا فهم

---

(1)سورة آل عمرآن:{الآيتان:191، 190}

(2)الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروداها ص74.

(3) سورة آل عمران:{الأية:191}.

يأمرون بالذكر ويعلقون السالك أثناء الذكر بفكرة ترقيه[1].

والشيخ علي جمعة ذكر الخطة التي جعلها أهل الله من المتصوفة في إزاء كل حجاب حتى يشتغل المريد بالألفاظ التي وضعوها للذكر لفظًا وعددًا والتي منها (لا إله إلا الله)، ومنها (هو) فقال:

وجعلوا لذلك خطة يسير فيها السائر، ووضعوا لها في إزاء كل حجاب لفظًا وعددًا، فيقولون مثلًا: اذكر لفظ الجلالة سبعين ألف مرة، ولكن وجدوا أن المريدين لا يتساوى حابلهم مع السبعين ألفًا، فوضعوا في بعض المراحل سبعين ألف، وفي مراحل أخرى متقدمة جعلوها ثلاثين ألفًا، وفي بعض المراحل وضعوا خمسين ألفًا، ثم بعد ذلك استقر العمل عند المتأخرين على مائة ألف، وكل ذلك نابع مما يتضح عند أهل البصيرة والصدق والمعرفة بالله تعالى، من أثار ملازمة أسماء معينة، بأعداد معينة، على نفس السالك إلى الله، وإلى أي مدى يسهم ذلك في تهذيب نفسه، وقهرها على استحضار معنى ذلك الاسم الإلهي، واعتياد النفس للتخلق أو التعلق بمدلوله، وهذا الوضع أيضًا إنما هو لتجلية القلوب من تلك الحجب، ومساعدة السالك في الطريق في إعمال فكره، وربطه بالعمل، الذي هو الذكر.

فنبدأ بلا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد التي فيها نفي للذات، وفيها تخلية للقلب وتحلية له، فيقولها مائة ألف مرة، يبدأ المريد بهذا الذكر فيحاول أن يتخلص من الحجب.

« والذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو المُدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر[2]»

فالإنسان إذا أراد أن يتخلص من هذه الحُجب عليه بالذكر والفكر مع استحضار تمام النية

(1) منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحكم ابن عطاء الله السكندري ص 511.

(2) الرسالة القشيرية في علم التصوف ص310

لله عز وجل مع الالتزام بهذه الطرق التي وضعها المتصوفة وأكد عليها الشيخ في كتابه(1).

الأدب السابع:

{في الخلوة، وأنها فترة معينة يخلوا فيها الإنسان إلي نفسه: لتصفيتها وتجديد معاني الإيمان فيها}(2).

شرح الشيخ لهذا الأدب

أولًا: معنى الخلوة عند الشيخ:

الخلوة يدخلها الإنسان من أجل أن يقطع علائقه بالدنيا، وبالناس، وبالأحداث، وبالزمان، وبالمكان حتى يعطل ملك السيئات أربعين يومًا فتنفجر الحكمة من قلبه(3)».

وعرف بعضهم بقوله:

«هي انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكر لله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكر في آلائه تعالى أناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يُعلمه إذا جهل، ويذكره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس(4)».

أورد الشيخ أن من وسائل التربية حتى يدخل الإنسان في الطريق ما ذكره الإمام المحاسبي قال: (إن الإنسان إذا عَطَّل ملك السيئات أربعين يومًا تفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه، وعرف أن طريقنا هو طريق الحق، فمن جرب ذلك ولم يجِّد ما قلناه فليضربنا بالنعال)

---

(1)الطريق إلي الله، من ص 44:49.

(2) ذكر هذا الأدب أكثر من واحد من أهل الله، ومنهم صاحب كتاب حقائق عن التصوف ص162.

(3)الطريق إلي الله ص58.

(4)حقائق عن التصوف ص162.

شرح الشيخ كلام الإمام الحارث المحاسبي[1] بقوله:

وهذا كلام الحارث المحاسبي، فأسموه هذا بالخلوة الأربعينية، وأخذوا دليلها من تعبد النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم الليالي ذوات العدد في غار حراء، فكان يتزود ويذهب، يعتزل الناس، ويختلي بالعبادة، ولذلك سميت بالخلوة.

معنى الخلوة الأربعينية:

أنها تكون أربعين يومًا، من أجلها وجدنا الخلايا نشأت في المساجد وألحقت بها، ففي مسجد الظاهر جاشنكير خلف سيدنا الحسين تحيط الخلايا بفناء المسجد.

مشروعية الخلوة من الكتاب والسنة:

الخلوة ليس ابتداعًا من الصوفية، وإنما لها أصل من القران والسنة.

من القرآن، قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**﴾[2].

قال العلامة أبو السعود[3] مفسرًا هذه الآية: « ودُم على ذكره تعالى ليلًا ونهارًا على وجه كان؛ من التسبيح والتهليل والتحميد .. إلى أن قال: وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغرق العزيمة في مراقبته، وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادرة المانعة عن مراقبة الله تعالى، وقطع العلائق عما سواه»[4]

---

(1) هو الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي (3) ، أبو عبد الله، ولد بالبصرة ولكنه انتقل إلى بغداد وعاش فيها، وكانت ولادته سنة 165 هـ تقريبا، أما وفاته فقد كانت سنة 243 هـ.، انظر كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ، لعبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1415 هـ / 1995 م، ج1، ص 452.

(2)سورة المزمل: {الآية: 8}

(3) هو القاضي أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، صاحب تفسير أبي السعود ، رشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

(4) تفسير العلامة أبى السعود على هامش تفسير فخر الدين الرازي ج8/ ص 338.

الآية الكريمة الأمر فيها عام ولم يكن تخصيص لرسول الله وحده بل هذا له ولأمته.

«وكل أمر أُمر به صلى الله عليه وسلم تشريع له ولأمته إلا فيما خُصَّ به، وخصوصياته معروفة، وهذا الأمر في هذه الآية المذكورة عام له ولأمته »(1)

الدليل من السنة: عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت " أولُ ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلوا بغار حِراءَ؛ فيتَحنَّثُ فيه. وهو التعبد. الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، ويتزود لمثلها، حتي جاء الحق، وهو في غار حِراء "(2)

ففي هذا الحديث دليل على أن يخلوا الإنسان بنفسه، لان فيها راحة للقلب من ملذات الدنيا وشهواتها، فيتفرغ العبد وينقطع لله فتخرج منه الآنور والفيوضات الربانية، فيخلو الإنسان عن غيرة، وعن نفسه فيتلذذ بالخالق سبحانه وتعالى.

آداب الخلوة عند الشيخ:

انشغل الناس في هذه الأيام بالتلفاز، والمواصلات والاتصالات، ولكن قديمًا كان لواحد إذا دخل الخلوة فلابد له أولًا:

أن يكونوا على وضوء دائم، كلما نام واستيقظ توضأ، وكلما نقض وضوءه توضأ، وكانوا يلبسون البياض، ففي البياض أسرار، اكتشفها بعض الهنادكة وبعض المجوسيين عندما رأوا أن هذا البياض يحدث لهم تركيزًا في الفكر، وسباحة في الكون، ....فهم يكونون على طهارة كاملة، ويستقبلون في غالب جلوسهم القبلة، ويشتغلون بأمرين: بالذكر والفكر؛ فيقول الله

---

(1)حقائق عن التصوف ص164.

(2)أخرجه البخاري (3/1)، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بكير، حديث رقم 3، ومسلم في صحيحة (139/1)، كِتَابُ الْإِيمَانَ ،بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث رقم160.

عز وجل فيه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[2]، فيذكرون الله عز وجل بهذه الأذكار، بالاسم المفرد، وكانوا على ثلاثة أنحاء: إما أن يذكرونه مجردًا هكذا: الله الله الله، الرحمن الرحمن الرحمن، أو يا الله يا الله يا الله.. بالنداء، وهو الشائع، لأن فيه معنىً ظاهرًا، وفيه جملة مفيدة كاملة، وهو أقرب إلى الذهن والنفس والروح، يذكرون بالأسماء الحسنى، وبعضهم يختار منها سبعة؛ هذه السبعة يسمونها السبعة الأصول يبدأون فيها بلا إله إلا الله، بالنفي والإثبات، ثم بلفظ الجلالة يا الله، ثم يا هو، ثم يا حي، ثم يا قيوم، قيل: إنه الاسم الأعظم، الذي إذا ما دعي البله به أجاب، ثم الحق، ثم القهار، ويتم يذلك السبعة، وتختلف طريقة عن طريقة أخرى في اختيار تلك الأصول التي يرشد فيها أنها تجمع معاني الأسماء الواردة في الكتاب والسنة.

أركان الخلوة عند الشيخ:

الخلوة يحدث فيها أمران: أولهما: الذكر، وثانيهما: الفكر.

أولها الذكر:

يحدث تدرج في النفس البشرية للارتقاء مع الله، ومن الذكر تتحرك اللطائف الخمس، واللطائف الخمس هذه أحوال للروح أو للنفس الناطقة، يسميها أهل الله:(القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى)، وهي مراتب لا يدخل الإنسان في واحدة منها إلا إذا فرغ ما قبلها؛ فهناك مرحلة تسمى بمرحلة القلب، ثم أعلى منها الروح، ثم أعلى منها السر. حتى

(1)سورة الأعراف:{الآية: 180}

(2)الحديث في أن لله تسعة وتسعين أسما هكذا على الإجمال، أخرجه البخاري في صحيحه: (981/2)، ومسلم في صحيحه (2063/4).

العوام يقولون خرج السر ـ الإلهي ـ ثم أعلى منها الخفي، ثم أعلى منها الأخفى، وهكذا كلها إنما في عالم الملك، ومثلها ينعكس في عالم الملكوت، فالمراتب تصير عشرًا، ومنها بعد ذلك درجات إلى أن ننتقل إلى عرش الرحمن، وهناك ما هو فوق عرش الرحمن بما يسمى عوالم، فكل هذا الملك والملكوت يسمى عالم الناسوت، والكون ما سوى الله رب العالمين، وهناك عالم هو عالم الرحموت، وعالم اللاهوت، وعالم الجبروت، وعالم العظموت، وهذه تجليات لله تعالى.[1]

والإنسان يختلي في خلوته إلى أن يفتح الله عليه، والفتح يجعل الإنسان على يقين لا يتردد أبدًا وقد قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ـ رحمه الله تعالى ـ:

« فإن المتأهب الطالب للمزيد، المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود إذا لزم الخلوة والذكر، وفرَّغ المحل من الفكر، وقعد فقيرا لا شيء له عند باب ربه، حينئذ يمنحه الله تعالي، ويعطيه من العلم به والأسرار الإلهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾[3]، وقال تعالى :﴿**إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ**﴾[5].

فالذكر غذاء الروح به يسموا الإنسان بروحه وقلبه وجسده فا بالذكر يحدث سكون، وسكوت فإذا ما حصل ذلك يحدث له الصدق في الذكر، وهوأن يشغل قلبه بالله في خلوته.

(1) الطريق إلى الله ص61.

(2)سورة الكهف :{الآية: 65}.

(3)سورة البقرة: {جزء من الآية:282}.

(4)سورة الأنفال:{ جزء من الآية:29}.

(5)سورة الحديد:{جزء من الآية: 28}.

ثانيها: الفكر.

العبد في خلوته يتفرغ لله عز وجل بذكره وبفكره حتى تحدث له الخلوة، ففيما يفكر في خلوته؟

أجاب الشيخ بقوله:

ينبغي أن يكون في ملكوت الله، وفي ملك الله، في السموات وفي الأرض، في النفس، وفي الحيوان، وفي النبات، وفي كل شيء يتأتى للإنسان أن يستشعره، وأن يدركه، وأن يفهمه، وأن يعلمه، وأن يطلع عليه، وأن يُحصّل معناه، أي أن يتفكر الإنسان في كل شيء.

ولابد من أن يؤدي هذا الفكر إلى علم، وهذا العلم يؤدي إلى يقين، وهذا اليقين يؤدي إلي مشاهدة، وهذه المشاهدة تؤدي إلى حضور، وفي الحضور أنس بحضرة القدس، والأنس بالقدس أمر هو في نهاية الفكر سيوصلنا إلى حضرة القدس عز وجل ، فهذا هو هدف الفكر.[1]

الفكر ليس هدفه الرياء، ولا الاستعلاء، ولا التكبر وإنما هدفه التقرب إلي الله والأنس به.

وليس هدف الفكر التكبر علي الناس، ولا هدف الفكر الاعتزاز بالنفس، ولا هدف الفكر الضلال، ولا هدف الفكر الإيذاء، ولا هدف الفكر التعالي؛ بل إن هدف الفكر دائمًا هو الله.

التفكير في ذات الله إشراق، ودعوى الجهل بشأنه عز وجل إدراك، هذا كلام مكتوب في الكتب لكنه الآن يراه، يسمعه، يشاهده يحياه، وهو حينئذ يسمع بعينه أكثر مما يسمع بأذنه، وحينئذ يرى بعينه لأن وسائل الإدراك لا تتعلق حينئذ بالحس إنما تتعلق بشيء هو ما وراء الحس.

والتفكير عبادة عظيمة تجعل العبد في خلوته يتفكر في الخالق سبحانه وتعالى وقالوا:

---

(1)الطريق إلى الله ص82.

«التمكن من عبادة التفكير والاعتبار، هو المقصود الأعظم من الخلوة»(1)

في الخلوة يحدث السَّالك فتح وانكشاف بعد الذكر والفكر فقال الشيخ عن ذلك: في الخلوة حدث لهم انكشاف الكائنات وتسبيحها، وفي الخلوة حدث ما أسموه بـ: سجود القلب، السجود الظاهري معروف، أن الإنسان ينحطُ من علو إلى الأرض، ويجعل جبهته على الأرض، ولكن كيف يسجد القلب؟

قالوا: هي حالة إذا سجد القلب لا يقوم منها أبدًا، يظل ساجدًا هكذا إلى أن يلقي الله، وهذا ما يسميه أهل الله بالمقام العالي، المقام العالي هو سجود القلب لله، ففي الخلوة، وبسبب هذا اليقين الذي يحدث فيها هو سجود القلب لله، وسجود القلب لله ليست له عبارة باللغات يُعَبَّر بها عنه، يعني لا يدرك حقيقته إلا من جربه، أما الذي لا يجربه لا يمكن أن يحصل معناه، لماذا؟ لأنه ليس هناك في اللغة ما يصف هذه الحالة، سجود القلب لله يحدث من الخلوة هذه.(2)

الشيخ تكلم في هذا الأدب على أن الإنسان دائمًا يفكر في نفسه الضعيفة التي تحتاج إلى غيره وهو صغير لا يملك لنفسه شيء وفي ذلك إشارة إلى أنه دائمًا محتاج إلى ربه فالله رءوف رحيم، الفكر يؤدي بالإنسان إلى أنه محتاج في قيامه بنفسه إلى غيره، ولذلك لا يستطيع أن يمتنع بالكلية عن الطعام، ولا يستطيع أن يمتنع بالكلية عن الشراب، ولا عن النوم ولا غير ذلك من الأشياء التي يحتاج إليها الإنسان، فهو محتاج إلى غيره والله بخلاف ذلك كله، فهو قائم بنفسه لا بداية له ولا نهاية له الإنسان يتفكر في مولده، وفي حياته، وفي مماته، وفي كل شيء فإذا به يرى الله مقابل ذلك كله، فإذا فعل الإنسان ذلك في الفكر لا يعتريه الريب، ولا تهجم على قلبه الشكوك، وتراه مطمئنًا بذكر الله، فالذِّكر والفكر يكونان الدعامة الأساسية لهذا الطريق مع الله.

---

(1)حقائق عن التصوف ص175.

(2)الطريق إل الله ص64.

الخاتمة

الحمدُ لله المتفضل بالنعم أولًا وأخرًا؛ فبعونه تتم الصالحات، وبعد: فهذا بيان بأهم النتائج التي أبانتها هذه الدراسة:

أولًا: بينت الدراسة أن مفهوم الانتصار مشروع من الكتاب العزيز ومن السنة النبوية المطهرة، ولازال العلماء جيلًا بعد جيل ينتصرون لما يرونه حقًا مؤيدين ذلك بالكتاب والسنة، مع بيان ضعف ما استدل به الخِصم.

ثانيًا: تنوعت المسائل الصوفية التي أنكرها المخالفون، فكان منها مسائل عقائدية، ومسائل عبادية، ومسائل سلوكية.

ثالثًا: اعتمد الشيخ علي جمعة في تأسيس قواعد التصوف على آيات من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ليبين أن هذا الطريق مقيد بذالك.

رابعًا: المطَلِع على ما انتصر به الشيخ علي جمعة في مسائل التصوف يلحظ أن له منهجًا واضحًا في رده على المخالفين وبين لهم المعنى الصحيح.

خامسًا: ظهر انتصار الشيخ بحججه القوية في أنه بين خطأ المخالف بسوء فهمه للنُّصوص الشَّرعية وإهماله للقواعد المرعية في الاستنباط من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

سادسًا: بين الشيخ المعنى الصحيح لما استدل به المخالفون من أقوال العلماء السَّابقين، وتصويب فهمهم لهذه الأقوال.

سابعًا:. اعتمد الشيخ في انتصاره على بيان ضعف ما استدل به المخالفون من الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين

ثامنًا: أصل الشيخ لآراء السَّابقين من أهل التصوف وما ذهبوا إليه بالقواعد الشَّرعية والأصولية والدعوية.

تاسعًا: تمثل انتصار الشيخ علي جمعة للتصوف وأهله ببيان القواعد المرعية عند أهل

التصوف، بداية من مصطلح التصوف ومدى مشروعيته، وبيان قضايا التصوف قديمًا وحديثًا، وانتصر لما ذهب إليه أرباب التصوف وردَّ على مخالفيهم بالحجة والقرآن الساطع، وبيان الآداب والسَّلوك المرضية لسَّائر في طريق الصوفية.

هذه أوضح النتائج التي ظهرت بتوفيق الله من خلال الدراسة في هذا البحث، فما كان من سداد فمن الله عز وجل ، وما كان من خطإٍ فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

وأسأل الله عز وجل في الختام أن يجزي خيرًا كل من مدَّ لي يد العون والمساعدة، وقدم لي النصح والإرشاد.

فهرس الموضوعات